نام کتاب: القرآن الکریم و روایات المدرستین

پدیدآور: عسکری، مرتضی

تاریخ وفات پدیدآور: ۱۴۲۸ ه. ق

موضوع: عدم تحریف قرآن

زبان: عربی

تعداد جلد: ۳

ناشر: مجمع العلمی الاسلامی

مکان چاپ: تهران

سال چاپ: ۱۳۷۴ ه. ش

نوبت چاپ: اول

ص: ۵

[الجزء الأول]

الإهداء

سیدی یا خاتم الأنبیاء و سید المرسلین صلّی اللّه علیک و علی أهل بیتک الطاهرین و زوجاتک الطیبات أمهات المؤمنین و صحابتک البررة المیامین.

سیدی منذ نیف و خمسین عاما بعثنی التشرف بک حسبا و نسبا و ولاء علی القیام بتمحیص سنتک سیرة و حدیثا، و وفقنی- اللّه تعالی- لنشر بحوث منها بین أمتک أمتنا الاسلامیة تباعا.

و ها أنا ذا أتشرف بنشر أهمها أثرا و أعظمها خطرا فی تمحیص ما رووا عنک فی شأن القرآن الکریم الذی أنفقت عصر رسالتک فی حمله إلی العالمین، و أرفعها هدیة متواضعة إلی م قامک المحمود- و إن کنت کالنملة قدرا فأنت أعظم من سلیمان کرما- فتقبلها برأفتک بنا معاشر أمتک، و اشفع لنا عند اللّه لیکشف ما بنا من غمّة.

المؤلّف

بسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ الرَّحْمنُ* عَلَّمَ الْقُرْآنَ* خَلَقَ الْإِنْسانَ* عَلَّمَهُ الْبَيانَ (الرحمن/ ۱- ۴) إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ (الحجر/ ۹) وَ ما كانَ هذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ الْكِتا بِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ* أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِ قِينَ (يونس/ ۳۷- ۳۸) أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها* إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلى أَدْبارِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَ أَمْلى لَهُمْ* ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا ما نَزَّلَ اللَّهُ ...

(محمد/ ۲۴- ۲۶) قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً* وَ لَقَدْ صَرَّفْنا لِلنَّاسِ فِى هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً* وَ قالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً* أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَ عِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهارَ خِلالَها تَفْجِيراً* أَوْ تُسْقِطَ السَّماءَ كَما زَعَمْتَ عَلَيْنا كِسَفاً أَوْ

تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَ الْمَلائِكَةِ قَبِيلًا* أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقى فِى السَّماءِ وَ لَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنا كِتاباً نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحانَ رَبِّى هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولًا * وَ ما مَنَعَ النَّا سَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ الْهُدى إِلَّا أَنْ قالُوا أَ بَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولًا* قُلْ لَوْ كانَ فِى الْأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ مَلَكاً رَسُولًا (الاسراء/ ۸۸- ۹۵) وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَ الْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (فصلت/ ۲۶)

مقدمة الطبعة الأولى

بسم اللّه الرحمن الرحيم الحمد للّه ربّ العالمين و الصلاة و السلام على خاتم الأنبياء محمّد و آله الطاهرين، و السلام على أصحابه الميامين و أزواجه المنتجبات أمهات المؤمنين.

و بعد كنت لا أرى فى ما مضى أيّة ضرورة لهذا النوع من البحث القرآنى، لما كنت أعلم أنّ المسلمين عامّة متّفقون اليوم على أنّ القرآن الذى يتداولونه هو كلام اللّه الذى أوحاه إلى خاتم أنبيائه محمّد صلى اللّه عليه و آله، و أنّهم توارثوه عن نبيّهم جيلا بعد جيل حتّى اليوم، و أنّ الخلاف بينهم ناشئ عن تأويله و تفسيره، و أنّه إن شذّ منهم شاذّ يوما ما بقول ما، فهو من شأن الطبيعة البشرية و مجتمعاتها التى لم تخل و لن تخلو من شذوذ الشواذّ فى يوم من الأيّام.

و بناء على هذه الرؤية لم أكن أرى حاجة للخوض فى هذا النوع من البحث. هكذا كنت أرى.

و لمّا قامت الجمهورية الإسلامية فى إيران اقتضت الدوافع السياسيّة لدى بعض الدول، التحرش عليها، فانتشرت فى طول البلاد الإسلامية و عرضها كتب و رسائل و مقالات ضدّها و ضدّ خطّ أهل البيت (ع) السائد فيها. و كان أهمّ ما رفعوه فى هذه الحرب السياسيّة القرآن الكريم، فألجأتنى

الضرورة إلى أن أبيّن الواقع التاريخى فى هذا الشأن. و كتبت موجزا من البحث فى أوّل المجلد الثانى من معالم المدرستين، ظنّا منّى أنّه كاف لرفع الشبهات التى أثيرت فى هذا الصدد.

غير أنّ ما تلقيت من الأسئلة حولها من شتّى البلاد و ما أنبئت أنّ بعض الدول الإسلامية دفعت و ساعدت على نشر ما يقارب مائتى كتاب و رسالة بهذا الصدد فى بلاد الهند وحدها، أثبتت لى أنّ الشّبهات التى أثيرت حو ل مدرسة أهل البيت (ع) فى شأن القرآن خاصّة، أهمّ و أوسع مما كنت أرى، أضف إليه ما كنت أراه منذ عشرات السنين من ضرورة القيام بردّ شبهات المستشرقين فى ثبوت النص القرآنى؛ لهذا و ذاک اتسعت بحوث الكتاب و تسلسلت حتّى بلغت ثلاثة مجلدات.

و قد اخترت لهذه الدراسة كتابى (فصل الخطاب) و (الشيعة و القرآن) ليكونا محورى هذه الدراسة، لأنّ كلا من مؤلفى الكتابين أراد أن ينتقد المدرسة الأخرى فى كتابه . و حاول أن يستوعب كل شاردة و واردة فى بحثه . و اقتصرت فى دراستهما على ما أورداه حول كتاب اللّه المجيد، و تركت منهما ما لا يتصل بالبحوث القرآنية.

و راجعت فى دراسة ما استدلّ به الشيخ النورى من مصادر دراسات مدرسة الخلفاء إلى تلک المصادر مباشرة و خرّجت الروايات منها بلا واسطة.

و كان لا بدّ لى فى دراسة الروايات أن أمهّد لها دراسة خصائص المجتمع الذى نزل فيه القرآن و انتشر منه لا قارن بين تلک الروايات و الواقع التاريخى الذى يناقض تلک الروايات . و الروايات التى ناقشتها هى:

أ- روايات جمع القرآن:

فقد جاء فيها[۱]:

أنّه لمّا استحرّ القتل بالقراء فى واقعة اليمامة خشى عمر أن يذهب كثير من القرآن بقتل القراء ف ى الحروب، فاقترح على الخليفة أبى بكر أن يجمعه فقال:

كيف نفعل ما لم يفعله رسول اللّه (ص)؟! فلمّا اقتنع بالرأى أمر زيد بن ثابت أن يجمعه، فقال : كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول اللّه (ص) و لما اقنعاه بالأمر أخذ يجمع القرآن مما كتب عليه و من صدور الرجال و وجد آخر سورة براءة عند خزيمة بن ثابت.

و فى رواية ان ذلک كان على عهد عثمان.

---

[۱] (۱) نوجز فى هذه المقدمة بحوث الكتاب الآتية لتساعد القارئ على استيعاب البحوث اللاتى جاءت فى اول الكتاب وصلة بعضها ببعض و من ثم نذكر مصادر ما اشرنا إليه فيها.

و جاء فی غیرها ان زیدا اقترح جمع القرآن علی عمر، و عمر علی أبی بکر فاستشار المسلمین، فوافقوا علیه، فأمر عمر و زید بن ثابت أن یکتبا آیة شهد علیها شاهدان، و انّ أبیّ بن کعب أخبرهم بآخر آیة م ن القرآن، و أودع ما نسخه عند أم المؤمنین حفصة.

و فی غیرها انّ الخلیفة عمر سأل عن آیة، فقیل کانت مع فلان فقتل یوم الیمامة، فأمر بجمع القرآن، فکتبوا أربعة مصاحف و أنفذها الی الکوفة و البصرة و الشام و الحجاز.

و فی غیرها: أنّ جمعه تمّ علی عهد عثمان.

و فی غیرها أنّ عمر قتل و لم یبدأ بجمع القرآن، و علی عهد الخلیفة عثمان جعل المعلّم یعلّم قراءة و معلم آخر یعلم قراءة اخری فاختلف من اخذ منهم فی

ص: ۱۲

القراءات و بلغ ذلک المعلّمین فکفّر بعضهم بعضا علی قراءته ما یخالف قراءته فبلغ ذلک عثمان، فأمر بکتابة المصحف فربما اختلفوا فی قراءة آیة فیذکرون الرجل الذی تلقاها من رسول اللّه و هو غائب فی بعض البوادی فیکتبون ما قبلها و ما بعدها، و یدعون موضعها، فیرسلون الیه حتی یحضر و یأخذون الآیة منه، و یکتبونها فی موقعها و أنه لمّا أتمّوا کتابة المصحف و رآه عثمان قال: أری شیئا من لحن ستقیمه العرب بالسنتها !!! و انه کتب الی أهل الأمصار: أنی محوت کذا من القرآن، و صنعت کذا، فامحوا ما عندکم و اصنعوا کما صنعت !!! و فی غیرها ان الاختلاف فی القراءات وقع فی بلاد أخری غیر المدینة فطلب الخلیفة من أمّ المؤمنین حفصة الصحف التی عندها، فنسخها فی مصاحف و أرسلها إلی البلاد، و أحرق بعد ذلک غیرها من المصاحف.

ب- روایات الزیادة و النقصان فی القرآن!!- معاذ اللّه- جاء فی روایات منها:

ان أبا موسی الأشعری قال لقراء البصرة: کنّا نقرأ سورة نظیر براءة أنسیتها و حفظت منها (یا أیها الذین آمنوا لا تقولوا ما لا تفعلون ...).

و جاء فی غیرها: انه کان فی مصحف بعض الصحابة سورتی الحفد و الخلع[۲].

و فی غیرها ان ابن مسعود لم یکن یکتب فی مصحفه الحمد و المعوذتین

ص: ۱۳

و انه کان یحکّ المعوذتین من المصحف[۳] و انّ سورة الأحزاب کانت توازی سورة البقرة، و انه نسی منها ثلاثة أرباعها.

---

[۲] (۲) سورتان مختلقتان مفتریتان علی القرآن الکریم یاتی نصهما فی بحث اختلاف المصاحف ان شاء اللّه تعالی من المجلد الثانی.

[۳] (۳) المعوذتان هما سورتا قل اعوذ بربّ الفلق و قل اعوذ بربّ الناس.

و جاء فی غیرها : انه ممّا فقد من آی القرآن آیة الرجم و (رضاع الکبیر عشرا)، و سمّوا بعض ذلک بالنسخ و بعضها بالإنساء.

ج- روایات اختلاف المصاحف:

جاء فی روایات منها:

ان امّهات المؤمنین ع ائشة و حفصة و أم سلمة أمرن بکتابة المصحف، و لمّا بلغ الی قوله تعالی حافِظُوا عَلَی الصَّلَواتِ وَ الصَّلاةِ الْوُسْطی أمرن الکاتب أن یکتب بعدها (و صلاة العصر).

و نظائرها کثیرة نشیر الی بعضها و ندرسها فی أماکنها من البحوث الآتیة ان شاء اللّه تعالی.

د- روایات النسخ و الإنساء:

جاء فی روایات منها:

ان رسول اللّه (ص) سمع رجلا یقرأ القرآن فی مسجده، فقال: رحمه اللّه لقد أذکرنی کذا و کذا آیة أسقطتها من سورة کذا و کذا. و ان صحابیین أرادا أن یقرءا فی لیلة سورة نزلت علی رسول اللّه (ص)، فلم یقدرا، و نسیاها، فأصبحا غاد یین الی رسول اللّه (ص) و أخبراه بذلک، فقال: إنها ممّا نسخ أو نسی، فالهوا عنها.

و انه کان مما ینزل به الوحی علیه لیلا و ینساه نهارا.

ص: ۱۴

ه- روایات اختلاف القراءات أو القراءات المختلفة:

جاء فی روایات منها ان بعض الصحابة قرأ:

۱- (إن هذان إلا ساحران) بدل: إِنْ هذانِ لَساحِرانِ.

۲- إن ذان إلّا ساحران.

۳- (سنقرئک فلا تنساها) بدل: سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسی ۴- (صراط من أنعمت علیهم) بدل: صِراطَ الَّذِینَ أَنْعَمْتَ عَلَیْهِمْ و هناک مئات أخری من قراءات مختلفة نسبت إلی الصحابة زورا و بهتانا و لعلّها تبلغ الالوف و لا ینبغی لنا أن نضیع الوقت فی عدّها.

و- روایات انزل القرآن علی سبعة أوجه:

رووا عن الخليفة عمر بن الخطاب انه قال سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان على حروف كثيرة لم ى قرئنيها رسول اللّه (ص) فلببته بردائه، و قدته الى رسول اللّه (ص).

فقال: اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة الّتى سمعته يقرأ.

فقال الرسول (ص): كذلک أنزلت.

و قرأت القراءة التى أقرأنيها الرسول (ص). فقال الرسول (ص):

كذلک أنزلت ثم قال: ان القرآن أنزل على سبعة أحرف فلقرءوا ما تيسر منه ! و فى رواية أخرى كان ذلک مع رجل، فوقع فى صدر عمر شى ء، فضرب الرسول (ص) صدره و قال ثلاثا : ابعد شيطانا، ثم قال : يا عمر انّ القرآن كلّه صواب، ما لم تجعل رحمة عذابا او عذابا رحمة! و فى رواية أخرى عن عمرو بن العاص نظير ما تقدّم و ان رسول اللهّ (ص) قال لهم: ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأىّ ذلک قرأتم فقد أصبتم، أحسنتم و لا تماروا فيه فإنّ المراء كفر!

ص: ١٥

و عن أبىّ بن كعب انه اختلف فى القراءة مع اثنين آخرين فذهبوا الى رسول اللّه (ص) فقرأ الاثنان على الرسول اللّه (ص) خلاف القراءة التى كان أبىّ أخذها من النبى.

قال أبى: و صوّب النبى جميعها فسقط فى نفسى من التكذيب و لا إذ كنت فى الجاهلية، فضرب النبى فى صدرى، و قال : أرسل الىّ أن اقرأ القرآن على حرف، فقلت : هوّن على أمّتى فردّ إلىّ الثانية : اقرأه على حرفين فر ددت إليه أن هوّن على أمتى، فردّ إلىّ الثالثة: اقرأه على سبعة أحرف ! و فى رواية اخرى: ان النبى (ص) قال: ان جبرائيل و ميكائيل أتيانى فقعد جبرائيل عن يمينى و ميكائيل عن يسارى، فقال جبرائيل: اقرأ القرآن على حرف، فقال: اسرافيل: استزده، استزده، حتى بلغ سبعة أحرف، فكل حرف شاف و كاف.

و فى رواية اخرى : ليس منها إلا شاف كاف، إن قلت سميعا عليما، عزيزا حكيما، ما لم تختم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب! و فى رواية أخرى نظيرها الى قوله:

حتى بلغ سبعة أحرف ليس منها إلّا شاف كاف إن قلت : غفورا رحيما، أو قلت: سميعا عليما، أو عليما سميعا فاللّه كذلک ما لم تختم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب.

إلى عشرات الروايات الاخرى نظائر ما تقدم ذكرها.

ز- تقويم الروايات السابقة:

أولا- فى تلكم الروايات روايات إسرائيلية و روايات الغلاة و الزنادقة و من جملتها روايات موضوعة و مفتراة على اللّه و رسوله و كتابه، و فيها ما افترى بها على الصحابة و أئمة أهل البيت.

ثانيا- فى تلكم الروايات روايات صحيحة غير انّ فيها مصطلحات قرآنية

ص: ۱۶

تغيّرت معانيها، و تبدّلت بعد عصر الصحابة متدرّجا حتّى أصبح لها اليوم معان غير ال تى قصد منها فى القرآن و حديث الرسول (ص) و أحاديث الصحابة.

و استعمل ذلک المصطلح فى كتب علوم القرآن فى المعنى الجديد له خلافا للمعنى الذى استعمل فيه فى عصر الرسول حتى عصر الصحابة.

و أنتج كل ذلكم ما يأتى بيانه باذنه تعالى.

ح- نتائج الروايات و آثارها:

أولا- انّهم اعتقدوا بان فى القرآن الكريم آيات منسوخة التلاوة مع بقاء حكمها و أخرى منسوخ الحكم مع بقاء قراءتها و آيات أخرى منسوخة التلاوة و الحكم جميعا و على أثر ذلک تسابقوا فى استخراج الآيات الناسخة و المنسوخة لفظا أو حكما أو هما جميعا فى تلكم الروايات و سجّلوا نتائج ما توصلوا إليه فى عشرات المؤلفات بعنوان علم الناسخ و المنسوخ من علوم القرآن فى حين أنّ اللّه ما نسخ آية ممّا أنزل على رسوله فى القرآن الكريم لا لفظا و لا معنى و لا كليهما معا و نعوذ باللّه من هذا الافتراء الشنيع على اللّه الحكيم و كتابه الكريم.

ثانيا- انّ جملة ممّن سمّوا بالقرّاء الكبار اجازوا لأنفسهم أن يبدّلوا كلمات القرآن التى نزلت بلغة قريش و هوازن و قضاعة و تميم و طيئ و غيرهم من قبائل العرب . و بلغ بهم الأمر أن يتسابقوا فى البحث و التقصّى عن شواذّ اللهجات فى قبائل العرب و إن كان جرى ذلک على لسان بدو ىّ جاهل غير فصيح، و يجعلوا ذلک التلفظ الشاذّ الغلط قراءة لتلک الكلمة فى القرآن الكريم حتى بلغ عدد القراءات فى كلمة واحدة من كلمات القرآن الكريم عشر قراءات احداها لغة قريش مثل ما جرى لكلمة (عليهم) فى قوله تعالى فى سورة الحمد غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ.

و بعملهم هذا أجروا من التحريف على القرآن بما لم يجر نظيره على كتاب على وجه الأرض قطّ و هذا ما عناه الإمام الباقر فى قوله: (أمّا القرآن فقد

ص: ۱۷

حرّفوا).

ثالثا- إنّ تلكم الروايات المفترى بها على اللّه و رسوله و كتابه و أصحاب رسوله أدت إلى:

أ- عدم فهم معانى المصطلحات القرآنية فى أحاديث أخرى صحيحة.

ب- اعتقاد العلماء بوجود الناسخ و المنسوخ فى آيات القرآن الكريم.

ج- تجوّز القرّاء فی تحریف کلمات القرآن و اختلاقهم تلک القراءات الباطلة لها.

د- شوشت علی بعض المحدّثین أمثال الشیخ النوری الرؤیة الصحیحة لأمر القرآن الکریم و کتبوا فی شأن القرآن الکریم و قالوا ما لا یصحّ قوله و کتابته.

ه- وجد أمثال احسان الهی ظهیر و نظرائه فی نشر تلکم الأقوال و إذاعتها بأوسع ما یمکن من نشره و إذاعته، خیر وسیلة لنقد مدرسة أهل البیت (ع) و قدحها، فلم یألوا جهدا فی ذلک. و أعانهم علی نشرها فی جمیع بلاد العالم بعض أصحاب الطول و النفوذ و السیطرة بکلّ ما أوتوا من حول و قوّة.

رابعا- استند المستشرقون و خصوم الإسلام إلیها و رووا و کتبوا أن مصاحف الصحابة کانت تختلف بعضها مع بعض مثل مصاحف عمر و علی و أبی و ابن م سعود و ابن عباس و ابن الزبیر و أمهات المؤمنین عائشة و حفصة و أم سلمة و کذلک عدّوا أحد عشر مصحفا من مصاحف التابعین کانت تختلف بعضها مع بعض و ان الحجّاج غیّر من مصحف عثمان عشرة أماکن مثل یُسَیِّرُکُمْ فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ فی سورة یونس/ ۲۲ و التی کانت (هو الذی ینشرکم فی البر و البحر) فنسیت ما کان فی مصحف عثمان و بقی یقرأ فی القرآن ما غیره الحجّاج.

و قام المستشرقون بالبحث عن المؤلفات التی جاء فیها تغییر النصّ القرآنی مثل:

ج. برجشتر الذی استخرج من کتاب البدیع لا بن خالویه (شواذ القرآن) خاصّة و طبعته جمعیة المستشرقین الالمانیة بمصر سنة ۱۹۳۴ م سابع سبعة مما راقهم طبعها. و مثل: د. آرثر جفری الذی طبع کتاب المصاحف لابن أبی داود السجستانی (ت ۳۱۶) بمصر سنة ۱۹۳۶ م لما فیها من روایات من اختلاف المصاحف و القراءات.

ط- بدایة الوضع و الدسّ و الافتراء:

فی بحث (دواعی وضع الحدیث) من باب (مع معاویة) من المجلد الأول من کتاب أحادیث أم المؤمنین عائشة و فی ما یأتی من أبواب هذا الکتاب نری ان بدایة انتشار الروایات المختلفة و الأخبار الموضوعة کان بعد استخلاف معاویة و امتدّ ذلک علی طول عهد الخلافة الأمویّة.

و فی سنة ثلاث و أربعین بعد المائة عند ما أمر الخلیفة العباسی أبو جعفر المنصور بتدوین کتب العلم دوّن کلّما المحنا إلیه فی ما دوّن من کتب العلم و بقی العلماء یتداولونها و یتدارسونها جیلا بعد جیل، و یستنبطون منها ما یستنبطون حتی عصرنا الحاضر.

و نحن الیوم إذا أردنا أن ندرس تلکم الروایات و تلکم الاخبار لنمحّص الحق من الباطل منها یلزمنا أن ندرس بتوسع ظروف کل خبر منها، مثلا إذا أردنا أن ندرس ما نسب الی الحجّاج انه غیّر النصّ القرآنی الذی کان مکتوبا فی مصحف عثمان الذی أرسله الی البلاد و أنّ النصّ القرآنی الذی بایدینا فی زهاء عشرة موارد یختلف عما کتبه عثمان فی مصحفه لا

بدّ لنا أن ندرس أخبار عصر ولاية الحجاج و أخبار ما جرى بعده بتوسع لندرک أن ما افتروا على القرآن بان الحجاج غيّره مستحيل عادة.

و إذا أردنا أن ندرس خبر ما نسب الى الصحابى ابن مسعود من ا نه كان يحک من المصحف سورة الحمد و المعوذتين و نحن نعلم ان الخليفة عمر بعثه الى

ص: ١٩

الكوفة ليقرئهم القرآن لن يتيسر لنا معرفة الحقيقة و الافتراء الذى افترى به على ابن مسعود دون أن ندرس أسباب اختلاف ابن مسعود مع الولىد والى الكوفة، و الخليفة عثمان و كذلک الشأن فى دراسة ما عدا ذينكم الخبرين و من ثم رأينا انه لن يتيسر لنا دراسة كل تلكم الأخبار دون أن ندرس المجتمع الذى نزل فيه القرآن فى العصر الجاهلى ثم فى العصر الاسلامى فى مكّة مع قريش و المدينة فى ما يخص سيرة الرسول و م ع من كان يعاشره و هذا ما سميناه بالمجتمع الذى انتشر منه القرآن و تمتد دراسة المجتمع الذى انتشر منه القرآن بعد الرسول و تستوعب حكم الخلفاء أبى بكر و عمر و عثمان و على و معاوية حتى عصر الحجاج.

و بعد ذلک ندرس على قدر الاستطاعة تاريخ القرآن : نزوله و إقراءه و تدوينه فى مكة و المدينة و نختم المجلد الأول بدراسة المصطلحات القرآنية.

و فى ضوء هذه الدراسات ندرس بإذنه تعالى روايات مدرسة الخلفاء حول القرآن الكريم فى المجلد الثانى و روايات مدرسة أهل البيت فى المجلد الثالث.

و بناء على ما ذكرنا سيثبت فى بحوث الكتاب إن شاء اللّه تعالى انّ النصّ القرآنى كما هو بأيدينا أوحى اللّه به الى رسوله (ص) و أقرأه الرسول (ص) كذلک أصحابه.

و كلّما أوحى إلى رسوله (ص) من القرآن و بيان القرآن أمر من حضره من كتّابه بتدوينه على ما حضره من جلد و خشب و عظم كتف و ما شابهها، و أوصى عليا أن يجمعه من بعده ففعل.

و كذلک فعل كل من كان تعلّم الكتابة من أصحابه، و كذلک فعل التابعون فى عصر الصحابة.

و اقتضت سياسة الخلفاء من بعده أن يجردوا القرآن من حديث الرسول (ص) المبيّن لمعانى القرآن و بدءوا بذلک فى عصر أبى بكر و انتهى الأمر فى عصر عمر، و نسخ عليه سبع نسخ وزعها بين أمهات البلاد الإسلامية و أمر

ص: ٢٠

باحراق ما عند الصحابة من نسخ كتب فيها القرآن مع بيان الرسول (ص).

فكتب المسلمون بعد ذلک القرآن مجرّدا عن حديث الرسول (ص) جيلا بعد جيل حتى عصرنا الحاضر.

و لم تنس كلمة ممّا أوحى الى الرسول من القرآن و لم تزدد عليها و لم تنقص منها كلمة و لم تبدّل منها كلمة فى عصر من العصور.

و وضع على عهد معاوية فما بعد من عصور الخلافة الاموية روايات لتبرير عمل الخليفة عثمان فى شأن القرآن و سائر شئون سياسة الحكم على عهده بالاضافة إلى ذلک نسيت بعض معانى المصطلحات القرآنية مثل الاقراء و المقرئ الذى كان فى عصر الرسول (ص) و الصحابة بمعنى: تعليم تلاوة لفظ القرآن مع تعليم معنى اللفظ، و بسبب عدم معرفة معنى هذا المصطلح بالاضافة الى تلكم الاحاديث اختلقت قراءات مختلفة و أصبحت علما يتدارسونه جيلا بعد جيل.

و لعدم معرفة معنى مصطلح النسخ و الآية اختلف علم الناسخ و المنسوخ و ألّف فى أمثال هذه المختلقات مئات المؤلّفات.

و لا يتيسر درک حقيقة الروايات و الاخبار التى المحنا اليها آنفا و اللاتى سوف ندرسها فى المجلدين الثانى و الثالث من هذا الكتاب باذنه- تعالى- دون استيعاب كل البحوث التى أوردناها فى المجلد الاوّل باتقان و مع ان فى بسط بعض تلكم الاخبار ما يؤلم القلب غير ان فهم ما افترى على اللّه و رسوله (ص) و كتابه و اصحاب رسوله و فهم المصطلحات القرآنية لن يتيسر دون دراسة جميع ما نقلنا من أخبار و يا ليت تلک الحوادث لم تقع و لم نكن نضطر الى دراستها فى سبيل الدفاع عن كرامة كتاب اللّه الكريم.

منهج البحث:

لما كان الاستدلال على بعض العلوم النظرية يتوقف على تذكار بعض

ص: ٢١

البديهيات، و كنا فى هذه البحوث نخاطب عامة الناس المتخصص منهم بهذه العلوم و غير المتخصص و المسلم منهم و غير المسلم، اضطررنا أحيانا إلى شرح بعض المصطلحات التى يبحث عنها فى بدايات العلوم هى من البديهيات عند المشاركين فى العلوم الإسلامية، و أحيانا عند عامة المسلمين، كما إننا اضطررنا أحيانا إلى تكرار بعض المفاهيم التى سبق شرح ها، لما كان الاستدلال عليها فى البحث الجديد يتوقف على التذكير بتلک المفاهيم و خاصة الجديدة منها على المجتمع و ادرنا البحوث المذكورة وفق المخطط الآتى:

ص: ٢٣

مخطط البحوث القرآنية

المجلّد الأوّل: بحوث تمهيدية البحث الأوّ ل: ملامح المجتمع العربى الجاهلى الذى نزل فيه القرآن و خصائصه ١- النظام القبيلى.

٢- الوضع الاقتصادى فى الجزيرة العربية.

٣- النظم الاجتماعية.

۴- أديان العرب فی العصر الجاهلی.

البحث الثانی: من تاریخ القرآن.

أخبار القرآن علی عهد الرسول (ص).

أ- فی العصر المکی.

ب- فی العصر المدنی.

البحث الثالث: مصطلحات إسلامیّة قرآنیة المجلّد الثانی دراسات مقارنة لروایات مدرسة الخلفاء حول القرآن الکریم أ- الدلیل المشترک بین المدرستین.

ب- روایات البسملة و تناقضها و منشؤه.

ص: ۲۴

ج- روایات جمع القرآن و تناقضها.

د- روایات اختلاف المصاحف و روایات الزیادة و النقصان.

ه- روایات نزول القرآن علی سبعة أحرف و أربعون اجتهادا خاطئا فی تأویلها.

و- القراءات و القرّاء.

ز- بحوث النسخ و الإنساء.

ح- استناد المستشرقین بالروایات المختلفة و الاجتهادات الخاطئة فی التشکیک بثبوت النصّ القرآنی.

ط- دراسة الروایات السابقة و اجتهاداتهم الخاطئة.

المجلّد الثالث دراسة مقارنة لروایات مدرسة أهل البیت (ع) و ما نسب إلی مدرستهم من روایات

ص: ۲۵

بحوث تمهیدیة «۱» ملامح المجتمع العربی الجاهلی الذی نزل فیه القرآن و خصائصه

أ- النظام القبیلی.

ب- الوضع الاقتصادی فی الجزیرة العربیة.

ج- النظم الاجتماعية.

د- أديان العرب فى العصر الجاهلى.

ص: ٢٧

أولا- النظام القبيلى:

كان أكثر سكان الجزيرة العربية فى العصر الجاهلى قبائل رحلا يسكنون البادية. و نذكر فى ما يأتى شيئا من عاداتهم نقلا من كتاب تاريخ العرب قبل الإسلام بتصرف و إيجاز[٤]:

أمّا البدو، فهم القبائل الرّحّل المتنقّلون من جهة إلى أخرى طلبا للمرعى أو للماء، و الطبيعة هى الّتى تجبر البدوىّ على المحافظة على هذه الحياة.

و حياة البدوى حياة شاقّة مضنية، و لكنه- و هو متمتع بأكبر قسط من الحرية- يفضّلها على أى حياة مدنية أخرى.

هذه الحياة الخشنة هى الّتى جعلت القبائل يتقاتلون فى سبيل المرعى و الماء، و هى الّتى جعلت سوء الظنّ يغلب على طباعهم، فالبدوىّ ينظر إلى غيره نظرة العدوّ الّذى يحاول أخذ ما بيده أو حرمانه من المرعى.

إنّ البدوىّ فى الصحراء لا يهمّه إلّا المطر و المرعى، فأزمته الحقيقية انحباس المطر و قلّة المرعى، و لا يبالى بما يصيب العالم فى الخارج ما دامت أرضه مخضرة، و بعيره سمينا، و غنمه قد اكتنزت لحما و قد طبقت شحما.

أما إذا نما السكان و ضاقت بهم الأرض، أو لم تجد أراضيهم بالمرعى،

ص: ٢٨

فليس هناك سبيل إلا الزحف و القتال، أو الهجرة إن كان هناك سبيل إليها، و كذلك القبيلة التى غلبت على أمرها و حرمت من مراعيها و أراضيها ليس أمامها سبيل آخر سوى الهجرة.

و المرأة البدوية ترفض الزواج من غنى، إذا كان ابن صانع، أو أنّه من سلالة العبيد، أو كان نسبه القبيلى يحيط به شى ء من الشّكّ، فسلطان المال لا قيمة له عند العرب و مع وجود هذه الروح الارستقراطية الّتى تتجلّى فقط فى الزواج و رئاسة القبيلة و الحكم، فإنّه لا يكاد يوجد فارق فى طرق المعيشة الأخرى.

و من عادة القسم الأكبر من سكان الجزيرة- و لا سيما البدو- مخاطبة رؤسائهم بأسمائهم أو بألقابهم، لأنهم لا يعرفون الألقاب و ألفاظ التعظيم و التفخيم، فيقولون يا فلان و يا أبا فلان و يا طويل العمر.

---

[٤] (١) المفصّل فى تاريخ العرب قبل الاسلام تأليف الدكتور جواد على ط. بيروت سنة ١٩٧٦ م ١/ ٢٧٤- ٢٧٩.

و البدوى لا ينسى المعروف، و لا ينسى الإساءة كذلک، فإذا أسى ء إليه، و لم يتمكن من ردّ الإساءة فى الحال، كظم حقده فى نفسه، و تربص بالمسىء، حتى يجد فرصته فينتقم منه، فذاكرة البدوى ذاكرة قوية حافظة لا تنسى الأشياء.

و للبدو مهارة فائقة فى اقتفاء الأثر، و كثيرا ما كانت هذه المعر فة سببا فى اكتشاف كثير من الجرائم و لا تكاد تخلو قبيلة من طائفة منهم.

و القبائل العريقة المشهورة من حضر و بادية تحافظ على أنسابها تمام المحافظة و تحرص عليها كل الحرص، فلا تصاهر إلّا من يساويها فى النسب.

و القبائل المشكوک فى نسبها لا يصاهرها أحد من القبائل المعروفة.

و إنّ من الصعب عليه نبذ ما كان عليه آباؤه و أجداده من عادات و تقاليد فالتقاليد و العرف و ما تعارفت عليه القبيلة هى عنده قانون البداوة، و قانون البداوة دستور لا يمكن تخطيه و لا مخالفته، و من هنا يخطئ من يظنّ أنّ البداوة حريّة لا حدّ لها، و فوضى لا يردعها رادع، و أنّ الأعراب فرديّون لا يخضعون

ص: ٢٩

لنظام و لا لقانون على نحو ما يتراءى ذلک للحضرى أو للغريب.

إنّهم فى الواقع خاضعون لعرفهم القبيلى خضوعا صارما شديدا، و كلّ من يخرج عن ذلک العرف يطرد من أهله و يتبرأ قومه منه، و يضطر أن يعيش طريدا أو صعلوكا مع بقية الصعاليک.

و العربى رجل جاد صارم، لا يميل إلى هزل و لا دعابة، فليس من طبع الرجل أن يكون صاحب هزل و دعابة، لأنّهما من مظاهر الخفّة و الحمق، و لا يليق بالرجل أن يكون خفيفا، لهذا حذر فى كلامه و تشدّد فى مجلسه، و قلّ فى مجتمعه الإسفاف، و إذا كان مجلس عام، أو مجلس سيد قبيلة، روعى فيه الاحتشام و الابتعاد عن قول السخف، و الاستهزاء بالآخرين، و إلقاء النكات و المضحكات، حرمة لآداب المجالس و مكانة الرجال.

و إذا وجدوا فى رجل دعابة أو ميلا إلى الضحک أو إضحاک عابوه عليه و انتقصوا من شأنه كائنا من كان.

و عبارة مثل «لا عيب فيه غير أنّ فيه دعابة» أو «لا عيب فيه إلّا أنّ فيه دعابة» هى من العبارات الّتى تعبّر عن الانتقاص و الهمز و اللمز.

و البدوى محافظ متمسک بحياته و بما قدر له، معتزّ بما كتب له و إن كانت فى حياته خشونة و صعوبة و مشقة.

و لهذا كان للقبيلة قيمتها فى بلاد العرب، فالإنسان يقوى بأبنائه و أبناء عمومته الأقربين و الأبعدين، و إذا كانت القبيلة ضعيفة استقوت بالتحالف مع سواها حتّى يقوى الفريقان و يأمنا شر غيرهما من القبائل القويّة.

و قد جرى العرف أنّ القبائل تعتبر الأرض الّتى اعتادت رعيها، و المياه الّتى اعتادت أن تردها ملكا لها. لا تسمح لغيرها من القبائل الأخرى بالدنو منها إلّا بإذنها و رضاها، و كثيرا ما تأنس إحدى القبائل من نفسها القوة فتهجم بلا سابق إنذار على قبيلة أخرى، و تنتزع منها مراعيها و مياهها.

إن قبائل العرب ليسوا كلّهم سواء فى الشرّ و التعدّى على السابلة

ص: ٣٠

و القوافل، فبعضها قد اشتهر أمره بالكرم و السماحة و الترفع عن الدنايا، كما اشتهر بعضها بالتعدّى و سفک الدماء بلا سبب سوى الطمع فيما فى أيدى الناس.

ليس للبدوى قيمة حربية تذكر، و لذا كان اعتماد الأمراء على الحضر، فهم الذين يصمدون للقتال و يصبرون على بلائه و بلوائه.

و البدوى إذا لم يجد سلطة تردعه أو تضرب على يده يرى من حقّه نهب الغادى و الرائح، فالحقّ عنده هو القوّة يخضع لها، و يخضع غيره بها . على أنّ لهؤلاء قواعد للبادية معتبرة عندهم كقوانين يجب احترامها، فالقوافل الّتى تمر بأرض قبيلة و ليس معها من يحميها من أفراد هذه القبيلة معرضة للنهب، و لذا اعتادت القوافل قديما أن يصحبها عدد غير قليل من القبائل الّتى ستمر بأرضها و يسمّون هذا رفيقا.

و البدوى يحتقر الحضرى مهما أكرمه، كما ان الحضرى يحقر البدوى. فإذا وصف البدوى الحضرى، فانه فى الغالب يقول حضيرى تصغيرا لشأنه.

و من عادة البدوى الاستفهام عن كل شى ء، و انتقاد ما يراه مخالفا لذوقه أو لعادته بكل صراحة، فإذا مررت بالبدوى فى الصحراء استوقفک و سألک من أين أنت قادم؟ و عمن وراءک من المشايخ و الحكام؟ و عن المياه التى مررت بها؟

و عن أخبار الأمطار و المراعى، و عن أسعار الأغذية و القهوة؟ و عمن فى البلد من القبائل؟ و عن العلاقات السياسية بين الحكام بعضهم مع بعض[٥].

أوردنا ما جاء فى كتاب المفصل فى وصف عرب البادية فى العصر الحاضر لأنّا رأيناه كذلک يصدق على عرب البادية فى العصر الجاهلى حيث كان النظام القبيلى أساس النظم الاجتماعية فى الجزيرة العربية قبل مبعث الرسول (ص)

ص: ٣١

فقد كان المقاتل العربى يجاهد فى سبيل أمجاد قبيلته و مصالحها، و شاعر القبيلة ينظم القصائد فى سبيل إعلاء كلمة القبيلة و مولى القبيلة و حليف القبيلة و اللصيق بالقبيلة و المتبنّى كذلک يفعلون.

---

[٥] (٢) كان ذلكم قبل ان ينتشر الراديو و التلفاز عندهم.

و نذكر فى ما يأتى بإذنه- تعالى- الوضع الاقتصادى فى المجتمع العربى الجاهلى.

ص: ٣٢

ثانيا- الوضع الاقتصادى و مصادر الثروة فى الجزيرة العربية:

كانت قريش خاصة و سكان مكة عامة يمتهنون التجارة.

و اهل المدينة و القرى التى حواليها و أهل الطائف و المدن اليمانية و القرى العربية فى العراق و حوالى الشام يمتهنون الغرس و الزرع و تربية الماشية.

و كان من مصادر الثروة لأهل مكة و الطائ ف و المدينة خاصة و نادرا ما لغيرهم من العرب، الربا و القمار- الميسر- و الاكتساب من الجوارى فى البغاء.

و كان ما عدا سكان المدن من العشائر، قبائل رحل يتبدون و يتنقلون طلبا للماء و الكلأ لأنفسهم و لجمالهم و كان جلهم يغير البعض منهم على البعض الآخر فى غزوات يق اتلون فيها الرجال و يسبون النساء و الاطفال و ينهبون الأموال و لهم أسواق لتبادل السلع فيها و للمفاخرة و ما يتصل بها من انشاد شعرائهم ما أحدثوا من شعر و فى ما يأتى بيان ذلک بحوله تعالى.

أ و ب- التجارة و الايلاف

اتسعت تجارة قريش منذ عصر هاشم و اخوته، كما رواه القرطبى و غيره و اللفظ للقرطبى فى تفسير سورة قريش، قال:

كان أصحاب الايلاف أربعة أخوة: هاشم، و عبد شمس، و المطلب و نوفل، بنو عبد مناف.

فأما هاشم، فانه كان يؤلف ملک الشام، أى أخذ منه حبلا و عهدا يأمن به فى تجارته إلى الشام.

ص: ٣٣

و أخوه عبد شمس كان يؤلف إلى الحبشة.

و المطلب إلى اليمن.

و نوفل إلى فارس.

و معنى يؤلف يجير.

فكان هؤلاء الاخوة يسمون المجيرين. و كان تجار قريش يختلفون إلى الأمصار بحبل هؤلاء الاخوة، فلا يتعرض لهم.

و الايلاف: شبه الاجارة بالخفارة يقال: آلف يؤلف: إذا أجار الحمائل بالخفارة.

و الحمائل: جمع حمولة.

قال: و التأويل: ان قريشا كانوا سكان الحرم، و لم يكن لهم زرع و لا ضرع، و كانوا يميرون فى الشتاء و الصيف آمنين، و الناس يتخطّفون من حولهم، فكانوا إذا عرض لهم عارض قالوا : نحن أهل حرم اللّه، فلا يتعرض الناس لهم [6] و أخبر اللّه عن ذلک بقوله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ لِإِيلافِ قُرَيْشٍ * إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتاءِ وَ الصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هذَا الْبَيْتِ * الَّذِى أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَ آمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ و سيأتى فى بحث شظف العيش فى الجاهلية ان هاشما هو الذى سن لقريش الرحلتين للتجارة مع بيان سبب قيامه بذلک إن شاء اللّه تعالى:

ص: ۳۴

ج و د- الضرع و الزرع:

و لا حاجة لاطالة الكلام فى بيانهما.

ه- الربا

۱- فى سورة البقرة:

قالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبا فَمَنْ جاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهى فَلَهُ ما سَلَفَ وَ أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَ مَنْ عادَ فَأُولئِکَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ * يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا وَ يُرْبِى الصَّدَقاتِ وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَ أَقامُوا الصَّلاةَ وَ آتَوُا الزَّكاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ * يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ ذَرُوا ما بَقِىَ مِنَ الرِّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُسُ أَمْوالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَ لا تُظْلَمُونَ * وَ إِنْ كانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلى مَيْسَرَةٍ وَ أَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۲- فى سورة آل عمران:

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبوا أَضْعافاً مُضاعَفَةً وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَ اتَّقُوا النَّارَ الَّتِى أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ * وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (الآيات/ ۱۳۰- ۱۳۲)

تفسير الكلمات:

۱- الربا:

---

[6] (۱) تفسير القرطبى ط. بيروت سنة ۱۳۸۷ ه افست على الطبعة المصرية الثالثة ۲۰/ ۲۰۴.

شرح الفاظ الخبر: الاجارة: الاغاثة و الحماية و الخفارة: الامان و الحمولة: الابل التى تحمل.

ربا الشيء يربو رباء و ربوءا زاد و نما و الربا: الزيادة على رأس المال، و الربا المنهى عنه فى الاسلام نوعان:

ص: ٣٥

أ- أن يدفع انسان لآخر مبلغا من الذهب أو الفضة إلى أجل معين على أن يأخذ فى الاجل زيادة على رأس ماله.

ب- أن يدفع جنسا و يأخذ نفس الجنس مع زيادة فى الوزن مثل أن يبيع اناء مصنوعا من ذهب وزنه خمسون مثقالا و يأخذ بدله خمسا و خمسين مثقالا من الذهب النقد غير المصنوع.

٢- يمحق:

محق الشيء: نقصه، محق اللّه المال أذهب بركته.

٣- فاذنوا:

فاسمعوا باعلان حرب من اللّه.

۴- النظرة:

الامهال و التأخير.

۵- ذو عسرة:

ضيق ذات اليد و العجز عن الوفاء بالدين.

خبر الربا فى العصر الجاهلى:

كان الربا فى الجاهلية من مصادر الثراء لأهل مكة و الطائف و اليهود فى المدينة و حواليها.

و ذكر المفسرون مثل السيوطى فى تفسير وَ ذَرُوا ما بَقِيَ مِنَ الرِّبا أنواعا من الربا فى الجاهلية منها:

أن يكون للرجل على الرجل الحق إلى أجل فإذا حلّ الأجل قال:

أ تقضى أم تربى؟ فإن قضاه أخذ و إلّا زاده فى حقه و زاده الآخر فى الأجل.

و كان العباس عمّ النبى و رجل من بنى المغيرة شريكيين فى الجاهلية يسلفان فى الربا فجاء الاسلام و لهما أموال عظيمة فى الربا، و قال رسول اللّه (ص) فى خطبته فى حجة الوداع: ألا إن كل ربا فى الجاهلية موضوع فَلَكُمْ

ص: ٣۶

رُؤُسُ أَمْوالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَ لا تُظْلَمُونَ و أول ربا موضوع ربا العباس[۷].

و- الاكتساب ببغى الجوارى

قال ابن حبيب فى المحبر:

و من سننهم انهم كانوا يكسبون بفروج امائهم و كان لبعضهن راية منصوبة فى أسواق العرب، فيأتيها الناس فيفجرون بها، فأذهب الاسلام ذلک و أسقطه[۸].

روى الطبرى و السيوطى فى تفسير وَ لا تُكْرِهُوا فَتَياتِكُمْ عَلَى الْبِغاءِ و اللفظ للأول: انهم كانوا فى الجاهلية يأمرون إماءهم و ولائدهم يباغين يفعلن ذلک فيصبن فيأتينهم بكسبهن[۹].

و فى العقد الفريد:

و كان لبعضهن رايات على أبواب بيوتهن[۱۰].

و من جملتهن سمية جارية الحارث بن كلدة امرأة عبده عبيد و أم زياد بن أبيه.

و قد ذكرنا خبرها مع أبى سفيان و استلحاق معاوية اياه بنسبه فى بحث استلحاق نسب زياد فى المجلد الأول من كتاب عبد اللّه بن سبأ.

و كان فى المدينة جاريتان لعبد اللّه بن أبىّ يكتسب من أجر بغائهما، إحداهما معاذة و أرادها على نفسها قرشى من أسرى بدر و كانت قد أسلمت فأبت ذلک لإسلامها و كان أبىّ يضربها ليكرهها على ذلک رجاء أن تحمل للقرشى

ص: ۳۷

فيطلب فداء ولده، فأنزل اللّه تعالى:

وَ لا تُكْرِهُوا فَتَياتِكُمْ عَلَى الْبِغاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ مَنْ يُكْرِ هْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْراهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ[۱۱] (النور/ ۳۳).

شظف العيش فى الجاهلية:

---

[۷] (۲) تفسير السيوطى ۱/ ۳۶۶- ۳۷۷.

[۸] (۳) المحبر لابن حبيب ص ۳۴.

[۹] (۴) الطبرى ۱۸/ ۱۰۳، و الدر المنثور ۵/ ۴۷.

[۱۰] (۵) راجع العقد الفريد ط. القاهرة سنة ۱۳۷۵ ه ۵/ ۴.

[۱۱] (۶) تفسير الآية بتفسير الطبرى ط. بيروت سنة ۱۳۹۲ ه ۱۸/ ۱۰۳- ۱۰۴، و الدر المنثور ۵/ ۴۶- ۴۷.

إنّ الكثرة الكاثرة من العرب فى الجاهلية كانوا يعيشون فى فقر مدقع، يأكلون القد و العلهز و الفصيد و الهبيد من فرط الجوع، و يشربون الطرق و أحيانا الفظ من العطش.

قالت فاطمة ابنة رسول اللّه (ص) فى خطبتها للمهاجرين و الأنصار:

«و كنتم .. تشربون الطرق و تقتاتون القد»[١٢]

أ و ب- القد و الطرق:

قال ابن الأثير: الطرق: الماء الذى خاضته الإبل و بالت فيه و بعرت.

و قال فى مادة القدّ:

و منه حديث عمر: كانوا يأكلون القدّ يريد جلد السخلة فى الجدب.

قال المؤلف: يقصد الجلد غير المدبوغ.

ج- العلهز:

قال ابن الأثير و ابن منظور فى مادة العلهز:

فى دعائه (ع) على مضر: «اللهم اجعل عليهم سنين كسنى يوسف».

فابتلوا بالجوع حتى أكلوا العلهز، هو شىء يتخذونه فى سنين المجاعة

ص: ٣٨

يخلطون الدم بأوبار الابل ثم يشوونه بالنار و يأكلونه.

و قيل: كانوا يخلطون فيه القردان و يقال للقراد الضخم العلهز، و منه حديث عكرمة كان طعام أهل الجاهلية العلهز.

د- الهبيد

قال ابن الأثير و ابن منظور ما موجزه:

الهبيد: الحنظل يكسر و يستخرج حبّه و ينقع لتذهب مرارته و يتّخذ منه طبيخ يؤكل عند الضرورة و فى حديث عمر و أمّه فزودتنا من الهبيد.

---

[١٢] (٧) شرح النهج ١٦/ ٢٥٠.

ه- الفصيد و البجة:

قال ابن الأثير و ابن منظور فى مادة الفصيد ما موجزه:

و كانوا يفصدون عرق الناقة ليخرج الدم منه فيشرب، يفعلونه أيام الجوع . كما كانوا يأخذون ذلک الدم و يسخنونه إلى أن يجمد و يقوى فيطعم به الضيف فى شدّة الزمان، إذا نزل بهم ضيف فلا يكون عندهم ما يقريه، و يشح أن ينحر المضيف راحلته فيفصدها.

و (الفصيد) دم كان يوضع فى الجاهلية فى معى من فصد عرق البعير و يشوى و كان أهل الجاهلية يأكلونه و يطعمونه الضيف فى الأزمة.

و قال ابن الأثير- أيضا- فى تفسيرها:

و فى حديث أبى رجاء لما بلغنا أنّ النبىّ (ص) قد أخذ فى القتل هربنا فاستترنا شلو ارنب دفينا و فصدنا عليها فلا أنسى تلک الأكلة أى فصدنا على شلو الارنب بعيرا و أسلنا عليه دمه و طبخناه و أكلناه.

و قالا فى مادة البجّة ما موجزه:

و يقال للفصيد (البجّة) كذلک. و (البجّة) دم الفصيد، يأكلونها فى الأزمة.

و البج الطعن غير النافذ، فقد كانوا يفصدون عرق البعير و يأخذون الدم يتبلغون به فى السنة المجدبة . جاء فى الحديث: (إن اللّه قد أراحكم من الشجّة و البجّة).

ص: ٣٩

و- الفظ:

ماء كرش البعير.

و افتظّ البعير: شقّ كرشه، و اعتصر ماءه ليشربه، و كا ن المسافر فى الصحراء يسقى الإبل، ثمّ يشدّ أفواهها، لئلا تجترّ، فإذا عطش افتظها[١٣].

و فى تاريخ العرب قبل الإسلام لم يكن فى وسع كثير من الجاهليين الحصول على اللحم لفقرهم. فكانوا يأتدمون (الصليب) و هو الودک- ودک العظام- يجمعون العظام و يكسرونها و يطبخونها، ثم يجمعون الودک الذى يخرج منها ليأتدموا به.

و قد عرفوا ب (أصحاب الصلب).

---

[١٣] (٨) أخذنا موجز ما قاله ابن الأثير فى نهاية اللغة و ابن منظور فى لسان العرب بترجمة القد و العلهز و الهبيد و الفصيد و البجّة و الفظّ و أوردناه سياقا واحدا و أخذنا ترجمة الفظّ من مادته فى المعجم الوسيط.

و لما قدم الرسول مكّة (أتاه أصحاب الصلب الذين يجمعون العظام إذا لحب عنها لحمانها فيطبخونها بالماء و يستخرجون ودكها و يأتدمون به).

و لم يكن فى استطاعة الفقراء أكل الخبز لغلائه بالنسبة لهم. لذلک عدّ أكله من علائم الغنى و المال، و كان الذى يطعم الخبز و التمر يعد من السادة الكرام. و كان أحدهم يفتخر بقوله (خبزت القوم و تمرتهم)، بمعنى أطعمتهم الخبز و التمر.

و قد افتخر (بنو العنبر) بسيدهم (عبد اللّه بن حبيب العنبرى)، لأنّه كان لا يأكل التمر و لا يرغب فى اللبن، بل كان يأكل الخبز، فكانوا إذا افتخروا، قالوا: منّا آكل الخبز.

و كانوا يقولون (أقرى من آكل الخبز) لأنه كان جوادا.

و كان منهم من رضى و قنع بالدون من المعيشة، فعاش فى فقر مدقع،

و الدقع الرضا بالدون م ن المعيشة و سوء احتمال الفقر و اللصوق بالأرض من الفقر و الجوع، فهم ينامون على التراب و يلتحفون السماء، و الدوقعة الفقر و الذل، و جوع أدقع و ديقوع شديد، و هم مثل (بنو غبراء) فى الفقر و الحاجة، أولئک الذين توسدوا الغبراء و اتخذوا التربة فراشا لهم، لعدم وجود ملجأ لهم يأوون إليه، و لا مكان يحتمون به[۱۴].

كانت تلكم بعض انواع طعامهم فى ايام المخمصة و احيانا كانوا لا يجدون ما يقتاتون به، فيؤدى ذلک بهم الى الانتحار الذى كانوا يسمونه الاعتفاد كالآتى بيانه:

و كان بين الجاهليين فقراء معدمون مقعدون لم يملكوا من حطام هذه الدنيا شيئا، و كانت حالتهم مزرية مؤلمة، منهم من سأل الموسرين نوال إحسانهم، و منهم من تحامل على نفسه تكرما و تعففا، فلم يسأل غبا و لم يطلب من الموسرين حاجة، محافظة على كرامته و على ماء وجهه، مفضلا الجوع على الشبع بالاستجداء، حتى ذكر ان منهم من كان يختار الموت على الدنية، و الدنية هى أن يذهب الى رجل، فيتوسل إليه بأن يجود عليه بمعروف، و منهم من اعتقد، و الاعتفاد أن يغلق الرجل بابه على نفسه، فلا يسأل أحدا حتى يموت جوعا، و كانوا يفعلون ذلک فى الجدب، قيل : كانوا إذا اشتد بهم الجوع و خافوا أن يموتوا أغلقوا عليهم بابا و جعلوا حظيرة من شجرة يدخلون فيها ليموتوا جوعا[۱۵].

روى السيوطى بتفسيره سورة قريش عن عمر بن عبد العزيز انه قال:

كانت قريش فى الجاهلية تعتقد و كان اعتقادها: أنّ أهل البيت منهم كانوا إذا

---

[۱۴] (۹) تاريخ العرب قبل الاسلام تأليف الدكتور جواد على ۵/ ۸۰- ۸۱ ط. دار العلم فى بيروت سنة ۱۹۷۰ م.

[۱۵] (۱۰) مادة عفد من تاج العروس و تاريخ العرب قبل الاسلام ۵/ ۸۰.

سافت يعنى هلكت أموالهم خرج وا إلى برار من الأرض فضربوا على أنفسهم الأخبية ثمّ تناوبوا فيها حتّى يموتوا من قبل أن يعلم بخلتهم حتى نشأ هاشم ابن عبد مناف، فلما نبل و عظم قدره فى قومه قال يا معشر قريش إنّ العزّ مع الكثرة، و قد أصبحتم أكثر العرب أموالا و أعزّهم نفرا، و إنّ هذا الاعتفاد قد أتى على كثير منكم، و قد رأيت رأيا.

قالوا: رأيک راشد فمرنا نأتمر قال: رأيت أن أخلط فقراءكم بأغنيائكم فاعمد إلى رجل غنى، فأضم إليه فقيرا عياله بعدد عياله فيكون يوازره فى الرحلتين رحلة الصيف إلى الشام و رحلة الشتاء إلى اليمن، فما كان فى مال الغنى من فضل عاش الفقير و عياله فى ظله و كان ذلک قطعا للاعتفاد[16].

قالوا نعم ما رأيت فألف بين الناس[17].

و تفصيل الخبر بتفسير السورة عند القرطبى و بعضه بمادة (عفد) من لسان العرب و أكثر لفظ الخبر من القرطبى عن ابن عباس انه قال:

إن قريشا كانوا إذا أصابت واحدا منهم مخمصة [18] جرى هو و عياله إلى موضع معروف، فضربوا على أنفسهم خباء فماتوا، حتى كان عمرو بن عبد مناف، و كان سيدا فى زمانه، و له ابن يقال له: أسد، و كان له ترب[19] من بنى مخزوم، يحبه و يلعب معه، فقال له: نحن غدا نعتفد و تأويله: ذهابهم إلى ذلک الخباء، و موتهم واحدا بعد واحد.

قال: فدخل أسد على أمّه يبكى، و ذكر ما قاله تربه.

قال: فأرسلت أم أسد إلى أولئک بشحم و دقيق، فعاشوا به أياما، ثم إن تربه أتاه أيضا فقال: نحن غدا نعتفد، فدخل أسد على أبيه يبكى، و خبره خبر

تربه، فاشتدّ ذلک على عمرو بن ع بد مناف، فقام خطيبا فى قريش و كانوا يطيعون أمره، فقال: إنكم أحدثتم حدثا تقلون فيه و تكثر العرب، و تذلون و تعزّ العرب، و أنتم أهل حرم اللّه- جل و عز- و أشرف ولد آدم، و الناس لكم تبع، و يكاد هذا الاعتفاد يأتى عليكم.

فقالوا: نحن لک تبع.

قال: ابتدءوا بهذا الرجل- يعنى أبا ترب أسد- فأغنوه عن الاعتفاد ففعلوا، ثم إنّه نحر البدن، و ذبح الكباش و المعز، ثم هشم الثريد، و أطعم الناس، فسمّى هاشما، و فيه قال الشاعر:

---

[16] (۱۱) فى الاصل نحتفد و الاحتفاد تحريف.

[17] (۱۲) تفسير السيوطى ۶/ ۳۹۷.

[18] (۱۳) المخمصة: المجاعة.

[19] (۱۴) الترب(بالكسر): اللدة و مساويک فى السن و من ولد معک.

عمرو العلا هشم الثريد لقومه و رجال مكة مسنتون [20] عجاف

ثم جمع كل بنى أب على رحلتين: فى الشتاء إلى اليمن، و فى الصيف إلى الشام للتجارات، فما ربح الغنى قسمه بينه و بين الفقير، حتّى صار فقيرهم كغنيهم؛ فجاء الإسلام و هم على هذا، فلم يكن فى العرب بنو أب أكثر مالا و لا أعزّ من قريش، و هو قول شاعرهم:

و الخالطون فقيرهم بغنيهم حتّى يصير فقيرهم كالكافى

فلم يزالوا كذلک، حتّى بعث اللّه رسوله محمدا (ص)، فقال: فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هذَا الْبَيْتِ الَّذِى أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ بصنيع هاشم وَ آمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ أن تكثر العرب و يقلوا[21].

و مع ذلک- أيضا- لم يكن كلّ أفراد قريش أثرياء مرفّهين، بل كانت الكثرة ا لكاثرة منهم يتحملون السغب و الجوع، و من ثمّ كانت كثرة العيال لهم محنة يتعسر عليهم تحمّلها.

و نذكر مثالين من سيرة الرسول كدليل على الوضع الاقتصادى لدى

ص: ۴۳

سروات مكة:

أ- روى ابن اسحاق و قال:

إن قريشا أصابتهم أزمة شديدة، و كان أبو طالب ذا عيال كثير؛ فقال رسول اللّه (ص) للعبّاس عمّه، و كان من أيسر بنى هاشم: يا عبّاس، إن أخاک أبا طالب كثير العيال، و قد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا إليه فلنخفف عنه من عياله، آخذ من بنيه رجلا و تأخذ أنت رجلا فنكلهما عنه؛ فقال العبّاس: نعم.

فانطلقا حتى أتيا أبا طالب، فقالا له: إنا نريد أن نخفف عنک من عيالک حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه.

فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لى عقيلا و طالبا فاصنعا ما شئتما.

---

[20] (۱۵) مسنتون: أى أصابتهم السنة. و السنة: الجدب و القحط.

[21] (۱۶) تفسير القرطبى ۲۰/ ۲۰۴- ۲۰۵.

فأخذ رسول اللّه (ص) عليا فضمّه إليه، و أخذ العباس جعفرا فضمه إليه؛ فلم يزل علی مع رسول اللّه (ص) حتّی بعثه اللّه- تبارک و تعالی- نبيّا، فاتّبعه علی- رضی اللّه عنه- و آمن به و صدّقه؛ و لم يزل جعفر عند العباس حتی أسلم و استغنی عنه[۲۲].

كانت إعالة الذكور من الأولاد مشكلة لغير ذوی اليسار فی سنة الجدب و القحط.

أمّا إعالة البنات، فقد كانت مشكلة فی العصر الجاهلی تعمّ الفقير منهم و ذوی اليسار فی سنی الجدب و الرخاء كما نری ذلک فی الخبر الآتی:

ب- روی ابن اسحاق- أيضا- و قال:

كان رسول اللّه (ص) قد زوج عتبة بن أبی لهب رقية أو أمّ كلثوم، فلما بادی قريشا بأمر اللّه- تعالی- و بالعداوة، قالوا: إنّكم قد فرغتم محمدا من همّه، فردّوا عليه بناته، فاشغلوه بهنّ. فمشوا إلی أبی العاص فقالوا له: فارق

ص: ۴۴

صاحبتک و نحن نزوّجک أی امرأة من قريش شئت؛ قال : ها للّه[۲۳]، إنی لا أفارق صاحبتی، و ما أحبّ أن لی بامرأتی امرأة من قريش.

و كان رسول اللّه (ص) يثنی عليه فی صهره خيرا، فيما بلغنی.

ثمّ مشوا إلی عتبة بن أبی لهب، فقالوا له: طلق بنت محمد و نحن ننكحک أی امرأة من قريش شئت.

فقال: إن زوجتمونی بنت أبان بن سعيد بن العاص، او بنت سعيد بن العاص فارقتها فزوجوه بنت سعيد بن العاص، و فارقها، و لم يكن دخل بها فأخرجها اللّه من يده كرامة لها و هوانا له، و خلف عليها عثمان بن عفّان بعده[۲۴].

إنّ قريشا لما أرادت أن تكيد برسول اللّه كيدا يقعده عن دعوته للتوحيد عمدت الی إرجاع بناته الی بيته ليشغلوه بهنّ عن مقارعتهم و مقابلتهم.

و ذلک لان المرأة لم تكن تشترک يومذاک فی الغزو و لا فی سفر التجارة و غيرهما من الأعمال الجالبة للثروة، و من ثم كانت أبدا و دائما عالة علی الرجل و كان ذلک أهم سبب لوأد البنات فی الجاهلية، كما نشير إلی بعض أخبارها فی ما يأتی بحوله تعالی.

وأد البنات:[۲۵]

---

[۲۲] (۱۷) ابن هشام ۱/ ۲۶۳.

[۲۳] (۱۷) هكذا النص و نراه من خطأ النساخ و الصواب: لاها اللّه.

[۲۴] (۱۸) ابن هشام ۲/ ۲۰۶- ۲۰۷؛ و ط. مصر سنة ۱۳۵۶، ۲/ ۲۹۶.

كانت العرب تئد البنات بسبب الفقر و حمية الجاهلية، أمّا الفقر، فقد أخبر اللّه عنه و قال سبحانه فى سورة الاسراء:

وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَ إِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كانَ خِطْأً كَبِيراً (الآية/ ٣١)

ص: ۴۵

و قال تعالى وَ إِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ* بِأَىِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (التكوير/ ٨- ٩) قال القرطبى: الموءودة المقتولة؛ و هى الجارية تدفن و هى حيّة، سميت بذلک لما يطرح عليها من التراب، فيئودها أى يثقلها حتى تموت.

و روى عن ابن عباس أنّه قال:

كانت المرأة فى الجاهلية إذا حملت حفرت حفرة، و تمخضت على رأسها، فإن ولدت جارية رمت بها فى الحفرة، وردت التراب عليها، و إن ولدت غلاما حبسته، و منه قول الراجز:

سميتها إذ ولدت تموت و القبر صهر ضامن زمّيت

[۲۶] الزِّمِّيت الوقور.

و فى تفسير الطبرى ما موجزه : كان الرجل من ربيعة أو مضر يشترط على امرأته، أن تستحى جارية و تئد أخرى، فإذا كانت الجارية التى توأد غدا الرجل أو راح من عند امرأته، و قال لها : أنت علىّ كظهر أمّى إن رجعت إليک و لم تئديها، فتخدّ لها فى الأرض خدّا و ترسل إلى نسائها فيجتمعن عندها ثم يتداولنها حتّى إذا أبصر ته راجعا دستها فى حفرتها ثم سوت عليها التراب[۲۷].

قال المؤلف: و نظير هذا اسقاط الجنين المتداول فى عصرنا.

و فى تفسير القرطبى و الطبرى عن قتادة، قال : كانت الجاهلية يقتل أحدهم ابنته، و يغذو كلبه، فعاتبهم اللّه على ذلک، و توعدهم بقوله: وَ إِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ[۲۸].

قال المؤلف:

ص: ۴۶

---

[۲۵] (١٩) و ان وأد البنات يعدّ- أيضا- من النظم الاجتماعية فى العصر الجاهلى.

[۲۶] (٢٠) تفسير القرطبى ١٩/ ٢٣٧- ٢٣٣.

[۲۷] (٢١) تفسير الطبرى ٨/ ٣٨،(بولاق) فى تفسير\i(قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ)\E.

[۲۸] (٢٢) ما نقلناه عن القرطبى الى هنا ففى تفسيره الجامع ١٩/ ٢٣٢- ٢٣٣ و الخبر الأخير رواه الطبرى- أيضا- فى تفسيره ٣٠/ ۴۶.

إنّما كانوا يغذون كلبهم، لأنّه كان ينفعهم فى حراسة بيتهم و ماشيتهم بينما لم تكن البنت تجلب لاولئک الوائدين نفعا.

كانت تلكم أمثلة من الوأد خشية الإملاق، أما الوأد بسبب الحمية حميّة الجاهلية فكالآتية أخبارها:

الوأد بداعى الحمية الجاهلية

ذكر أهل الأخبار أنّ بعض السبايا من نساء أشراف القبائل اخترن البقاء عند من سباهنّ و أبين الرجوع إلى عشائرهن عند المصالحة فأثار ذلک عندهم حميّة الجاهليّة و وأدوا بناتهم كما روى أبو الفرج فى الأغانى فى خبر قيس بن عاصم التميمى السعدى و قال:

أن سبب وأد قيس بناته أن المشمرج اليشكرى أغار على بنى سعد فسبى منهم نساء و استاق أموالا، و كان فى النساء امرأة، خالها قيس بن عاصم، فرحل قيس إليهم يسألهم أن يهبوها له أو يفدوها، فوجد عمرو بن المشمرج قد اصطفاها لنفسه. فسأله فيها، فقال: قد جعلت أمرها إليها فإن اختارتک فخذها، فخيرت، فاختارت عمرو بن المشمرج . فانصرف قيس فوأد كل بنت، و جعل ذلک سنة فى كل بنت تولد له، و اقتدت به العرب فى ذلک؛ فكان كل سيّد يولد له بنت يئدها خوفا من الفضيحة.

و قال:

وفد قيس بن عاصم على رسول اللّه (ص) فسأل بعض الأنصار عما يتحدث به عنه من الموءودات التى و أدهن من بناته؛ فأخبر أنّه ما ولدت له بنت قط إلّا وأدها . ثم أقبل على رسول اللّه (ص) يحدثه فقال له: كنت أخاف سوء الأحدوثة و الفضيحة فى البنات، فما ولدت لى بنت قط إلّا وأدتها، و ما رحمت منهن

موءودة قط إلّا بنية لى ولدتها أمّها و أنا فى سفر فدفعتها أمّها إلى أخوالها فكانت فيهم؛ و قدمت فسألت عن الحمل، فأخبرتنى المرأة أنها ولدت ولدا ميتا.

و مضت على ذلک سنون حتى كبرت الصبية و يفعت فزارت أمّها ذات يوم، فدخلت فرأيتها و قد ضفرت شعرها و جعلت فى قرونها شيئا من خلوق و نظمت عليها و دعا، و ألبستها قلادة جزع، و جعلت فى عنقها مخنقة بلح: فقلت:

من هذه الصبية فقد أعجبنى جمالها و كيسها؟ فبكت ثم قالت: هذه ابنتک، كنت خبرتک أنّى ولدت ولدا ميتا، و جعلتها عند أخوالها حتّى بلغت هذا المبلغ.

فأمسكت عنها حتّى اشتغلت عنها، ثم أخرجتها يوما فحفرت لها حفيرة فجعلتها فيها و هى تقول : يا أبت ما تصنع بى؟! و جعلت أقذف عليها التراب و هى تقول:

يا أبت أ مغطىّ أنت بالتراب؟ ! أ تاركى أنت وحدى و منصرف عنى؟ ! و جعلت أقذف عليها التراب ذلک حتّى واريتها و انقطع صوتها، فما رحمت أحدا ممن واريته غيرها . فدمعت عينا النبى (ص) ثم قال: «إنّ هذه لقسوة، و إنّ من لا يرحم لا يرحم»[۲۹].

و قال القرطبى:

انّ قيس بن عاصم سأل النبى (ص) و قال: يا رسول اللّه! إنّى وأدت ثمانى بنات كنّ لى فى الجاهلية.

قال: «فأعتق عن كلّ واحدة منهم رقبة».

قال: يا رسول اللّه إنّى صاحب إبل.

قال: «فأهد عن كلّ واحدة منهن بدنة إن شئت»[۳۰].

ص: ۴۸

و قال (القرطبى): «إنّه كان من العرب من يقتل ولده خشية الإملاق، كما ذكر اللّه- عزّ و جل- و كان منهم من يقتله سفها بغير حجّة منهم فى قتلهم، و هم ربيعة و مضر، كانوا يقتلون بناتهم لأجل الحميّة.

و روى أنّ رجلا من أصحاب النبىّ (ص) و كان لا يزال مغتما بين يدى رسول اللّه (ص)، فقال له رسول اللّه (ص): مالک تكون محزونا؟

فقال: يا رسول اللّه، إنى أذنبت ذنبا فى الجاهلية فأخاف ألّا يغفره اللّه لى و إن أسلمت.

فقال له: أخبرنى عن ذنبک.

فقال: يا رسول اللّه، إنّى كنت من الّذين يقتلون بناتهم، فولدت لى بنت، فتشفعت إلى امرأتى أن أتركها، فتركتها حتّى كبرت و أدركت، و صارت من أجمل النساء، فخطبوها، فدخلتنى الحميّة، و لم يحتمل قلبى أن أزوجها أو أتركها فى البيت بغير زواج، فقلت للمرأة: إنى أريد أن أذهب إلى قبيلة كذا و كذا فى زيارة أقربائى، فابعثيها معى، فسرّت بذلک، و زيّنتها بالثياب و الحلى، و أخذت على المواثيق بألّا أخونها.

فذهبت الى رأس بئر فنظرت فى البئر ففطنت الجارية أنى أريد أن ألقيها فى البئر فالتزمتنى، و جعلت تبكى، و تقول: يا أبت ايش تريد أن تفعل بى؟

---

[۲۹] (۲۳) الأغانى ط. ساسى ۱۲/ ۱۴۴ و ط. بيروت ۱۴/ ۶۶. و الخلوق: ضرب من الطيب، و الودع: خرز بيض أجوف فى بطونها شقّ كشقّ النواة تتفاوت فى الصغر و الكبر و الواحدة: ودعة و الجزع: الخرز اليمانى الصينى فيه سواد و بياض و المخنقة: القلادة و كيسها: عقلها.

[۳۰] (۲۴) القرطبى، التفسير الجامع، ۱۹/ ۲۳۳ و(ثمانى) فى النص كذا: ثمان.

فرحمتها، ثم نظرت فى البئر، فدخلت على الحميّة، ثم التزمتنى و جعلت تقول: يا أبت لا تضيع أمانة أمّى! فجعلت مرّة أنظر فى البئر و مرّة أنظر إليها فأرحمها حتّى غلبنى الشيطان، فأخذتها و ألقيتها فى البئر منكوسة، و هى تنادى فى البئر: يا أبت، قتلتنى.

فمكثت هناك حتى انقطع صوتها فرجعت.

فبكى رسول اللّه (ص) و أصحابه، و قال: «لو أمرت أن أعاقب أحدا بما

فعل فى الجاهلية لعاقبتک»[۳۱].

و فى شأن هؤلاء أنزل اللّه تعالى فى سورة النحل/ ۵۸:

وَ إِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ كَظِيمٌ و لمّا كانوا يعتقدون بأن اللّه اصطفى من الملائكة بنات له كما سيأتى ذكره بحوله تعالى فى بحث أديان العرب قال سبحانه:

وَ إِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِما ضَرَبَ لِلرَّحْمنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ كَظِيمٌ (الزخرف/ ۱۷).

قال ابن الاثير فى ترجمة صعصعة من أسد الغابة ما موجزه:

صعصعة بن ناجية جدّ الفرزدق همام بن غالب الشاعر، و كان من أشراف بنى تميم، و كان فى الجاهليّة يفتدى الموءودات و قد مدحه الفرزدق بذلک فى قوله:

و جدّى الذى منع الوائدات و أحيا الوئيد فلم يوأد

قال قدمت على النبى (ص) فعرض علىّ الإسلام، فأسلمت و علمنى آيا من القرآن فقلت : يا رسول اللّه أنّى عملت أعمالا فى الجاهليّة فهل لى فيها من أجر. قال: و ما عملت، قلت: ضلّت ناقتان لى عشراوان، فخرجت أبغيهما على جمل لى، فرفع لى بيتان فى فضاء من الأرض، فقصدت قصدهما، فوجدت فى أحدهما شيخا كبيرا فبينما هو يخاطبنى و أخاطبه إذ نادته امرأة قد ولدت قال و ما ولدت . قالت جارية قال فادفنيها فقلت أنا أشترى منک روحها لا تقتلها فاشتريتها بناقتىّ و ولديهما و البعير الّذى تحتى و ظهر الإسلام و قد أحييت ثلاثمائة و ستين موءودة أشترى كلّ واحدة منهن بناقتين عشراوين و جمل. فهل لى من

[۳۱] (۲۵) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ۵/ ۹۳؛ و القرطبى، تفسير سورة الأنعام الآية ۱۴۰، ۷/ ۹۶- ۹۷.

أجر؟ فقال رسول اللّه (ص) هذا باب من البرّ لک أجره إذ من اللّه عليک بالإسلام[٣٢].

ص: ٥١

ثالثا- النظم الاجتماعية:

بدأنا بذكر النظم القبيلة و الوضع الاقتصادى و ما يتصل بهما من شئون العرب فى العصر الجاهلى . و فى ما يأتى نذكر بعض مظاهر النظم الاجتماعية فى العصر الجاهلى بإذنه تعالى.

و نبدأ بذكر حمية الجاهليّة و حكمها.

أ- حميّة الجاهلية و حكمها

قال اللّه- سبحانه-:

١- فى سورة المائدة:

... بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَ إِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفاسِقُونَ ❊ أَ فَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (الآيات/ ٤٩- ٥٠) ٢- فى سورة الفتح:

إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلى رَسُولِهِ وَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ أَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوى وَ كانُوا أَحَقَّ بِها وَ أَهْلَها وَ كانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً (الآية/ ٢٦) و فى سورة المائدة:

لا يُؤاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمانِكُمْ وَ لكِنْ يُؤاخِذُكُمْ بِما عَقَّدْتُمُ الْأَيْمانَ

ص: ٥٢

فَكَفَّارَتُهُ إِطْعامُ عَشَرَةِ مَساكِينَ مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمانِكُمْ إِذا حَلَفْتُمْ وَ احْفَظُوا أَيْمانَكُمْ كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ❊ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ وَ الْأَنْصابُ وَ الْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (الآيات/ ٨٩- ٩٠) هذا ما أخبر اللّه- سبحانه و تعالى- عن حمية الجاهلية، و فى ما يأتى نذكر بإذنه تعالى تفصيل النظم الاجتماعية فى العصر الجاهلى.

ب- حكّام العرب:

قال اليعقوبى:

---

[٣٢] (٢٦) أسد الغابة ٣/ ٢٢- ٢٣.

و كان للعرب حكام ترجع إليها فى أمورها، و تتحاكم فى منافراتها، و مواريثها، و مياهها، و دمائها، لأنه لم يكن دين يرجع إلى شرائعه، فكانوا يحكّمون أهل الشرف، و الصدق و الأمانة، و الرئاسة، و السنّ، و المجد، و التجربة.

ثم ذكر أسماء ثلاثة و عشرين منهم من ضمنهم خمسة كانوا من قريش مثل عبد المطلب[۳۳].

ج- شعراء العرب و أثر الشعر فى الانسان العربى:

قال اليعقوبى و كانت العرب تقيم الشعر مقام الحكمة و كثير العلم، فإذا كان فى القبيلة الشاعر الماهر، المصيب المعانى، المخير الكلام، أحضروه فى أسواقهم التى كانت تقوم لهم فى السنة و مواسمهم عند حجهم البيت، حتى تقف و تجتمع القبائل و العشائر، فتسمع شعره، و يجعلون ذلک فخرا من فخرهم، و شرفا من شرفهم.

ص: ۵۳

و لم يكن لهم شىء يرجعون إليه من أحكامهم و أفعالهم إلا الشعر، فبه كانوا يختصمون، و به يتمثلون، و به يتفاضلون، و به يتقاسمون، و به يتناضلون، و به يمدحون و يعابون.

فكان ممن قدم شعره فى جاهلية العرب على ما اجتمعت عليه الرواة و أهل العلم بالشعر، و جاءت به الآثار و الأخبار من شعراء العرب فى جاهليتها مع من أدركه الاسلام، فسمّى مخضرما، فإنهم دخلوا مع من تقدم، فسموا الفحول، و قدّموا على تقدّم أشعارهم فى الجودة، فإن كان بعضهم أقدم من بعض و هم على ما بينا من أسمائهم و مراتبهم على الولاء، فأوّلهم امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو آكل المرار بن معاوية بن ثور، و هو كندة.

ثم ذكر أسماء ثمانية و ثمانين شاعرا بأنسابهم[۳۴].

و فى المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام[۳۵].

و رووا ان المحلق كان ممن رفعه الشعر بعد الخمول، و ذلک أن الأعشى قدم مكة و تسامع الناس به، و كانت للمحلق امرأة عاقلة، و قيل بل أم، و كان المحلق فقيرا خامل الذكر، ذا بنات، فأشارت عليه، أن يكون أسبق الناس اليه فى دعوته الى الضيافة، ليمدحهم، ففعل. فلما أكل الأعشى و شرب، و أخذت منه الكأس، عرف منه أنه فقير الحال، و أنه ذا عيال، فلما ذهب الأعشى الى عكاظ أنشد قصيدته:

أرقت و ما هذا السهاد المؤرق و ما بى من سقم و ما بى معشق

---

[۳۳] (۱) تاريخ اليعقوبى ۱/ ۲۵۸.

[۳۴] (۲) تاريخ اليعقوبى ۱/ ۲۶۲- ۲۶۹.

[۳۵] (۳) المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ۹/ ۱۰۹- ۱۱۳.

ثم مدح المحلق، فما أتمّ القصيدة إلا و الناس ينسلون الى المحلق يهنئونه، و الأشراف من كل قبيلة يتسابقون إليه جريا يخطبون بناته، لمكان شعر الأعشى.

ص: ۵۴

و يذكر الرواة أن القبيلة كانت إذا نبغ فيها شاعر احتفلت به، و فرحت بنبوغه، و أتت القبائل فهنأتها بذلک، و صنعت الأطعمة، و اجتمعت النساء يلعبن بالمزاهر، و تباشروا به لأنه حماية لهم، و لسانهم الذاب عنهم المدافع عن أعراضهم و أحسابهم و شرفهم بين الناس. و كانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد أو فرس تنتج أو شاعر ينبغ فيهم[۳۶].

فالشاعر هو صحيفة القبيلة و (محطة إذاعتها)، و صوته، يحط و يرفع و يخلد، لا سيما إذا كان مؤثرا، فيرويه الناس جيلا بعد جيل.

و كان أثره فى الناس أثر السيف فى الحروب، بل استعمله المحاربون أول سلاح فى المعارک . فيبدأ الفارس بالرجز، ثم يعمد الى السيف أو الرمح أو آلات القتال الأخرى . و لأثره هذا، جاء فى الحديث عن الرسول قوله : «و الذى نفسى بيده، لكأنما تنضحونهم بالنبل بما تقولون لهم من الشعر »[۳۷] مخاطبا بذلک شعراء المسلمين، الذين حاربوا الوثنيين بهذا السلاح الفتاک، سلاح الشعر.

و قد كان الوثنيون قد أشهروه أيضاو حاربوا به المسلمين .

و طالما قام الشعراء بالسفارة و الوساطة فى النزاع الذى كان يقع بين الملوک و القبائل، أو بين القبائل أنفسها، فلما أسر (الحارث بن أبى شمر) الغسانى (شأس بن عبدة) فى تسعين رجلا من (بنى تميم)، و بلغ ذلک أخاه (علقمة ابن عبدة)، قصد (الحارث) فمدحه بقصيدته:

طحا بک قلب بالحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب

فلما بلغ طلبه بالعفو عن أخيه و عن بقية المأسورين، قال الحارث: نعم و أذنبه، و أطلق له شأسا أخاه، و جماعة أسرى بنى تميم، و من سأل فيه أو عرفه من غيرهم[۳۸].

ص: ۵۵

---

[۳۶] (۴) بلوغ الارب ۳/ ۸۴، العمدة، ۱/ ۴۹، ۶۵، المزهر ۳/ ۲۳۶، العقد الفريد ۳/ ۹۳.

[۳۷] (۵) الأغانى ۱۵/ ۲۶ و ط. بيروت ۱۶/ ۱۶۵.

[۳۸] (۶) العمدة ۱/ ۵۷،(أسر الحارث بن أبى شمر الغسانى مع سبعين رجلا من بنى تميم)، الشعر و الشعراء(۱/ ۱۴۷ و ما بعدها.

و لم يقلّ أثر الشاعر فى السلم و فى الحرب عن أثر الفارس، الشاعر يدافع عن قومه بلسانه، يهاجم خصومهم، و يهجو سادتهم، و يحث المحاربين على الاستماتة فى القتال، و يبعث فيهم الشهامة و النخوة للإقدام على الموت حتى النصر . و الفارس يدافع عن قومه بسيفه، و كلاهما ذاب عنهم محارب فى النتيجة.

بل قد يقدم الشاعر على الفارس، لما يتركه الشعر من أثر دائم فى نفوس العرب، يبقى محفوظا فى الذاكرة و فى اللسان، يرويه الخلف عن السلف، بينما يذهب أثر السيف، بذهاب فعله فى المعركة، فلا يترك ما يتركه شعر المديح أو اله جاء من أثر فى النفوس، يهيجها حين يذكر، و كان من أثره ان القبائل كانت إذا تحاربت جاءت بشعرائها، لتستعين بهم فى القتال . فلما كان يوم (أحد)، قال (صفوان بن أمية) لأبى عزة عمرو بن عبد اللّه الجمحى : «يا أبا عزة انک امرؤ شاعر فأعنّا بلسانک، فاخرج معنا. فقال: إن محمدا قد منّ علىّ و لا أريد أن أظاهر عليه.

قال: فاعنا بنفسک، فلک اللّه على إن رجعت أن أغنيک، و إن أصبت أن أجعل بناتک مع بناتى يصيبهن ما أصابهن من عسر و يسر، فخرج أبو عزة يسير فى تهامة و يدعو بنى كنانة» شعرا الى السير مع قريش لمحاربة المسلمين[٣٩].

و كان للرسول (ص) شاعره (حسان بن ثابت) يدافع عن الإسلام و المسلمين، و كان للمشركين من أهل مكة شاعرهم (عبد اللّه بن الزبعرى) يرد عليه، و يهاجم المسلمين فى السلم و فى المعارک.

و قد دوّنت كتب السير و الأخبار و التواريخ أشعارهم و ما قاله أحدهم فى الآخر، و قد فات منه شى ء كثير، نص رواة الشعر على أنهم تركوه لما كان فيه من سوء أدب و خروج على المروءة.

و كان الى جانب الشاعرين شعراء آخرون، منهم من ناصر المسلمين،

ص: ۵۶

لأنه كان منهم، و منهم من ناصر المشركين لأنه كان منهم . بل كان المحاربون إذا حاربوا، فلا بد و أن يبدءوا حربهم بتنشيطها و بتصعيد نارها برجز أو بقريض.

و من خوفهم من لسان الشاعر ما روى من فزع أبى سفيان، لما سمع من عزم (الأعشى) على الذهاب الى يثرب و من اعداده شعرا فى مدح الرسول، و من رغبته فى الدخول فى الإسلام . فجمع قومه عندئذ، و تكلم فيما سيتركه شعر هذا الشاعر من أثر فى الاسلام و فى قريش خاصة إن هو أسلم، و لهذا نصحهم أن يتعاونوا معه فى شراء لسانه و فى منعه من الدخول فى الإسلام بإعطائه مائة ناقة فوافقوا على رأيه، و جمعوا له ما طلبه، و تمكن أبو سفيان من التأثير فيه، فعاد الى بلده (منفوحة) و مات بها دون أن يسلم[٤٠].

قال (الجاحظ) يبلغ من خوفهم من الهجاء و من شدة السبّ عليهم، و تخوفهم أن يبقى ذكر ذلک فى الأعقاب، و يسبّ به الأحياء و الأموات، انهم اذا أسروا الشاعر أخذوا عليه المواثيق، و ربما شدوا لسانه بنسعة، كما صنعوا بعبد يغوث بن وقّاص

---

[٣٩] (٧) الروض الانف(٢/ ١٢۶ و ما بعدها)،(غزوة أحد).

[٤٠] (٨) الشعر و الشعراء(١٣۶ و ما بعدها)، زيدان، آداب ١/ ١١٩.

الحارثى حين أسرته بنو تيم يوم الكلاب [41]. و (عبد يغوث بن وقاص) شاعر قحطانى، كان شاعرا من شعراء الجاهلية، فارسا سيد قومه من بنى الحارث بن كعب، و هو الذى قادهم يوم الكلاب الثانى، فأسرته بنو تيم و قتلته، و هو من أهل بيت شعر معروف فى الجاهلية و الاسلام، منهم اللجلاج الحارثى، و هو طفيل بن زيد بن عبد يغوث، و أخوه (مسهر) فارس شاعر، و منهم من أدرک الاسلام: جعفر بن علبة بن ربيعة بن الحارث بن عبد يغوث، و كان شاعرا صعلوكا [42].

و فى جمهرة أنساب العرب:

ص: ۵۷

(و هؤلاء بنو قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة ولد قريع بن عوف : جعفر، و هو أنف الناقة: لقّب بذلک لأنّ أباه نحر ناقة، فقسمها فى نسائه، و أعطى ابنه جعفرا رأس الناقة، فأخذ بأنفها، فقيل له: ما هذا؟ فقال: «أنف الناقة!».

فلقّب بذلک. فكان ولده يغضبون منه، إلى أن قال الحطيئة مادحا لهم:

قوم هم الأنف و الأذناب غيرهم و من يساوى بأنف النّاقة الذّنبا

فصار ذلک مدحا لهم، يفتخرون به) [43].

و فى المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ۹/ ۱۱۳:

و لما مدح الحطيئة (بغيض بن عامر بن لاى بن شماس بن لاى بن أنف الناقة)، و اسمه (جعفر بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم)، و هجا (الزبرقان)، و اسمه (الحصين بن بدر بن امرئ القيس بن خلف ابن عوف بن كعب)، صاروا يفخرون و يتباهون بأن يقال لهم (أنف الناقة)، و كانوا يعيرون به و يغضبون منه و يفرقون من هذا الاسم، حتى أنّ الرجل منهم كان يسأل ممن هو فيقول من (بنى قريع) فيتجاوز جعفرا أنف الناقة، و يلغى ذكره فرارا من هذا اللقب، الى أن قال (الحطيئة) هذا الشعر فصاروا يتطاولون بهذا النسب، و يمدون به أصواتهم فى جهارة، إذ قال:

قوم هم الأنف و الأذناب غيرهم و من يسوّى بأنف الناقة الذنبا

[44] و قد تعزز الأعشى على قومه، و بين مكان فضله عليهم، إذ كان لسانهم الذاب

---

[41] (۹) البيان و التبيين ۲/ ۲۶۸.

[42] (۱۰) الخزانة ۱/ ۳۱۷(بولاق) و ط. القاهرة سنة ۱۳۸۷ ه ۲/ ۲۰۲- ۲۰۳.

[43] (۱۱) جمهرة الانساب لابن حزم ص ۲۰۹.

عنهم المدافع عن أعراضهم، الهاجى لأعدائهم بشعر هو كالمقراض يقرض أعداء قومه قرضا.

و أدفع عن أعراضكم و أعيركم لسانا كمقراض الخفاجى ملحبا

[۴۵] و ذكر أن بنى تغلب كانوا يعظمون معلقة عمرو بن كلثوم و يروونها صغارا و كبارا، حتى هجاهم شاعر من شعراء خصومهم و منافسيهم بكر بن وائل، إذ قال:

الهى بنى تغلب عن كلّ مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

يروونها أبدا مذ كان أولهم يا للرجال لشعر غير مسئوم

[۴۶] و لسلاطة ألسنة بعض الشعراء، و لعدم تورع بعضهم من شتم الناس و من هتك الأعراض، و من التكلم عنهم بالباطل، تجنب الناس قدر امكانهم الاحتكاك بهم، و ملاحاتهم و التحرش فى أمورهم، خوفا من كلمة فاحشة قد تصدر عنهم، تجرح الشخص الشريف فتدميه، و «جرح اللسان كجرح اليد»، كما عبر عن ذلك امرؤ القيس أحسن تعبير[۴۷].

و لأمر ما قال طرفة:

رأيت القوافى تتلجن موالجا تضايق عنها أن تولجها الإبر

و فى هذا المعنى دوّن (الجاحظ) هذه الأبيات:

و للشعراء ألسنة حداد على العورات موفية دليله

---

[۴۴] (۱۲) و فى البيان و التبيين ۴/ ۳۸،(هارون، الاشتقاق ص ۱۵۶ و ط. مصر ۱۳۷۸ ه ص ۲۵۵، زهر الآداب ۱/ ۱۹، الخزانة ۱/ ۵۶۷، العمدة ۱/ ۵۰).

[۴۵] (۱۳) ديوان الاعشى ص ۱۱۷، القصيدة ۱۴، البيت ۳۱.

[۴۶] (۱۴) الاشتقاق ص ۲۰۴، و ط. مصر ۱۳۷۸ ه ص ۳۳۹، و قد روى هذا الشعر بأوجه مختلفة، البيان و التبيين ۴/ ۴۱.

[۴۷] (۱۵) العمدة ۱/ ۷۸.

و من عقل الكريم اذا اتقاهم و داراهم مدارة جميلة

اذا وضعوا مكاويهم عليه ❊- و إن كذبوا- فليس لهنّ حيلة[۴۸] و «كان عمر بن الخطاب (رض) عالما بالشعر، قليل التعرض لأهله:

استعداه رهط تميم بن أبى مقبل على النجاشى لما هجاهم، فأسلم النظر فى أمرهم الى حسان بن ثابت، فرارا من التعرض لأحدهما، فلما حكم حسان أنفذ عمر حكمه على النجاشى كالمقلد من جهة الصناعة، و لم يكن حسان- على علمه بالشعر- أبصر من عمر (رض) بوجه الحكم، و ان اعتل فيه بما اعتل»[۴۹].

د- الكهانة

كهن له يكهن و كهن يكهن كهانة أخبره بالغيب و الكاهن الذى يتع اطى الخبر عن الكائنات فى مستقبل الزمان و يدعى معرفة الاسرار، و منهم من كان يزعم ان له تابعا من الجن يلقى إليه الخبر . و كانوا يروجون أقاويلهم باسجاع تروق السامعين يستميلون بها القلوب [۵۰] كما اشتهر ذلک عن سطيح ربيع بن ربيعة بن مسعود الغسانى الذى كان قبل بعثة الرسول (ص).

و روى ان ملک اليمن ذا جدن أراد أن يجرب علم سطيح لما قدم عليه، فخبأ له دينارا تحت قدمه ثم سأله عما خبأ له.

فقال سطيح: حلفت بالبيت و الحرم و الحجر الأصم و الليل إذا أظلم و الصبح إذا تبسم و بكل فصيح و أبكم لقد خبأت لى دينارا بين النعل و القدم.

فقال الملک: من ابن علمک هذا يا سطيح؟ قال : من قبل أخ لى جنى ينزل معى فقال له الملک : أخبرنى عمّا يكون فى الدهور ...[۵۱].

و فى سيرة ابن هشام:

---

[۴۸] (۱۶) العمدة ۱/ ۷۸.

[۴۹] (۱۷) العمدة ۱/ ۵۲، ۷۶،(باب تعرض الشعراء). انتهى ما نقلناه من المفصّل ۹/ ۱۰۹- ۱۱۴.

[۵۰] (۱۸) مادة كهن من المعجم الوسيط و المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم و نهاية اللغة لابن الأثير.

[۵۱] (۱۹) مادة سطيح من سفينة البحار.

قيل لسطيح: أنى لک هذا العلم؟ فقال: لی صاحب من الجن استمع أخبار السماء من طور سيناء حين كلم اللّه- تعالى- منه موسى (عليه السلام).

فهو يؤدى إلىّ من ذلک ما يؤديه[۵۲].

و فی صحيح مسلم بسنده عن ابن عباس ما موجزه : بينا الأنصار كانوا جالسين ليلة مع رسول اللّه (ص) رمى بنجم فاستنار. فقال لهم رسول اللّه (ص) «ما ذا كنتم تقولون فی الجاهلية، إذ رمى بمثل هذا؟» قالوا: اللّه و رسوله أعلم. كنا نقول ولد الليلة رجل عظيم . و مات رجل عظيم . فقال رسول اللّه (ص): «فإنها لا يرمى بها لموت أحد و لا لحياته . و لكن ربنا،- تبارک و تعالى اسمه- إذا قضى أمرا سبح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا . ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش : ما ذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ما ذا قال، قال فيستخبر بعض أهل السماوات بعضا، حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا، فتخطف الجن السمع فيقذفون إلى أوليائهم، و يرمون به . فما جاءوا به على وجهه فهو حق، و لكنهم يقرفون[۵۳] فيه و يزيدون».

و فی رواية قبلها:

سأل أناس رسول اللّه (ص) عن الكهان؟ فقال لهم رسول اللّه (ص) «ليسوا بشیء» قالوا: يا رسول اللّه ! فإنهم يحدثون أحيانا الشیء يكون حقا. قال رسول اللّه (ص): «تلک الكلمة من الجن يخطفها الجنی. فيقرها فی أذن وليه

ص: ۶۱

قر[۵۴] الدجاجة، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة»[۵۵].

و أخبر اللّه- سبحانه- عن جهل الجن بالغيب فی ما حكى عنهم مع النبی سليمان (ع) فی سورة سبأ، و قال:

فَلَمَّا قَضَيْنا عَلَيْهِ الْمَوْتَ ما دَلَّهُمْ عَلى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ الْ غَيْبَ ما لَبِثُوا فِی الْعَذابِ الْمُهِينِ (الآية/ ۱۴) التفسير: لما قضينا على سليمان بالموت و مات و كان متكأ على عصاه يراقب عمل الجن بقی كذلک متّكأ على عصاه و هو ميّت و الجنّ دائبون فی عملهم فأكلت الأرضة عصاه و سقط، فتبين من ذلک أنّ الجن لو كانوا يعلمون الغيب لعلموا ان سليمان المتكئ على عصاه أمامهم ميت، و لما لبثوا بعد موته فی العذاب المهين لهم.

و أخبر- سبحانه- عن منشأ علمهم و انهم كانوا يرهقون من يلوذ بهم من الكهنة و انه انقطع عنهم منشأ علمهم بعد مبعث خاتم الأنبياء فی قوله تعالى فی سورة الجن:

---

[۵۲] (۲۰) خبر سطيح بسيرة ابن هشام ۱/ ۱۶.

[۵۳] (۲۱) يقرفون فيه أى يضيفون إليه الكذب.

[۵۴] (۲۲) القرّ: ترديد الكلام فی أذن المخاطب حتى يفهمه و قرّ الزجاجة صوتها إذا قطعتها و قرّ الزجاجة صوتها إذا صبّ فيها الماء.

[۵۵] (۲۳) صحيح مسلم ص ۱۷۵۰- ۱۷۵۱، كتاب السلام، الحديث ۱۲۳- ۱۲۵.

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقالُوا إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً* يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَ لَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنا أَحَداً * ... وَ أَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزادُوهُمْ رَهَقاً * ... وَ أَنَّا لَمَسْنَا السَّماءَ فَوَجَدْناها مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَ شُهُباً* وَ أَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْها مَقاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهاباً رَصَداً (الآيات/ ١- ٢ و ۶ و ٨- ٩)

ص: ۶٢

إذا كانوا يسترقون السمع من الملائكة، و يحدثون بها م ن يلوذون بهم من كهنة الانس و يزيدونهم فى ما يحدثونهم رهقا أى: سفها و كذبا و طغيانا.

و بعد مبعث خاتم الانبياء (ص) منعوا من استراق السمع برمى الشهب إليهم.

من مجموع ما تقدم يظهر أن عمل الجن مع الكهنة كان يستند:

١- إلى اخبارهم الكاهن عن المخبوء عن نظر الانسى، لان الجان ليس لهم جسم يمنعهم من النفوذ إلى تحت قدم الملک و معرفة الدينار المخبوء- مثلا-.

٢- إلى ما استرقوا إليه من كلام الملائكة عما بلغها من أخبار الغيوب من قبل اللّه سبحانه و هذا ما منعوا عنه بعد مبعث خاتم الأنبياء.

٣- إلى ما يكذبون فيما يسألون عنه من أخبار الغيوب التى لم يعلموا بها، لأنهم لم يكونوا يقولون فى مثل هذه الحالة : لا نعلم هذا الأمر الذى تسألونا عنه، و فى هذا يزيدون الانسان رهقا.

و الكهانة لم تقتصر على العرب الجاهليين قديما، بل كانت و لا تزال منتشرة بين الامم الجاهلية القديمة و المعاصرة و الكهنة كانوا رجال دين الامم الجاهلية يمارسون طقوسهم الدينية.

و قد ظهر أخذ الأنس من الجن فى عصرنا على شكل ما يسمى باحضار الأرواح كما يزعمون ! و قد قرأت ان بعضهم أحضر روح ابن سينا كما زعم و استفسر عنه عن عالم ما بعد الموت، فاجاب . و قرأت عن آخر أنّه زعم أكثر من ذلک . و كل هذا يندرج فى باب اتصال الجن بهؤلاء و يجيبهم الجنى الوسيط عما يجرى فى خارج المجلس و يزيدهم رهقا حين يطلب من الانسان الوسيط أن يحضر لهم روح انسان قد توفى و يزعم الجنى الوسيط انه ذلک الروح المطلوب حضوره و قد حضر و يجيب عن أسئلتهم بكل كذب يشاؤه.

ص: ۶٣

ه- التفاؤل و التطير

التفاؤل:

أصل الفأل الكلمة الحسنة يسمعها الإنسان فيتفاءل به مثل عليل يسمع رجلا ينادى من اسمه سالم، فيتفاءل بأنه سوف يعافى من علته.

و التطير: التشاؤم تطير من الشيء و بالشيء و اطّير أى تشاءم من الفأل الردىء و طائر الإنسان عمله، و يسمّى الشؤم طيرا و طائرا و طيرة على وزن عنبة . و كانت العرب فى الجاهلية تتطير بالسوانح و البوارح، و مفردهما السانح و البارح، و هما ما مرّ من الطير و الوحش من يمينک إلى يسارک، و كانوا ينفرون الضباء و الطيور، فإن أخذت ذات اليم ين، تبركوا به، و مضوا فى سفرهم و حوائجهم، و إن أخذت ذات الشمال رجعوا عن سفرهم و حاجتهم و تشاءموا بها، فكانت تصدّهم فى كثير من الأوقات عن مصالحهم [٥٦] و كان بعضهم يتيمنون بالسانح، و هو الذى جاء من يمينهم إلى يسارهم، و يتشاءمون بالبارح، و هو الذى يأتى من اليسار نحو اليمين[٥٧] و يتطيّرون من نعيق الغراب و غير ذلک.

و كان التطير قبل ذلک موجودا فى المجتمعات الجاهلية السحيقة كما أخبر اللّه سبحانه عنه.

١- فى سورة النمل عن قوم ثمود إنهم قالوا لنبيهم صالح (ع):

قالُوا اطَّيَّرْنا بِکَ وَ بِمَنْ مَعَکَ قالَ طائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ (الآية/ ۴۷) أى أنهم قالوا لصالح: إنا تشاءمنا بک و بمن على دينک، و ذلک لانّهم

ص: ۶۴

قحطوا و حبس المطر عنهم و جاعوا، فقالوا: أصابنا هذا الشرّ من شؤمک و شؤم أصحابک فقال لهم صالح (ع) طائركم عند اللّه أى الشؤم أتاكم من عند اللّه و أنتم تفتنون تمتحنون بذلک.

و كذلک معنى قول آل فرعون لموسى (ع) كما أخبر سبحانه عنهم فى سورة الاعراف:

وَ لَقَدْ أَخَذْنا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَ نَقْصٍ مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * فَإِذا جاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قالُوا لَنا هذِهِ وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسى وَ مَنْ مَعَهُ أَلا إِنَّما طائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (الآيات/ ۱۳۰- ۱۳۱) معناه لما عاقبنا قوم فرعون بالقحط لعلهم يتفكرون فى أمرهم و يوحدون اللّه، كانوا إذا جاءهم الخصب و النعمة قالوا إنا نستحقّ هذه النعمة لسعة أرزاقنا فى بلادنا، و لم يؤمنوا بأنّها من عند اللّه ليشكروه و يعبدوه، و إذا أصابهم حبس المطر و هلاک الزرع و الضرع تشاءموا بموسى و من معه و قالوا : هذا من شؤمكم، ألا و إن طائرهم و الشؤم الّذى لحقهم هو عقاب من عند اللّه كما وعدهم بذلک.

٢- أخبر عن نظير ذلک فى سورة يس و قال سبحانه:

وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جاءَهَا الْمُرْسَلُونَ .... قالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنا بِكُمْ ... قالُوا طائِرُكُمْ مَعَكُمْ ... (الآيات/ ۱۳- ۱۹).

---

[٥٦] (۲۴) لسان العرب ط. بيروت سنة ۱۹۵۶ م مادة(طير) و(برح).

[٥٧] (۲۵) لسان العرب مادة(سنح).

قالوا: إنا تشاءمنا بكم فقالت الرسل: طائركم معكم أى الشؤم كلّه معكم بإقامتكم على الكفر باللّه تعالى.

هكذا كان التطير من عقائد أهل الجهل فى الجاهلية القديمة السحيقة و جاهلية عصر الرسول (ص) و لا يزال التطير موجودا فى جاهلية عصرنا مثل تشاؤم هم برقم (١٣) و قد أبطل اللّه و رسوله التشاؤم و استحسن الرسول (ص) الفأل و أثبته و روى أنّه قال: «لا طيرة و خيرها الفأل»، قيل: يا رسول اللّه و ما

ص: ۶۵

الفأل قال: «الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم»[۵۸].

و فى رواية قال: ذاک شىء يجده أحدكم فى نفسه فلا يصدنكم[۵۹].

و قال أبو عبد اللّه الصادق (ع) الطيرة على ما تجعلها إن هونتها تهونت و ان شددتها تشددت و إن لم تجعلها شيئا لم تكن شيئا[۶۰].

و- الأزلام و الميسر

قال اللّه سبحانه:

١- فى سورة المائدة حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَ ما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَ الْمُنْخَنِقَةُ وَ الْمَوْقُوذَةُ وَ الْمُتَرَدِّيَةُ وَ النَّطِيحَةُ وَ ما أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا ما ذَكَّيْتُمْ وَ ما ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَ أَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلامِ ذلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَ اخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (الآية/ ٣) ٢- فى سورة المائدة يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ وَ الْأَنْصابُ وَ الْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (الآية/ ٩٠)

ص: ۶۶

تفسير الكلمات:

أ- الميتة:

كل ما له نفس سائلة- دم يجرى- من حيوانات البر و الطير مما أباح اللّه أكله و فارقها روحها بغير الذبح الذى شرعه اللّه.

ب- الدم:

---

[۵۸] (٢۶) صحيح مسلم، ط. بيروت دار احياء التراث العربى افست على الطبعة المصرية ص ١٧۴۵، باب الطيرة من كتاب الفال.

[۵۹] (٢٧) المصدر السابق، ص ١٧۴٩.

[۶۰] (٢٨) سفينة البحار، مادة(طير).

كانوا يجعلون الدم فى المصارين و يشوونه و يأكلونه أو بأنواع أخرى من طبخ الدم.

ج- لحم الخنزير:

قال اللّه سبحانه (لَحْمُ الْخِنْزِيرِ) ليبين أنه حرام بعينه لا لكونه ميتة.

د- ما أهل لغير اللّه:

كان من عادة العرب فى الجاهلية أن ينادوا باسم المقصود بالذبيحة من أصنامهم عند ذبحها و يقولون : باسم اللات أو العزى أو غيرهما و هذا هو الاهلال بالذبيحة.

ه- المنخنقة:

الحيوان الذى خنق حتى مات بحبل الصيد أو غيره، و قالوا: ان بعضهم فى الجاهلية كان يخنق الحيوان أحيانا ثم يأكله.

و- الموقوذة:

الوقذ شدة الضرب كان بعضهم يضربون الانعام بالخشب لآلهتهم، حتى يقتلوها فيأكلوها أو المقتول بالرمى الذى لا يخترق الجلد.

ز- المتردية:

هى التى تتردى من الأعلى إلى الأسفل فتموت كالتى تسقط من جبل أو فى بئر.

ح- النطيحة:

ص: ۶۷

هى التى ينطحها غيرها فتموت.

ط- و ما أكل السبع إلا ما ذكيتم:

ما افترسه أى نوع من السباع، فمات إلا ما أدركوه و هو جريح و قاموا بتذكيته وفق الشرع الاسلامى.

ى- و ما ذبح على النصب:

النصب: النصب و النصب حجر ينصب للعبادة غير منقوش عليه بصورة و الصنم صورة حيوان أو انسان أو شىء آخر تخيلوا وجوده و هو غير موجود و كانوا يعبدون أحجارا منصوبة حول الكعبة، فإذا ذبحوا، نضحوا الدم عليها.

ک- و ان تستقسموا بالازلام، الازلام واحدة الزلم- قداح الميسر- و الزلم قطع من الخشب مسواة، تصلح أن تكون سهما، و تستقسموا أى تطلبوا قسمة الذبيحة بالازلام و سيأتى تفصيله بحوله تعالى.

ل- الميسر: كل قمار ميسر.

م- الرجس: القذر بحسب الطبع أو العقل أو الشرع.

تفسير الآيات:

كانت أزلام العرب ثلاثة أنواع:

أ- ما يتخذها الإنسان لنفسه، و يحملها فى خريطة معه، كتب على أحدها:

أمرنى ربّى و على الثانى : نهانى ربّى و الثالث مهمل لم يكتب عليه . فإذا أراد فعل شى ء أدخل يده و أخرج أحدها، فاذا خرج ما عليه الأمر: فعل. و إذا خرج ما عليه النهى امتنع. و إذا خرج المهمل ارجعه و أعاد العمل[۶۱].

ب- سبعة قداح كانت عند هبل فى جوف الكعبة مكتوب عليها ما يدور

ص: ۶۸

بين الناس من النوازل، كل قدح منها فيه كتلب، قدح فيه العقل من أمر الديات، و فى آخر (منكم) و فى آخر (من غيركم)، و فى آخر (ملصق)، و فى سائرها أحكام المياه و غير ذلک : و كانوا إذا شكوا فى نسب أحدهم ذهبوا به إلى هبل و بمائة درهم و جزور، فأعطوها صاحب القداح الذى يضرب بها، ثم قربوا صاحبهم الذى يريدون به ما يريدون، ثم قالوا: يا إلهنا هذا فلان بن فلان قد أردنا به كذا و كذا، فأخرج الحق فيه . ثم يقولون لصاحب القداح: اضرب؛ فإن خرج عليه (منكم) كان منهم وسيطا، و ان خرج (من غيركم) كان حليفا، و إن خرج (ملصق) كان على منزلته فيهم لا نسب له و لا حلف.

و هذه السبعة أيضاكانت عند كل كاهن من كهان العرب و حكامهم .

على نحو ما كانت فى الكعبة عند هبل.

ج- قداح الميسر و هى عشرة : سبعة منها فيها حظوظ، و ثلاثة أغفال، و كانوا يضربون بها مقامرة لهوا و لعبا، و كان عقلاؤهم يقصدون بها إطعام المساكين و المعدم فى زمن الشتاء و كلب البرد و تعذر التحرف[۶۲].

قال اليعقوبى:

---

[۶۱] (۲۹) تفسير الآية الثالثة فى تفسير القرطبى و مجمع البيان و مادة قسم من معجم الفاظ القرآن الكريم.

[۶۲] (۳۰) تفسير القرطبى ۶/ ۵۸- ۵۹.

و كلب البرد شدته. و التحرف: التكسب للعيال من كل حرفة.

كانت العرب تستقسم بالأزلام فى كل أمورها، و هى القداح، و لا يكون لها سفر و لا مقام، و لا نكاح، و لا معرفة حال، إلّا رجعت إلى القداح، و كانت القداح سبعة : فواحد عليه: اللّه عز و جل؛ و الآخر : لكم؛ و الآخر: عليكم؛ و الآخر: نعم؛ و الآخر: منكم؛ و الآخر: من غيركم؛ و الآخر : الوعد؛ فكانوا إذا أرادوا أمرا رجعوا إلى القداح، فضربوا بها، ثم عملوا بما يخرج من القداح لا يتعدونه، و لا يجوزونه، و كان لهم أمناء على القداح لا يثقون بغيرهم.

و كانت العرب، إذا كان الشتاء و نالهم القحط، و قلت ألبان الابل،

ص: ۶۹

استعملوا الميسر، و هى الازلام، و تقامروا عليها، و ضربوا بالقداح، و كانت قداح الميسر عشرة: سبع منها لها أنصبة، و ثلاث لا أنصبة لها، فالسبع التى لها أنصبة يقال لأولها الفذّ، و له جزء؛ و التوأم، و له جزآن؛ و الرقيب، و له ثلاثة أجزاء؛ و الحلس، و له أربعة أجزاء، و النافس، و له خمسة أجزاء، و المسبل، و له ستة أجزاء، و المعلى، و له سبعة أجزاء، و الثلاث التى لا أنصبة لها اغفال ليس عليها اسم يقال لها: المنيح، و السفيح، و الوغد.

و كانت الجزور تشترى بما بلغت، و لا ينقد الثمن، ثم يدعى الجزار، فيقسمها عشرة أجزاء فإذا قسمت أجزاؤها على السواء أخذ الجزار أجزاءه، و هى الرأس و الأرجل، و أحضرت القداح العشرة، و اجتمع فتيان الحى، فأخذ كل فرقة على قدر حالهم و يسارهم، و قدر احتمالهم، فيأخذ الأول الفذ، و هو الذى فيه نصيب واحد من العشر ة أجزاء، فإذا خرج له جزء واحد أخذ من الجزور جزءا، و إن لم يكن يخرج له غرم ثمن جزء من الجزور، و يأخذ الثانى التوأم، و له نصيبان من أجزاء الجزور، فإن خرج أخذ جزءين من الجزور، و أن لم يخرج غرم ثمن الجزءين.

و كانوا يفتخرون به، و يرون أنه من فعال الكرم و الشرف و لهم، فى هذا أشعار كثيرة[۶۳].

و كانت المقامرة من وسائل كسب الثروة، سيّما فى مكّة كما يرى مثال ذلک فى الخبر الآتى فى الأغانى:

(قامر أبو لهب العاص بن هشام فى عشر من الإبل، فقمره أبو لهب، ثم فى عشر فقمره، ثم فى عشر فقمره، ثم فى عشر فقمره، ثمّ فى عشر فقمره، إلى أن أخلعه ما له فلم يبق له شىء، فقال له: إنى أرى القداح قد حالفتک يا ابن عبد

ص: ۷۰

المطلب فهلم أقامرک، فاينا قمر كان عبدا لصاحبه، قال : افعل، ففعل فقمره أبو لهب فكره أن يسترقه، فتغضب بنو مخزوم، فمشى إليهم، و قال : افتدوه منى بعشر من الابل، فقالوا : لا و اللّه و لا بوبرة، فاسترقه فكان يرعى له إبلا فلما خرج المشركون إلى بدر كان من لم يخرج أخرج بديلا و كان أبو لهب عليلا فأخرجه و قعد، على أنه إن عاد إليه أعتقه، فقتله على بن أبى طالب (رض) يومئذ)[۶۴].

ز- بيع الطعام عيب فى الجاهلية:

---

[۶۳] (۳۱) تاريخ اليعقوبى ۱/ ۲۵۹- ۲۶۱، و بعض الشرح من لسان العرب مادة الحرضة و ما نقله كتاب المفصل ۵/ ۱۲۸- ۱۲۹ عن بلوغ الإرب.

[۶۴] (۳۲) الأغانى ط. بيروت(۳/ ۳۰۷- ۳۰۸) و العاص بن هشام بن المغيرة المخزومى جاء نسبه فى جمهرة النسب لابن الكلبى ص ۸۶.

قال فی تاریخ العرب قبل الإسلام:

و العادة عند العرب أن من العیب بیع شی ء من الطعام لمن هو فی حاجة إلیه و هم یشعرون بالخجل و بالإهانة إذا طلب معسر طعاما أو شرابا کلبن أو ماء ثم لا یجاب طلبه، أو یطلب عن ذلک ثمنا یقبضه مقابل ما قدم من طعام أو شراب، لأن القری واجب علی کلّ عربی، و لا یکون القری بثمن. فکیف یقف إنسان موقف بخل و إمساک ازاء مرمل محتاج[۶۵].

ح- السرقة عیب و الغارة فخر:

قال فی تاریخ العرب قبل الإسلام:

و تعدّ السرقة عیبا عند العرب، لأنها تکون دون علم صاحب المسروق و بمغافلته.

و المغافلة و الاستیلاء علی شیء من دون علم صاحبه عیب عندهم، و فیه

ص: ۷۱

جبن و نذالة.

و أما الاستیلاء علی شی ء عنوة و باستعمال القوة، فلا یعد نقصا عندهم و لا شینا و لا یعد سرقة، لأن السالب قد استعمل حقّ القوة، فأخذه بیده من صاحب المال المسلوب، فلیس فی عمله جبن و لا غدر و لا خیانة . و لذلک فرقوا بین لفظة (سرق) و بین الألفاظ الاخری التی تعنی أخذ مال الغیر، و لکن من غیر تستر و لا تحایل، فقالوا : (السارق عند العرب من جاء مستترا إلی حرز، فأخذ مالا لغیره . فإن أخذه من ظاهر، فهو مختلس و مستلب و منتهب و مح ترس، فإن منع ما فی یده فهو غاصب)[۶۶].

و لم تعد (الغارة) سرقة و لا عملا مشینا یلحق الشین و السبّة بمن یقوم به . بل افتخر بالغارات و عدّ المکثر منها (مغوارا)، لما فیها من جرأة و شجاعة و إقدام و تکون الغارة بالخیل فی الغالب، و لذلک قال علماء اللغة : (أغار علی القوم غارة و إغارة دفع علیهم الخیل)[۶۷]، و قد عاش قوم علی الغارات، کانوا یغیرون علی أحیاء العرب، و یأخذون ما تقع أیدیهم علیه، و من هؤلاء (عروة بن الورد)، إذ کان یغیر بمن معه علی أحیاء العرب، فیأخذ ما یجده أمامه، لیرزق به نفسه و أصحابه. بعد أن انقطعت بهم سبل المعیشة، و ضاقت بهم الدنیا، فاختاروا الغارات و التعرض للقوافل سببا من أسباب المعیشة و الرزق.

و ذکر أهل الأخبار أسماء رجال عاشوا علی الغارات و علی التربص للمسافرین لسلب ما یحملونه معهم من مال و متاع.

ص: ۷۲

---

[۶۵] (۳۳) المفصل فی تاریخ العرب ط. بیروت ۱۹۷۶ م(۵/ ۶۷) و رمل من تاج العروس ط.

مصر ۱۳۰۶ ه.

[۶۶] (۳۴) لسان العرب و تاج العروس مادة،(سرق).

[۶۷] (۳۵) تاج العروس مادة(غور).

ط- الخصومات:

قال فی کتاب تاریخ العرب قبل الإسلام:

و یقع النزاع بین الناس، و یقع بین الأهل کما یقع بین الجیران و بین الأباعد. و قد یتحوّل إلی (عراک) و إلی وقوع معارک. و المشاجرة الخلاف و الاشتباک . و قد تکون المشاجرة هیّنة بأن یشاتم و یسابب طرف طرفا آخر و یعبر عن ذلک باللحاء.

و نظرا لجهل الناس فی ذلک الوقت، فشا السباب و التشاتم بینهم . بین الرجال و الرجال و بین النساء و النساء و بین الجنسین. و إذا طال و اشتد تدخل الناس فی الأمر لاصلاح ذات البین. و قد تتطور الخصومة البسیطة فتتحول إلی خصومة کبیرة یساهم فیها آل المتخاصمین و أحیاؤ هم، و قد یقع بسبب ذلک عدد من القتلی . و قد حفظت کتب الأخبار و الأدب أسماء معارک و أیام سقط فیها عدد من القتلی بسبب خصومات تافهة، کان بالامکان غض النظر عنها، لو استعمل أحد الجانبین الحکمة و العقل فی معالجة الحادث[۶۸].

ی- السلب و النهب:

نذکر فی هذا الباب مثالا واحدا بخبر سلب زید و بیعه فی سوق عکاظ:

أبو أسامة زید بن حارثة بن شراحیل الکلبی خرجت به أمّه سعدی بنت ثعلبة من بنی معن من طی تزور قومها بنی معن، فأغارت علی بنی معن خیل بنی القین فأخذوا زیدا فی ما أخذوا و کان عمره ثمانی سنوات.

فقدموا به سوق عکاظ، فاشتراه حکیم بن حزام لعمته خدیجة، فوهبته للنبی (ص) فنشأ فی بیت النبی (ص) قبل بعثته و قدم أبوه و عمّه فی فدائه إلی

ص: ۷۳

مکّة فدخلا علی النبیّ (ص) فقالا: یا ابن عبد المطلب یا ابن هاشم یا ابن سید قومه جئناک فی ابننا عندک ! فامنن علینا و أحسن إلینا فی فدائه! فقال: من هو؟

قالوا: زید بن حارثة فقال رسول اللّه (ص) فهلّا غیر ذلک؟ قالوا: ما هو؟ قال (ص): ادعوه و خیّروه فإن اختارکم فهو لکم و إن اختارنی فو اللّه ما أنا بالذی أختار علی من اختارنی أحدا ! قالا: زدتنا علی النصف و أحسنت : فدعاه رسول اللّه (ص) فقال: هل تعرف هؤلاء؟ قال : نعم! هذا أبی و هذا عمّی؛ قال : فأنا من عرفت و رأیت صحبتی لک فاخترنی أو اخترهما! قال: ما أریدهما و ما أنا بالّذی أختار علیک أحدا أنت منّی مکان الأب و العمّ . فقالا: ویحک! أ تختار العبودیة علی الحریة و علی أبیک و أهل بیتک!؟ قال: نعم و رأیت من هذا الرجل شیئا ما أنا بالّذی أختار علیه أحدا أبدا فلما رأی رسول اللّه (ص) ذلک أخرجه إلی الحجر- حجر إسماعیل- فقال: یا من حضر إن زیدا ابنی یرثنی و أرثه فلما رأی ذلک أبوه و عمه طابت نفوسهما و انصرفا فکان یقال له بعد ذلک : زید بن محمد (ص) و زوجته الرسول (ص) بعد هجرته إلی

---

[۶۸] (۳۶) تاریخ العرب قبل الاسلام ۵/ ۴۴.

المدينة ابنة عمّته زينب حفيدة عبد المطلب على كره من أمرها فلم يطق تعاليها عليه و استأذن النبى (ص) فى طلاقها فقال النبى (ص) له: أمسک عليک زوجک و أوحى اللّه إليه أن يتزوجها بعد طلاقها من زيد ليكون عمله اسوة للمؤمنين فلا يكون عليهم حرج فى أزواج أدعيائهم و خشى الرسول (ص) من قول الناس: أنه تزوج مطلقة من تبناه و أخفى الأمر فى نفسه فأنزل اللّه عليه:

وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَ اتَّقِ اللَّهَ وَ تُخْ فِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَ تَخْشَى النَّاسَ وَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ فَلَمَّا قَضى زَيْدٌ مِنْها وَطَراً زَوَّجْناكَها لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْواجِ أَدْعِيائِهِمْ إِذا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا* ما كانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيما فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً * الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسالاتِ اللَّهِ وَ يَخْشَوْنَهُ وَ لا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَ كَفى بِاللَّهِ حَسِيباً* ما كانَ مُحَمَّدٌ

ص: ۷۴

أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَ لكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ وَ كانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً (الآيات/ ۳۷- ۴۰)[۶۹].

ک- القوى يأكل الضعيف:

لم ينحصر كسب المال بالظلم فى الجاهلية بالسلب و النهب فى الغزوات، بل كان القوى منهم يأكل الضعيف كلما سنحت له الفرصة لذلک مثل خبر الاراشى- من قبائل اليمن- مع أبى جهل كما أورده ابن هشام[۷۰] فى سيرته و قال:

قدم رجل من إراش[۷۱] بإبل له مكة، فابتاعها منه أبو جهل، فمطله بأثمانها.

فأقبل الاراشى حتى وقف على ناد من قريش، و رسول اللّه (ص) فى ناحية المسجد جالس، فقال: يا معشر قريش، من رجل يؤدينى على أبى الحكم بن هشام، فإنى رجل غريب، ابن سبيل، و قد غلبنى على حقى؟

قال: فقال له أهل ذلک المجلس: أ ترى ذلک الرجل الجالس- لرسول اللّه (ص)، و هم يهزءون به لما يعلمون ما بينه و بين أبى جهل من العداوة- اذهب إليه، فإنه يؤديک عليه.

فأقبل الاراشى حتى وقف على رسول اللّه (ص)، فقال: يا عبد اللّه، إن أبا الحكم بن هشام قد غلبنى على حق لى قبله، و أنا [رجل] غريب ابن سبيل، و قد سألت هؤلاء القوم عن رجل يؤدينى عليه، يأخذ لى حقى منه، فأشاروا لى

ص: ۷۵

اليک، فخذ لى حقّى منه، يرحمک اللّه.

---

[۶۹] (۳۷) راجع تفسير الآيات بتفسير الطبرى و أمثاله ممن فسر القرآن بالروايات.

[۷۰] (۳۸) سيرة ابن هشام ۲/ ۲۹- ۳۰ و ط. القاهرة ۱/ ۴۱۶- ۴۱۷.

[۷۱] (۳۹) هو ابن الغوث، أو ابن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالک بن زيد بن كهلان بن سبأ، و هو والد أنمار الذى ولد بجيلة و خثعم.

قال: انطلق إليه، و قام معه رسول اللّه (ص)، فلما رأوه قام معه، قالوا لرجل ممن معهم: اتبعه، فانظر ما ذا يصنع.

قال و خرج رسول اللّه (ص) حتّى جاءه فضرب عليه بابه، فقال : من هذا؟ قال: محمد، فاخرج إلى. فخرج إليه، و ما فى وجهه من رائحة [۷۲]، و قد انتقع [۷۳]. لونه، فقال: أعط هذا الرجل حقّه . قال: نعم، لا تبرح حتّى أعطيه الّذى له . قال: فدخل، فخرج إليه بحقه، فدفعه إليه.

ثمّ انصرف رسول ا للّه (ص)، و قال للاراشى : الحق بشأنک، فأقبل الإراشى، حتّى وقف على ذلک المجلس، فقال : جزاه اللّه خيرا، فقد و اللّه أخذ لى حقّى.

قال: و جاء الرجل الّذى بعثوا معه، فقالوا: ويحک! ما ذا رأيت؟ قال: عجبا من العجب، و اللّه ما هو إلا أن ضرب عليه بابه، فخرج إليه و ما معه روحه، فقال له : أعط هذا حقّه، فقال : نعم لا تبرح حتّى أخرج إليه حقّه . فدخل، فخرج إليه بحقّه، فأعطاه إياه. قال: ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء، فقالوا له ويلک! مالک؟ و اللّه ما رأينا مثل ما صنعت قطّ! قال: و يحكم! و اللّه ما هو إلا أن ضرب علىّ بابى، و سمعت صوته ، فملئت منه رعبا، ثمّ خرجت إليه، و إن فوق رأسه لفحلا من الإبل، ما رأيت مثل هامته، و لا قصرته [۷۴]، و لا أنيابه لفحل قط، و اللّه لو أبيت لأكلنى.

ص: ۷۶

ل- أسواق العرب:

كانت القبائل العربية تجتمع فى الأشهر الحرم فى أسواق مش هورة لبيع سلعهم سواء أ كان مصدرها سلبا و نهبا أم تجارة مجلوبة من بلد بعيد أو قريب أو حصيلة زرع لهم أو ضرع و للمفاخرة و المكاثرة.

و قد ذكر اليعقوبى عشرة أسواق للعرب يجتمعون بها فى تجاراتهم و كان أشهرها سوق عكاظ بأعلى نجد.

و فى مادة عكاظ من معجم البلدان ما م وجزه: تجتمع قبائل العرب فى كل سنة فيها، يتفاخرون و يحضرها شعراؤهم يتناشدون ما أحدثوا من الشعر و بها كانت مهادناتهم و حمالاتهم و يقيمون فيها عشرون يوما من ذى القعدة [۷۵].

و قال فى مادة مجنّة و المجاز ما موجزه:

ينتقلون عشرة أيام آخر ذى القعدة إلى سوق مجنّة بأسفل مكّة على قدر بريد منها، ثمّ ينتقلون إلى ذى المجاز موضع سوق بعرفة يبقون ثمانية أيام ثمّ يعرفون فى اليوم التاسع من ذى الحجة.

---

[۷۲] (۴۰) أى بقية روح، فكأن معناه روح باقية، فلذلک جاء به على وزن فاعلة . و الدليل على أنه أراد معنى الروح، و إن جاء به على بناء فاعلة، ما جاء فى آخر الحديث: خرج إلى و ما عنده روحه. و قيل يريد: ما فى وجهه قطرة من دم.

[۷۳] (۴۱) انتقع لونه: تغير. و يروى: امتقع، و هو بمعناه.

[۷۴] (۴۲) القصرة: أصل العنق.

[۷۵] (۴۳) اليعقوبى ۱/ ۲۷۰.

ص: ۷۷

رابعا- أديان العرب فى العصر الجاهلى:

أ- الوثنية:

قال ابن إسحاق و اليعقوبى ما موجزه[۷۶]:

إن بنى اسماعيل كانوا لا يفارقون مكة، حتى كثروا، و ضاقت بهم مكة فتفرقوا فى البلاد، و ما ارتحل أحد منهم من مكّة إلّا حمل معه حجرا من حجارة الحرم، و حيث ما نزلوا وضعوه، و طافوا به كطوافهم بالكعبة، حتى أدّى بهم إلى عبادته و خلف من بعدهم خلف نسوا ما كان عليه آبائهم من دين إسماعيل و عبدوا الأوثان.

و قالا- أيضا- ما موجزه:

إن عمرو بن لحىّ- شيخ خزاعة- سافر إلى الشام، و رأى أهلها يعبدون الأصنام، فقال لهم، ما هذه الأصنام الّتى أراكم تعبدون. فقالوا له: هذه أصنام نعبدها، فنستمطرها، فتمطرنا، و نستنصرها، فتنصرنا، فأخذ منه م هبل. و أتى به مكّة و نصبه عند الكعبة.

و وضعوا كلّا من إساف و نائلة على ركن من أركان، البيت فكان الطائف بالبيت يبدأ بإساف، و يقبله، و يختم به، و كانت العرب عند ما تحجّ البيت تسأل قريشا و خزاعة عنها، فيقولون نعبدها لتقربنا إلى اللّه زلفى فلما رأت العرب ذلک اتخذت كلّ قبيلة صنما لها يصلّون له تقربا إلى اللّه على حدّ زعمهم.

ص: ۷۸

فكان لكلب بن وبرة و أحياء قضاعة (ودّ) منصوبا بدومة الجندل بجرش و كان لحمير و همدان (نسر) منصوبا بصنعاء.

و كذلک ذكر اليعقوبى [۷۷] و ابن هشام أصنام ا لقبائل و أماكنها قالا : و كان لبعضها بيوت تعظمها العرب مثل بيت اللات بالطائف، و كانت العرب إذا أرادت حجّ البيت، وقفت كلّ قبيلة عند صنمها، و صلّوا عنده، ثم تلبوا، حتّى قدموا مكّة و كانت تلبية قريش: لبيک، اللّهم، لبيک! لبيک لا شريک لک، الّا شريک هو لک، تملكه و ما ملک ...

و تلبية جذام: لبيک عن جذام ذى النهى و الأحلام.

و تلبية مذحج: لبيک رب الشّعرى و ربّ اللات و العزّى [۷۸] و فى ذلک قال اللّه سبحانه : وَ ما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَ هُمْ مُشْرِكُونَ كانت قبائل العرب إذا دخلوا مكة للحج نزعوا ثيابهم الّتى كانت عليهم و لبسوا ثياب أهل مكّة كراء أو عارية، و إن لم يمكنهم ذلک طافوا بالبيت عراة، و كانوا ينكرون المعاد، كما أخبر اللّه عنهم فى سورة الجاثية و قال سبحانه:

---

[۷۶] (۱) سيرة ابن هشام ط. مصر سنة ۱۳۵۶ ه ۱/ ۸۲، و تاريخ اليعقوبى ط. بيروت سنة ۱۳۷۹ ه ۱/ ۲۵۴، و الاكتفاء للكلاعى ط. القاهرة سنة ۱۳۸۷ ه ۱/ ۹۲- ۹۴.

[۷۷] (۲) تاريخ اليعقوبى ۱/ ۲۵۵، و سيرة ابن هشام ۱/ ۸۲، و الاكتفاء للكلاعى ۱/ ۹۴.

وَ قالُوا ما هِيَ إِلَّا حَياتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ وَ نَحْيا وَ ما يُهْلِكُنا إِلَّا الدَّهْرُ وَ ما لَهُمْ بِذلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ❊ وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ ما كانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قالُوا ائْتُوا بِآبائِنا إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ ❊ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (الآيات/ ۲۴- ۲۶) و كان لهم فى الجنّ عقائد مبهمة مشوشة كما نذكرها فى ما يأتى بحوله تعالى:

ص: ۷۹

ب- عقائد العرب فى الجن و الغول و السعلاة:

أمّا الجنّ، فكانت العرب فى الجاهلية إذا نزلوا واديا و باتوا فيه قالوا : نعوذ بسيد أهل هذا الوادى من شر أهله أو بعزيز هذا الوادى أو بعظيم هذا الوادى و ما شاكله من الاستعاذة بعظيم الجنّ فى ذلک الوادى.

روى السيوطى فى جملة أخبار الاستعاذة ما موجزه : أن رجلا من تميم نزل ليلة فى أرض مجنة، فقال : أعوذ بسيد هذا الوادى من شرّ أهله، فأجاره شيخ منهم، فغضب شاب منهم، و أخذ حربته لينحر ناقة الرجل، فمنعه الشيخ و قال:

يا مالک بن مهلهل مهلا فدى لک محجرى و أزارى

(كذا) عن ناقة الانسان لا تعرض لها ... الأبيات.

فقال له الفتى:

أ تريد أن تعلو و تخفض ذكرنا فى غير مرزية أبا العيزار

[۷۹] و أما الغول، فقد قال ابن الأثير [۸۰]: جنس من الجنّ و الشياطين، كانت العرب تزعم أن الغول فى الفلا تتراءى للناس فتتغول تغولا أى: تتلون تلونا فى صور شتى و تغولهم أى: تضلهم عن الطريق و تهلكهم.

و قال المسعودى فى ذلک ما موجزه[۸۱]:

---

[۷۸] (۳) كذلک ذكر اليعقوبى ۱/ ۲۵۵- ۲۵۶، تلبية القبائل قبيلة بعد قبيلة.

[۷۹] (۴) فى تفسير آية و كان رجال من الانس يعوذ ون برجال من الجن من الدر المنثور ط . مصر سنة ۱۳۱۴ ه ۶/ ۲۷۱، و فى مروج الذهب للمسعودى ط . بيروت سنة ۱۳۸۵ ه ۲/ ۱۴۰ أخبار نظير ما ذكرناه.

[۸۰] (۵) النهاية فى غريب الحديث و الأثر، مادة(الغول) ۳/ ۳۹۶.

[۸۱] (۶) مروج الذهب ۲/ ۱۳۴- ۱۳۵، فى باب أقاويل العرب فى الغيلان.

العرب يزعمون أنّ الغول يتغول لهم فى الخلوات، و يظهر لخواصهم فى أنواع من الصور، فيخاطبونها، و ربما ضيفوها، و قد أكثروا من ذلک فى أشعارهم، فمنها قول تأبّط شرّا:

فأصبحت و الغول لى جارة فيا جارتى أنت ما أهولا

و طالبتها بضعها فالتوت بوجه تغول فاستغولا

و يزعمون أن رجليها رجلا عنز، و كانوا إذا اعترضتهم الغول فى الفيافى يرتجزون و يقولون:

يا رجل عنز انهقى نهيقا لن نترک السبسب و الطريقا

و ذلک أنها كانت تتراءى لهم فى الليالى و أوقات الخلوات، فيتوهمون أنّها إنسان فيتبعونها، فتزيلهم عن الطريق الّتى هم عليها، و تتيههم. و كان ذلک قد اشتهر عندهم و عرفوه، فلم يكونوا يزولون عما كانوا عليه من القصد، فإذا صيح بها على ما وصفنا شردت عنهم فى بطون الأودية و رءوس الجبال.

و قد ذكر جماعة من الصحابة ذلک، منهم عمر بن الخطاب (رض) انه شاهد ذلک فى بعض أسفاره إلى الشام، و أنّ الغول كانت تتغول له، و إنّه ضربها بسيفه، و ذلک قبل ظهور الإسلام، و هذا مشهور عندهم فى أخبارهم.

السعلاة:

قال المسعودى ما موجزه [۸۲]:

و فرقوا بين السعلاة و الغول قال عبيد بن أيوب ...

أبيت بسعلاة و غول بقفرة إذا الليل وارى الجنّ فيه أرنت

[۸۲] (۷) مروج الذهب ۲/ ۱۳۷.

و قد وصفها بعضهم فقال:

و حافر العنز فی ساق مدملجة و جفن عین خلاف الأنس بالطول

و قد حکی اللّه قول الجنّ فی عملهم مع الأنس و قال تعالی:

وَ أَنَّهُ کانَ رِجالٌ مِنَ الْإِنْسِ یَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزادُوهُمْ رَهَقاً ❊ وَ أَنَّهُمْ ظَنُّوا کَما ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ یَبْعَثَ اللَّهُ أَحَداً ❊ وَ أَنَّا لَمَسْنَا السَّماءَ فَوَجَدْناها مُلِئَتْ حَرَساً شَدِیداً وَ شُهُباً❊ وَ أَنَّا کُنَّا نَقْعُدُ مِنْها مَقاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ یَسْتَمِعِ الْآنَ یَجِدْ لَهُ شِهاباً رَصَداً (الجن/ ۶- ۹).

ص: ۸۱

کان ذلکم بعض أخبار عقائد العرب فی الغول و السعلاة و نظائرهما و سندرس بعد هذا أمر الیهودیة و النصرانیة فی الجزیرة العربیة باذنه تعالی.

ج و د- الیهودیّة و المسیحیة

انتشرت الیهودیة فی بلاد الیمن و منطقة المدینة و المسیحیة فی الیمن و نواحی الشام.

و بنت النصاری بعض الکنائس مضاهاة للکعبة مثل کنیسة نجران الّتی قال فیها الأعشی:

و کعبة نجران حقّ علیک حتی تناخی باعتابها

و کنیسة قلیس الّتی بناها ابرهة، و أمر العرب أن یحجّوا إلیها، فتغوط فیها بعضهم فهمّه ذلک فأتی بجیش الفیل لهدم الکعبة[۸۳].

و من معتقدات الوثنیین و أهل الکتاب فی الجاهلیة ما أخبر اللّه عنه بقوله تعالی فی سورة الأنعام:

وَ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَکاءَ الْجِنَّ وَ خَلَقَهُمْ وَ خَرَقُوا لَهُ بَنِینَ وَ بَناتٍ بِغَیْرِ عِلْمٍ سُبْحانَهُ وَ تَعالی عَمَّا یَصِفُونَ❊ بَدِیعُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أَنَّی یَکُونُ لَهُ وَلَدٌ وَ لَمْ تَکُنْ لَهُ صاحِبَةٌ وَ خَلَقَ کُلَّ شَیْءٍ وَ هُوَ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیمٌ❊ ذلِکُمُ اللَّهُ رَبُّکُمْ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ خالِقُ

[۸۳] (۸) سیرة ابن هشام ۱/ ۴۳، و معجم البلدان ۴/ ۷۵۶.

كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (الآيات/ ١٠٠- ١٠٢) اما البنون الذين خرقوا فقد أخبر اللّه عنه فى قوله تعالى:

وَ قالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَ قالَتِ النَّصارى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ...

(التوبة/ ٣٠).

و كانت اليهود يومذاک تزعم ان عزيرا ابن اللّه و كانت النصارى و لا زالت تقول بأنّ المسيح عيسى بن مريم (ع): ابن اللّه.

ص: ٨٢

أما البنات، فقد أخبر اللّه عن عقيدتهم فى قوله تعالى:

وَ يَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَناتِ سُبْحانَهُ ... (النحل/ ٥٧).

و قوله تعالى:

فَاسْتَفْتِهِمْ أَ لِرَبِّکَ الْبَناتُ وَ لَهُمُ الْبَنُونَ * أَمْ خَلَقْنَا الْمَلائِکَةَ إِناثاً وَ هُمْ شاهِدُونَ * أَلا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْکِهِمْ لَيَقُولُونَ* وَلَدَ اللَّهُ وَ إِنَّهُمْ لَکاذِبُونَ* أَصْطَفَى الْبَناتِ عَلَى الْبَنِينَ (الصافات/ ١٤٩- ١٥٣).

*** تشريع الجاهليين فى الأطعمة

كذلكم يشرع الانسان الجاهلى لنفسه وفق هواه و تخيلاته، بينما شرع ربّ العالمين للانسان نظاما يتناسب و فطرته، و سماه دين الاسلام و بلغه بواسطة أنبيائه (ص)، و أكمله فى شريعة خاتم الأنبياء (ص)، و لكن الانسان الجاهلى شرّع لنفسه من الطعام حلالا و حراما فى مقابل ما شرعه رب العالمين كما أخبر اللّه تعالى عن ذلک و قال:

١- فى سورة يونس:

قُلْ أَ رَأَيْتُمْ ما أَنْزَلَ اللَّهُ لَکُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَراماً وَ حَلالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَکُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ * وَ ما ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْکَذِبَ يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَ لکِنَّ أَکْثَرَهُمْ لا يَشْکُرُونَ (الآيات/ ٥٩- ٦٠) ٢- فى سورة النحل:

وَ لا تَقُولُوا لِما تَصِفُ أَلْسِنَتُکُمُ الْکَذِبَ هذا حَلالٌ وَ هذا حَرامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْکَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْکَذِبَ لا يُفْلِحُونَ (الآية/ ١١٦) و شرع الانسان الجاهلى- أيضا- ما أخبر اللّه عنه فى الآيات الآتية:

أ- فى سورة المائدة:

ص: ٨٣

ما جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَ لا سائِبَةٍ وَ لا وَصِيلَةٍ وَ لا حامٍ وَ لكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّ ِهِ الْكَذِبَ وَ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ (الآية/ ١٠٣) ب- فى سورة الأنعام:

وَ قالُوا ما فِي بُطُونِ هذِهِ الْأَنْعامِ خالِصَةٌ لِذُكُورِنا وَ مُحَرَّمٌ عَلى أَزْواجِنا وَ إِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ❊ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ حَرَّمُوا ما رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِراءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَ ما كانُوا مُهْتَدِينَ (الآيات/ ١٣٩- ١٤٠) ج- فى سورة الأنعام:

قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَ لَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُ قُكُمْ وَ إِيَّاهُمْ وَ لا تَقْرَبُوا الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَ ما بَطَنَ وَ لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (الآية/ ١٥١) د- فى سورة المائدة يخاطب المؤمنين:

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَ لا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ❊ وَ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّباً وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (الآيات/ ٨٧- ٨٨)

شرح الكلمات:

أ- البحيرة:

الناقة كانت إذا ولدت فى الجاهلية خمسة أبطن شقّوا أذنها، و اعفوها أن ينتفع بها و لا يمنعوها من مرعى و لا ماء.

ص: ٨۴

ب- السائبة:

البعير الذى يدرک نتاج نتاجه فيسيب، أى يترک و لا يرکب و لا يحمل عليه.

و الناقة المهملة التى كانت تسيب فى الجاهلية لنذر و نحوه، فان الرجل إذا نذر القدوم من سفر أو البرء من علة أو ما أشبه ذلک، قال: ناقتى سائبة، فكانت السائبة كالبحيرة لا ينتفع بها و لا تمنع من ماء و كلاء.

ج- الوصيلة:

كانت الشاة فى الجاهلية إذا ولدت انثى، فهى لهم، و إذا ولدت ذكرا، جعلوه لآلهتهم.

فان ولدت توأما ذكرا و انثى قالوا: وصلت أخاها، فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم.

د- حام:

كانت العرب فى الجاهلية إذا انتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا قد حمى ظهره، فلا يحمل عليه، و لا يمنع من ماء و لا مرعى.

و يظهر مما جاء فى التفاسير و معاجم اللغة انهم لم يكونوا متفقين على ما ذكرناه بل كان للحام و الوصيلة عند اقوام غير ما ذكرناه من معنى.

ه- و قالوا ما فى بطون هذه الانعام:

يعنى قال الجاهليون ما فى بطون السائبة و بعض أنواع الوصيلة خالصة لذكورنا لا يشركهم فيها أحد من الاناث، و ان يكن الجنين ميتة فالذكور و الاناث فيه سواء.

*** كان ذلكم تشريع الجاهليين فى الاطعمة و تشريعهم فى أمر الزواج كالآتى:

ص: ٨٥

الأنكحة فى الجاهلية:

كان فى الجاهلية سبعة أنواع من النكاح متعارف عليها فقد روى البخارى أربعة منها عن عائشة انها قالت : ان النكاح فى الجاهلية كان على أربعة أنحاء فنكاح منها:

١- نكاح الناس اليوم يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنةفيصدقها ثم ينكحها.

٢- و نكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته، اذا طهرت من طمثها أرسلى الى فلان، فاستبضعى منه، و يعتزلها زوجها و لا يمسها أبدا، حتى يتبين حملها من ذلک الرجل الذى تستبضع منه، فاذا تبين حملها، أصابها زوجها إذا أحب.

و انما يفعل ذلک رغبة فى نجابة الولد. فكان هذا النكاح: نكاح الاستبضاع.

٣- و نكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة، فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها، فاذا حملت و وضعت و مر عليها ليالى بعد ان تضع حملها ارسلت اليهم، فلم يستطع رجل منهم ان يمتنع، حتى يجتمعوا عندها تقول لهم : قد عرفتم الذى كان من أمركم و قد ولدت فهو ابنک يا فلان! تسمى من أحبت باسمه، فيلحق به ولدها لا يستطيع ان يمتنع منه الرجل.

۴- و النكاح الرابع يجتمع الناس الكثير، فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها و هنّ البغايا كنّ ينصبن على أبوابهن رايات تكون علما فمن أرادهن دخل عليهن، فاذا حملت احداهن و وضعت جمعوا لها و دعوا لهم القافة، ثم الحقوا ولدها بالذى يرون، فالتاط به و دعى ابنه لا يمتنع من ذلک فلما بعث محمد (ص) بالحق هدم نكاح الجاهلية كله الا نكاح الناس اليوم[٨۴].

ص: ٨۶

و من امثلة النكاح الثالث نكاح النابغة أم عمرو بن العاص كما رواه الزمخشرى و غيره و اللفظ للزمخشرى فى كتاب «ربيع الابرار» قال:

---

[٨۴] (٩) البخارى ٣/ ١۶۵ كتاب النكاح باب من قال لا نكاح إلّا بولىّ.

كانت النابغة أم عمرو بن العاص أمّة لرجل من عنزة، فسبيت، فاشتراها عبد اللّه بن جدعان التيمى بمكة، فكانت بغيا ثم اعتقها فوقع عليها ابو لهب بن عبد المطلب و أمية بن خ لف الجمحى، و هشام بن المغيرة المخزومى و أبو سفيان بن حرب، و العاص بن وائل السهمى، فى طهر واحد، فولدت عمرا، فادعاه كلهم، فحكمت امه فيه، فقالت : هو من العاص بن وائل، و ذاک لان العاص بن وائل كان ينفق عليها كثيرا.

قالوا: و كان أشبه بأبى سفيان و فى ذلک يقول: أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فى عمرو بن العاص.

ابوک ابو سفيان لا شک قد بدت لنا فيک منه بينات الشمائل

[85] و من امثلة النكاح الرابع ما رواه ابن حجر فى فتح البارى و قال : (هنّ بغايا كنّ فى الجاهلية معلومات لهنّ رايات يعرفن بها) و قال:

و قد ساق ابن الكلبى فى كتاب المثالب اسامى صواحب الرايات فى الجاهلية فسمّى منهن أكثر من عشر نسوة مشهورات تركت ذكرهن اختيارا.

و ذكر قبله اسم واحدة منهن[86].

و فى العقد الفريد ما موجزه.

كانت سمية أمّ زياد أمة للحارث بن كلدة و زوجها عبيدا عبدا لابنته، فولدت على فراشه زيادا.

و كانت البغايا فى الجاهلية لهن رايات يعرفن بها، و ينتحيها الفتيان و كان

أكثر الناس، يكرهون اماءهم على البغاء و الخروج الى تلک الرايات يبتغون عرض الحياة الدنيا و ان أبا سفيان خرج يوما و هو ثمل الى تلک الرايات، فوقع بسمية فولدت له زيادا على فراش عبيد[87].

۵- نكاح الشغار:

من انكحتهم نكاح الشغار: قال ابن الأثير فى نهاية اللغة:

---

[85] (۱۰) ابن ابى الحديد ۶/ ۲۸۳، ۲۹۱ و راجع ج ۲/ ۱۲۵ منه و أوردها الزبير بن بكار فى كتاب المفاخرات كما روى عنه ابن ا بى الحديد فى شرح الخطبة ۸۲ و من كلام له فى ذكر عمرو بن العاص ط. مصر الاولى ۱/ ۹۹.

[86] (۱۱) فتح البارى ۱۱/ ۹۰ فى باب لا نكاح إلا بولى من كتاب النكاح.

[87] (۱۲) العقد الفريد ۵/ ۴- ۵ فى ذكر أخبار زياد.

و هو نكاح معروف فى الجاهلية كان يقول الرجل للرجل شاغرنى أى زوجنى اختك أو ابنتك أو من تلى أمرها، حتى ازوجك اختى أو بنتى أو من إلىّ أمرها و لا يكون بينهما مهر، و يكون بضع كل واحدة منهما فى مقابلة بضع الاخرى و قيل له شغار لارتفاع المهر بينهما من شغر الكلب إذا رفع احدى رجليه ليبول[88].

۶- نكاح المقت:

نكاح المقت قال ابن الأثير فى مادة (مقت) من نهاية اللغة و المقت ان يتزوج الرجل امرأة أبيه اذا طلقها أو مات عنها، و كان يفعل ذلك فى الجاهلية و حرّمه الإسلام، و مثاله ما رواه ابن اسحاق فى سيرته و قال:

(و كان عمرو بن نفيل قد خلف على أم الخطاب بعد- أبيه- فولدت له زيد بن عمرو و كان الخطاب عمه و أخاه لأمه)[89].

ص: ۸۸

و مثال آخر منه ما نقله ابن أبى الحديد فى شرح النهج و قال:

(و صنع أمية فى الجاهلية شيئا لم يصنعه أحد من العرب، زوج ابنه أبا عمر و امرأته فى حياته منه، فأولدها أبا معيط بن أبى عمرو بن أميّة. و المقيتون فى الإسلام هم الّذين نكحوا نساء آبائهم بعد موتهم، فأمّا أن يتزوجه ا فى حياة الأبّ و يبنى عليها و هو يراه، فإنّه شىء لم يكن قط)[90].

و لم يقتصر النكاح بالإرث على نكاح الولد زوجة أبيه بعد موته بل يعمّ وارثى المتوفى كما رواه الطبرى و غيره فى تفسير قوله تعالى لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّساءَ و قالوا:

كان الرجل فى الجاهلية يموت أبوه أو أخوه أو ابنه، فاذا مات و ترك امرأته ألقى الرجل عليها ثوبه، فورث نكاحها، و كان أحقّ بها، و كان ذلك عندهم نكاحا فان شاء أمسكها، حتّى تفتدى منه.

و قال: كان إذا توفى الرجل كان ابنه الأكبر هو أحقّ بامرأته ينكحها إذا شاء إذا لم يكن ابنها أو ين كحها من شاء أخاه أو ابن أخيه.

و قال: و إن كان صغيرا حبست عليه حتى يكبر فان شاء أصابها، و إن شاء فارقها.

و قال: كان الرجل إذا مات أبوه أو حميمه، فهو أحقّ بامرأته إن شاء أمسكها أو يجلسها، حتّى تفتدى منه بصداقها أو تموت فيذهب بمالها[91].

---

[88] (۱۳) مادة(شغر) من نهاية اللغة لابن الاثير ۲/ ۲۲۶ و قد لخص ما اورده هنا من الروايات فى باب الشغار من كتاب النكاح فى صحيح البخارى(۳/ ۱۶۳) و صحيح مسلم ص ۱۰۳۴- ۱۰۳۵ الاحاديث ۵۷- ۶۲ و سنن ابى داود(۲/ ۲۲۷) الحديث ۲۰۷۴ و ۲۰۷۵ و سنن ابن ماجة ۱/ ۶۰۶ الحديث(۱۸۸۳- ۱۸۸۵) و سنن النسائى ۶/ ۱۱۰- ۱۱۲ و سنن الدارمى ۲/ ۱۳۶ و مسند احمد(۲/ ۷، ۱۹، ۲۵، ۶۲، ۹۱، ۲۱۵، ۲۱۶، ۲۸۶، ۴۳۹، ۴۹۶)،(۳/ ۳۲۱، ۳۳۹، ۴/ ۴۲۹، ۴۳۹، ۴۴۱، ۴۴۳)، و من مادة شغر فى معاجم اللغة.

[89] (۱۴) سيرة ابن اسحاق ط. المغرب ص ۹۷ سنة ۱۳۹۶ ه.

[90] (۱۵) شرح نهج البلاغة تحقيق محمد ابو الفضل ط. مصر ۱۵/ ۲۰۷.

۷- نكاح البدل:

و هو أن يقول الرجل للرجل: انزل عن امرأتک و أنزل لک عن امراتی، و كان من هذا القبيل خبر عيينة بن حصن شيخ قبيلة بنی فزارة عند ما دخل على رسول اللّه (ص) بغير إذن، فقال له رسول اللّه (ص) و أين الإذن.

ص: ۸۹

فقال ما استأذنت على أحد من مضر و كانت عنده عائشة (رض) قبل ان ينزل الحجاب فقال: من هذه؟

قال: هذه عائشة.

قال: أ فلا انزل لک عن أم البنين- زوجة عيينة- فتنكحها.

فغضبت عائشة (رض) و قالت: من هذا؟

فقال رسول اللّه (ص): هذا أحمق مطاع يعنی فی قومه[۹۲].

و كذلک شرع الجاهليين فی شأن الأشهر الحرم و النسیء كالآتی:

الأشهر الحرم فی الجاهلية:

قال اللّه تعالى فی سورة التوبة:

إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنا عَشَرَ شَهْراً فِی كِتابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ مِنْها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذلِکَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَ قاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَما يُقاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ* إِنَّمَا النَّسِیءُ زِيادَةٌ فِی الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عاماً وَ يُحَرِّمُونَهُ عاماً لِيُواطِؤُا عِدَّةَ ما حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا ما حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمالِهِمْ وَ اللَّهُ لا يَهْدِی الْقَوْمَ الْكافِرِينَ (الآيات/ ۳۶- ۳۷)

تفسير الكلمات:

فی كتاب اللّه: أی فی ما فرض اللّه كما يأتی تحقيقه فی بحث المصطلحات الإسلامية إن شاء اللّه تعالى.

أربعة حرم: أربعة أشهر الحرم هی ذو القعدة و ذو الحجة و محرم و رجب.

ص: ۹۰

---

[۹۱] (۱۶) تفسير الطبری ۴/ ۲۰۸- ۲۰۹.

[۹۲] (۱۷) راجع عمدة القارئ ۲۰/ ۱۲۲ كتاب النكاح الحديث(۶۰) و ترجمة عيينة فی الاستيعاب و أسد الغابة و الاصابة.

النسیء: نسأت الشیء فهو منسوء، إذا أخرته و النسی ء بمعنی المنسوء مثل القتیل بمعنی المقتول و رجل ناسئ و قوم نسأة علی وزن فاسق و فسقة.

لیواطئوا: واطأه وافقه طابقه.

المعنی:

کانت العرب تحرم الشهور الأربعة و ذلک مما تمسّکت به من ملّة إبراهیم و إسماعیل، و کانوا أصحاب حروب و غارات، فربّما کان یشقّ علیهم أن یمکثوا ثلاثة أشهر متوالیة، ذی القعدة، و ذی الحجة، و محرم و لا یغیرون ف یها بعد أن أتموا حجّهم فی ذی الحجة، و یقولون: لئن توالت علینا ثلاثة أشهر لا نصیب فیها شیئا لنهلکن، فکانوا إذا صدروا عن منی یقوم منهم رئیس، و یقول: أنا الذی لا أعاب و لا أخاب و لا یرد لی قضاء فیقولون : نعم صدقت. أنسئنا شهرا و اجعل حرمة المحرم فی صفر و أحل المحرم، فیفعل ذلک.

فیکون صفر تلک السنة عندهم شهر المحرم و الصفر ربیع أول و هکذا یتسلسل حتی یکون ذو الحجة الآتی بعدها فی شهر محرم و کذلک کانت الاشهر تدور عندهم و أحیانا یصادف عندهم أن یحجوا فی شهر ذی الحجة.

و لما حجّ النبی (ص) حجة الوداع وافقت شهر ذی الحجة، فقال فی خطبته ألا و ان الزمان قد استدار کهیئة یوم خلق اللّه السموات و الأرض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متوالیات : ذو القعدة، و ذو الحجة، و المحرم و رجب الذی بین جمادی و شعبان.

أراد (ص) أن الأشهر الحرم، رجعت إلی مواضعها و عاد الحجّ إلی ذی الحج و بطل النسیء و کان أول من سن النسی ء عمرو بن لحی و حین جاء الاسلام کان ینسؤها رجل یقال له القلمس و فی ذلک قال رجل من قومه اسمه عمیر بن قیس بن جذل الطعان:

ص: ۹۱

السنا الناسئین علی معد شهور الحل نجعلها حراما

۹۳

نتیجة البحث:

---

[۹۳] (۱۸) أوردنا تفسیر الکلمات من مفردات الراغب و لسان العرب و الخبر من تفسیر الآیة بتفسیر القرطبی ۸/ ۱۳۶- ۱۳۸ و تفسیر مجمع البیان ۵/ ۲۸- ۲۹.

ما يهمنا ممّا ذكرناه ان نظام الحكم فى المجتمع العربى الجاهلى كان قبيليا محضا عليه بنيت جميع اعراف المجتمع.

و فى مقدمة جميع أعرافهم حب كسب الفخر للقبيلة و نشر فضائلها، و من ثم كان للشعر أكبر الاثر فى نفوس افراد ذلک المجتمع و كانت أهم خصيصة من خ صائصها أثر الشعر فيهم، بحيث ان مديحا واحدا من شاعر لفقير مدقع يجعله شريفا يتسابق أشراف القبائل الى خطبة بناته و لملک ظافر ان يطلق اسرى القتال.

و قصيدة واحدة تدفع القبائل للحرب و القتال، و لذلک دفعت قريش مائة ناقة للأعشى الشاعر كى لا يذهب الى المدينة و ينصر المسلمين بشعره، و بلغ خوفهم من هجاء الشعر لهم ان يسبّ بهم الاحياء و الاموات، و يبقى أثره حى الاعقاب مثل لقب أنف الناقة لبنى قريع من بنى تميم الذى اصبح ذمّا لاولاده يعيّرون به و يغضبون منه و يفرقون الى ان قال الخطيئة فى مدحهم:

قوم هم الانف و الاذناب غيرهم و من يساوى بأنف الناقة الذنبا

فصاروا يتطاولون بهذا النسب، و يمدّون به اصواتهم فى جهارة.

و من هنا نعرف حكمة مجى ء النبى (ص) فى أولئكم الناس بمعجزة القرآن الذى فاق بلاغة كل بليغ، و سوف ندرس فى بحوثنا الآتية باذنه تعالى أثر القرآن فى المجتمع العربى الجاهلى و الاسلامى.

و نبدأ بذكر من تاريخ القرآن على عهد الرسول (ص) بمكة.

ص: ۹۳

بحوث تمهيدية «۲» من تاريخ القرآن

الفصل الأول: أخبار القرآن فى عصر نزوله بمكة.

الفصل الثانى: أخبار القرآن فى عصر نزوله فى المدينة

ص: ۹۵

الفصل الأول أخبار القرآن فى عصر نزوله بمكة على عهد الرسول الأكرم (ص)

أ- القرآن و ما فيه.

ب- خصائص القرآن المكى و آثاره الادبية و الفكرية.

ج- أخبار بدء الدعوة.

د- مقابلة قريش للقرآن الكريم.

ه- سياسة النبى فى أمر القراءة و الاقراء.

و- تدوين القرآن فى مكة.

ز- خصائص المجتمع الاسلامى على عهد الرسول (ص).

ص: ۹۷

اولا- القرآن و ما فيه:

فى ليلة السابع و العشرين من رجب و فى غار جبل حراء على بعد ثلاثة أميال من مكة أنزل اللّه أول مرة مع جبرئيل على نبيه (ص):

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ اقْرَأْ باسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ* خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ* اقْرَأْ وَ رَبُّکَ الْأَکْرَمُ* الَّذِی عَلَّمَ بِالْقَلَمِ* عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ (الآيات/ ۱- ۵) ثم توالى نزول القرآن ثلاثا و عشرين سنة. قال تعالى:

وَ نَزَّلْنا عَلَيْکَ الْکِتابَ تِبْياناً لِکُلِّ شَيْءٍ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً ... (النحل/ ۸۹).

و كما أخبر اللّه سبحانه فى سورة الجمعة:

هُوَ الَّذِی بَعَثَ فِی الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَکِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَةَ وَ إِنْ کانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِی ضَلالٍ مُبِينٍ (الآية/ ۲) و كما قال تعالى فى سورة البقرة:

کَما أَرْسَلْنا فِيکُمْ رَسُولًا مِنْکُمْ يَتْلُوا عَلَيْکُمْ آياتِنا وَ يُزَکِّيکُمْ وَ يُعَلِّمُکُمُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَةَ وَ يُعَلِّمُکُمْ ما لَمْ تَکُونُوا تَعْلَمُونَ أنزل اللّه فى القرآن جميع أنواع المعرفة الدينية من صفات الخالق و أخبار المعاد و أحكام الإسلام و آدابه و أصناف المعرفة بجميع عوالم الوجود؛ عوالم السموات و الأرض، و عوالم الملائكة و الجن و الإنس و النبات و الحيوان، و أخبار

ص: ۹۸

الأمم السابقة و البائدة و أنبيائها، و أخبار الغيوب الآتية، و أودع مفاتيح تلك الكنوز من المعرفة، إلى رسول اللّه (ص) و قال تعالى فى سورة النحل/ ۴۴:

وَ أَنْزَلْنا إِلَيْکَ الذِّکْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ نزل القرآن على رسول اللّه (ص) ثلاث عشرة سنة فى مكّة و عشر.

سنوات فى المدينة و لكلّ خصائصه، كما نذكرها فى ما يأتى بحوله تعالى.

ص: ۹۹

ثانيا- خصائص القرآن المكى و آثاره:

أ- الخصائص الادبية فى القرآن المكى:

نزل القرآن بمكة فى ثلاث عشرة سنة قصيرة آياته صغيرة فى جلّ سوره.

و فى القرآن المكّى ما يدحض مزاعم قريش الباطلة فى تعدد الآلهة، و يدمغ حججهم الواهية فى التمسك بها و بأعرافهم الجاهلية بحجج رصينة و يجيب عن أسئلتهم بأجوبة شافية وافية و ما فيه تعنيف شامت و رد على اقتراحاتهم الجاهلية.

و منه ما يقص ما جرى بين الرسول (ص) و قريش من مناظرات و مجادلات، و ما يحكى عن حوادث معاصرة أو غابرة ممّا جرى بين الأنبياء و أممهم يضرب بها مثلا لكفار قريش و ما يجرى بينهم و بين نبيّهم من مشاجرات، و منه ما يصور أهوال يوم القيامة ممّا يقشعرّ لها جلد العربى ذو الحسّ المرهف، و لكلام اللّه فى القرآن الكريم ميزات كثيرة على كلام البشر جليّة نقتصر فى ما يأتى على ذكر الامتياز البلاغى- الأدبى- ثمّ الفكرى للقرآن المكّى بحوله تعالى:

أثر الامتياز الأدبى فى القرآن الكريم:

أمثلة من آيات تتجلى فيها الميزة الأدبية فى القرآن المكى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ وَ الضُّحى* وَ اللَّيْلِ إِذا سَجى* ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَ ما قَلى* وَ لَلْآخِرَةُ خَيْرٌ

ص: ١٠٠

لَكَ مِنَ الْأُولى* وَ لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى * أَ لَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوى * وَ وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدى * وَ وَجَدَكَ عائِلًا فَأَغْنى* فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ* وَ أَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ* وَ أَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (الضحى/ ١- ١١).

أية قطعة فنية من كلام البشر شعرا كان أم نثرا تضاهى هذه السورة أو تدانيها، أم أية قطعة أدبية من كلام البشر توازى أو تدانى قوله تعالى فى سورة الرحمن:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ الرَّحْمنُ* عَلَّمَ الْقُرْآنَ* خَلَقَ الْإِنْسانَ* عَلَّمَهُ الْبَيانَ* الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بِحُسْبانٍ* وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ يَسْجُدانِ* وَ السَّماءَ رَفَعَها وَ وَضَعَ الْمِيزانَ* ... فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (الآيات/ ١- ٧ و ١٣) أم أية قطعة أدبية من كلام الآدميين توازى أو تدانى قوله عزّ اسمه فى سورة التكوير:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَ إِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * وَ إِذَا الْجِبالُ سُيِّرَتْ * وَ إِذَا الْعِشارُ عُطِّلَتْ * وَ إِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ* وَ إِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ * وَ إِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ* وَ إِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ... فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ* إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ* لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (الآيات/ ١- ٩ و ٢٦- ٢٨).

خذ أی فن من فنون کلام بلغاء الآدمیین، و قارنه بم ا شئت من مثیله فی القرآن الکریم، لتری بلاغة القرآن کضوء الشمس یخفی ضیاؤه لمعان کل نجم فی سماء الأدب صغیرا کان أو کبیرا خذ مثلا الفن القصصی من کلام الآدمیین و قارنه بنظیره فی القرآن الکریم حیث قال- سبحانه و تعالی- فی سورة الفیل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ أَ لَمْ تَرَ کَیْفَ فَعَلَ رَبُّکَ بِأَصْحابِ الْفِیلِ* أَ لَمْ یَجْعَلْ کَیْدَهُمْ فِی

تَضْلِیلٍ* وَ أَرْسَلَ عَلَیْهِمْ طَیْراً أَبابِیلَ* تَرْمِیهِمْ بِحِجارَةٍ مِنْ سِجِّیلٍ* فَجَعَلَهُمْ کَعَصْفٍ مَأْکُولٍ و هی تحکی عن قصة شاهدتها قریش فی عصرها و مصرها و ان شئت فخذ مثلا ما حکی اللّه من قصص الانبیاء السابقین مع أممهم الغابرة و قارن بین ما قصه البشر من القصص المتوسطة و بین ما حکی اللّه عن نوح و قومه حیث قال فی سورة نوح:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ إِنَّا أَرْسَلْنا نُوحاً إِلی قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَکَ مِنْ قَبْلِ أَنْ یَأْتِیَهُمْ عَذابٌ أَلِیمٌ* قالَ یا قَوْمِ إِنِّی لَکُمْ نَذِیرٌ مُبِینٌ* أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اتَّقُوهُ وَ أَطِیعُونِ* یَغْفِرْ لَکُمْ مِنْ ذُنُوبِکُمْ وَ یُؤَخِّرْکُمْ إِلی أَجَلٍ مُسَمًّی إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذا جاءَ لا یُؤَخَّرُ لَوْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ* قالَ رَبِّ إِنِّی دَعَوْتُ قَوْمِی لَیْلًا وَ نَهاراً* فَلَمْ یَزِدْهُمْ دُعائِی إِلَّا فِراراً* وَ إِنِّی کُلَّما دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِی آذانِهِمْ وَ اسْتَغْشَوْا ثِیابَهُمْ وَ أَصَرُّوا وَ اسْتَکْبَرُوا اسْتِکْباراً* ثُمَّ إِنِّی دَعَوْتُهُمْ جِهاراً* ثُمَّ إِنِّی أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَ أَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْراراً* فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّکُمْ إِنَّهُ کانَ غَفَّاراً* یُرْسِلِ السَّماءَ عَلَیْکُمْ مِدْراراً* وَ یُمْدِدْکُمْ بِأَمْوالٍ وَ بَنِینَ وَ یَجْعَلْ لَکُمْ جَنَّاتٍ وَ یَجْعَلْ لَکُمْ أَنْهاراً* ما لَکُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقاراً* وَ قَدْ خَلَقَکُمْ أَطْواراً* أَ لَمْ تَرَوْا کَیْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً* وَ جَعَلَ الْقَمَرَ فِیهِنَّ نُوراً وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً* وَ اللَّهُ أَنْبَتَکُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً* ثُمَّ یُعِیدُکُمْ فِیها وَ یُخْرِجُکُمْ إِخْراجاً* وَ اللَّهُ جَعَلَ لَکُمُ الْأَرْضَ بِساطاً* لِتَسْلُکُوا مِنْها سُبُلًا فِجاجاً* قالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِی وَ اتَّبَعُوا مَنْ لَمْ یَزِدْهُ مالُهُ وَ وَلَدُهُ إِلَّا خَساراً* وَ مَکَرُوا مَکْراً کُبَّاراً* وَ قالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَکُمْ وَ لا تَذَرُنَّ وَدًّا وَ لا سُواعاً وَ لا یَغُوثَ وَ یَعُوقَ وَ نَسْراً* وَ قَدْ أَضَلُّوا کَثِیراً وَ لا تَزِدِ الظَّالِمِینَ إِلَّا ضَلالًا* مِمَّا خَطِیئاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا ناراً فَلَمْ یَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصاراً* وَ قالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَی الْأَرْضِ مِنَ الْکافِرِینَ دَیَّاراً* إِنَّکَ إِنْ تَذَرْهُمْ یُضِلُّوا عِبادَکَ وَ لا یَلِدُوا إِلَّا فاجِراً

کَفَّاراً* رَبِّ اغْفِرْ لِی وَ لِوالِدَیَّ وَ لِمَنْ دَخَلَ بَیْتِیَ مُؤْمِناً وَ لِلْمُؤْمِنِینَ وَ الْمُؤْمِناتِ وَ لا تَزِدِ الظَّالِمِینَ إِلَّا تَباراً (الآیات/ ۱- ۲۸) و خذ للمقارنة قصص بلغاء البشر الکبیرة من قصص القرآن، و خذ إن شئت فی سورة یوسف أحسن القصص أو قصص زکریا و مریم و عیسی- علیهم السلام- فی سورة مریم أو قصص هارون و موسی مع فرعون و بنی اسرائیل فی سائر السور.

و هکذا لا یجاری القرآن و لا یبارى فی أی فن من فنون البلاغة فی التعبیر، و کذلک لا شبیه له و لا نظیر فی ما یحوی من فنون العلم بالمبدإ و المعاد و أخبار عوالم الملائکة و الجنّ و الانس و الحیوان و النبات و الجماد و السموات و الکواکب و أنظمة لحیاة الإنسان و سائر فنون المعرفة الصحیحة، و کان لبلاغ ة القرآن و الجانب الأدبی فیه الأثر البلیغ فی نفوس قریش کما یدلّ علیه أمثال الخبر الآتی:

تأثیر القرآن المکی فی قریش و استماعهم الیه سرّا:

روى ابن هشام و غيره و اللفظ لابن هشام، قال:

إن أبا سفيان بن حرب و أبا جهل بن هشام و الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفى، حليف بنى زهرة، خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول اللّه (ص) و هو يصلى من الليل فى بيته، فأخذ كلّ رجل منهم مجلسا يستمع فيه، و كلّ لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرّقوا.

فجمعهم الطريق، فتلاوموا، و قال بعضهم لبعض : لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم فى نفسه شيئا، ثمّ انصرفوا . حتّى إذا كانت الليلة الثانية عاد كلّ رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتّى إذا طلع الفجر تفرّقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرّة ثمّ انصرفوا . حتّى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كلّ رجل منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتّى إذا

طلع الفجر تفرّقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتّى نتعاهد ألا نعود: فتعاهدوا على ذلک، ثمّ تفرّقوا.

فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان فى بيته فقال: أخبرنى يا أبا حنظلة عن رأيک فيما سمعت من محمّد؟

فقال: يا أبا ثعلبة، و اللّه لقد سمعت أشياء أعرفها و أعرف ما يراد بها، و سمعت أشياء ما عرفت معناها، و لا ما يراد بها.

قال الأخنس: و أنا و الذى حلفت به كذلک.

قال: ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل و كان أول من دخل عليه بيته فقال : يا أبا الحكم، ما رأيک فيما سمعت من محمّد؟

فقال: ما ذا سمعت! تنازعنا نحن- أى قبيلة بنى مخزوم- و بنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، و حملوا فحملنا، و أعطوا فأعطينا، حتى تحاذينا على الرّكب، و كنا كفرسى رهان، قالوا : منّا نبىّ يأتيه الوحى من السماء؛ فمتى ندرک مثل هذه! و اللّه لا نؤمن به أبدا و لا نصدقه.

قال: فقام عنه الاخنس و تركه[٩٤].

هكذا كان للجانب الأدبى من القرآن الكريم الأثر البليغ فى نفوس من يستمع إليه و لذلک بذلت قريش جهدها لتمنع الحجيج من الاستماع إلى قراءة الرسول للقرآن الكريم كما سيأتى خبره فى بحث الخصائص الفكرية فى القرآن المكى الآتى.

ب الخصائص الفكرية فى القرآن المكى:

---

[٩٤] (١) سيرة ابن هشام ط. القاهرة ١/ ٣٣٧- ٣٣٨.

يعرض القرآن المكى فى سور صغيرة عقيدة التوحيد فى الالوهية و الربوبية و رسالة خاتم الأنبياء و عوالم المعاد بعد حياة الدنيا، و انّ القرآن كلام

ص: ۱۰۴

اللّه نزل لهداية البشر، و يدحض أعراف مشركى قريش الوثنية و الجاهلية و حججهم على الرسول و القرآن الكريم، و يدعوهم الى العمل الصالح فى الحياة الدنيا و من أمثلة ذلكم:

أ- فى التوحيد:

قال- سبحانه و تعالى- فى سورة التوحيد:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ* اللَّهُ الصَّمَدُ* لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ* وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ب- فى خبر المعاد:

قال سبحانه و تعالى فى سورة يس:

وَ ضَرَبَ لَنا مَثَلًا وَ نَسِيَ خَلْقَهُ قالَ مَنْ يُحْيِ الْ عِظامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ* قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (الآيات/ ۷۸- ۷۹) و قال تعالى فى سورة الزلزلة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ إِذا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزالَها * وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقالَها* وَ قالَ الْإِنْسانُ ما لَها * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبارَها* بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحى لَها* يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتاتاً لِيُرَوْا أَعْمالَهُمْ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ج- دعوته للعمل الصالح:

قال- سبحانه و تعالى- فى سورة العصر:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ وَ الْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِى خُسْرٍ* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَ تَواصَوْا بِالْحَقِّ وَ تَواصَوْا بِالصَّبْرِ كانت لكم أمثلة من الآيات التى يتجلى فيها الامتياز البلاغى للقرآن

ص: ۱۰۵

الكريم ثم أمثلة من الآيات التى تتجلى فيها الخصائص الفكرية للقرآن المكى.

و لم نقصد من ايراد آيات لتعريف الميزات الأدبية فى القرآن الكريم ثم آيات اخر ل تعريف الخصائص الفكرية فيه، تصنيف آيات القرآن الى صنفين متقابلين: آيات تمتاز ببلاغتها فى الكلام و اخرى بما تحوى من فكر و علم، كلّا ! فإنّ اللّه سبحانه كما جعل ما يحتاجه جسد الانسان من (فيتامينات) مقومة لحياته فى ثمار لذيذة الطعم كالتمر و التفاح و العنب و الليمون و المشمش كذلك جعل ما تحتاجه نفسه من افكار مقومة لحياته النفسية و الجسدية فى فنون من الكلام فى القرآن الكريم تهش الى سماعها نفسه.

و كما ان الانسان قد يصاب فى جسده بغدد سرطانية يجب البدء باستئصالها من جذورها ثم القيام بتقوية جسده و تقويمه بما يحتاجه الج سد من مقومات الحياة فى طعامه و شرابه، كذلک الانسان المتلوث فكره بالوثنيات و الاعراف الجاهلية يجب البدء باستئصال افكاره المريضة الراسخة فى اعماق نفسه و قطعها من جذورها و لذلک بدء خليل اللّه إبراهيم دعوته الناس إلى عبادة اللّه بزعزعة عقيدة عبدة الكواكب و كسر أوثان عبدة الأصنام و بدأ خاتم الرسل بدعوة المشركين إلى أن يقولوا: لا اله الا اللّه، أى أن ينبذوا جميع أصنامهم التى يعبدونها اللات و العزى و مناة الثالثة الاخرى و سائر آلهتهم.

و كما ان الانسان المدمن للخمور و استعمال المخدرات يصرف كل طاقاته الفكرية و الجسد ية فى سبيل ادامة تعاطى الخمور و المخدرات و يقاوم بكل ما أوتى من حول و قوة من يريد أن يحول بينه و بينها ! كذلک الانسان المتلوث فكره بالوثنيات و الاعراف الجاهلية يصرف جميع طاقاته فى سبيل المحافظة على ما تلوث به فكره و اعتاده من أعراف جاهلية و عبادات و ثنية و يحارب من يريد أن يحول بينه و بين أعرافه و عباداته. و من هنا يلقى إبراهيم فى النار لتحرقه و يقابل خاتم الانبياء بصنوف من الاذى و الطغيان و لمن آمن بقرآنه بانواع من العسف و الظلم و العدوان.

ص: ۱۰۶

لو اقتصر القرآن فى مكة على عرض الجوانب الفنية و الادبية فى الكلام و لم يتعرض لأعراف قريش الجاهلية، و لم يسفه احلامهم، و يسب آلهتهم، لرفعت قريش الرسول فوق اكتافها، و شمخت بآنافها، و فاخرت به قبائل العرب و كاثرت به، و نافرت، لكن القرآن خاصمهم فى كل جانب من جوانب اعرافهم الجاهلية فوقع بينهم و بين القرآن و مبلّغه الرسول ما سنذكره بحوله تعالى بعد ايراد مثالين من أثر القرآن الفكرى فى الانسان العربى فى ما يأتى:

أ- قيام قريش لمقابلة الاثر الفكرى للقرآن الكريم:

بذلت قريش جهودا ضخمة لصد الأثر الفكرى للقرآن المكى عن الناس نذكر منها على سبيل المثال الموارد الآتية:

ذكر ابن عساكر و غيره فى ترجمة عتبة ما موجزه قال : ان قريش اجتمعت برسول اللّه (ص) و رسول اللّه (ص) فى المسجد، فقال لهم عتبة بن ربيعة دعونى حتى أقوم الى محمّد، فاكلمه، فانى عسى أن أكون أرفق به منكم.

فقام عتبة، حتى جلس اليه، فقال يا ابن أخى: إنک أوسطنا بيتا و أفضلنا مكانا و قد أدخلت على قومک ما لم يدخل رجل على قومه قبلک، فان كنت تطلب بهذا الحديث مالا، فذلک لک على قومک ان تجمع لک حتى تكون أكثرنا مالا، و ان كنت تريد شرفا فنحن مشرفوک، حتى لا يكون أحد من قومک فوقک، و لا نقطع الامور دونک.

و ان كان هذا عن لمم يصيبک لا تقدر عن النزوع عنه، بذلنا لک خزائننا فى طلب الطب لذلک منه.

و ان كنت تريد ملكا ملكناک.

قال رسول اللّه (ص): أفرغت يا أبا الوليد؟

قال نعم.

فقرأ (ص) حم السجدة حتى مر بالسجدة فسجد و عتبة ملق يده خلف

ص: ۱۰۷

ظهره حتى فرغ من قراءتها.

و قام عتبة لا يدرى ما يراجعه به حتى أتى، نادى قومه فلما رأوه مقبلا قالوا لقد رجع اليكم بوجه ما قام به من عندكم.

فجلس اليهم فقال يا معشر قريش قد كلمته بالذى أمرتمونى به حتى اذا فرغت كلمنى بكلام لا و اللّه ما سمعت أذناى بمثله قط فما دريت ما أقول له يا معشر قريش أطيعونى اليوم و اعصونى فيما بعده اتركوا الرجل و اعتزلوه فو اللّه ما هو بتارک ما هو عليه و خلوا بينه و بين سائر العرب فان يكن يظهر عليهم يكن شرفه شرفكم و عزه عزكم و ملكه ملككم و ان يظهروا عليه تكونوا قد كفيتموه بغيركم.

قالوا: أصبأت اليه يا أبا الوليد[۹۵].

تأثر جمع من أفراد قبائل قريش بالقرآن، و آمنوا به، و سنشير الى خبرهم فى آخر هذا البحث- ان شاء اللّه تعالى-، و لم ينحصر تأثير القرآن فى قريش وحدها بل كان تأثيره فى العرب، من غير أفراد قريش أكثر من تأثيره فى قريش كما نرى مثله فى خبر قيام قريش لمقابلة الأثر الفكرى الآتى.

ب- الأثر الفكرى و الأدبى للقرآن المكى فى الانسان العربى من غير قريش:

قصة اسلام الطفيل بن عمرو الدوسى:

روى ابن هشام[۹۶] و غيره و اللفظ لابن هشام، قال:

(كان رسول اللّه (ص)، على ما يرى من قومه، يبذل لهم النصيحة

ص: ۱۰۸

و يدعوهم الى النجاة مما هم فيه، و جعلت قريش حين منعه اللّه منهم، يحذرونه الناس و من قدم عليهم من العرب.

و كان الطفيل بن عمرو الدوسى يحدث : أنه قدم مكة و رسول اللّه (ص) بها، فمشى إليه رجال من قريش، و كان الطفيل رجلا شريفا شاعرا لبيبا، فقالوا له : يا طفيل، إنک قدمت بلادنا، و هذا الرجل الذى بين أظهرنا قد أعضل بنا، و قد فرق جماعتنا، و شتت أمرنا، و إنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل و بين أبيه، و بين الرجل و بين أخيه، و بين الرجل و بين زوجته، و إنا نخشى عليک و على قومک ما قد دخل علينا، فلا تكلمنه و لا تسمعن منه شيئا.

---

[۹۵] (۲) السيوطى ۵/ ۳۵۹؛ و فى ترجمة عتبة من مخطوطة ابن عساكر (۱۱/ ۱/ ۲۰ أ)؛ و القرطبى ۱۵/ ۳۳۸؛ و سيرة ابن هشام ط. القاهرة سنة ۱۳۵۶ ه ۱/ ۳۱۳- ۳۱۴.

[۹۶] (۳) سيرة ابن هشام ۱/ ۴۰۷- ۴۱۱.

قال: فو اللّه ما زالوا بى حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئا و لا أكلمه، حتى حشوت فى أذنى حين غدوت إلى المسجد كرسفا فرقا من أن يبلغنى شيء من قوله، و أنا لا أريد أن أسمعه.

قال: فغدوت إلى المسجد، فإذا رسول اللّه (ص) قائم يصلى عند الكعبة.

قال: فقمت منه قريبا فأبى اللّه إلا أن يسمعنى بعض قوله.

قال: فسمعت كلاما حسنا.

قال: فقلت فى نفسى و اثكل أمى، و اللّه إنى لرجل لبيب شاعر ما يخفى علىّ الحسن من القبيح، فما يمنعنى أن أسمع من هذا الرجل ما يقول! فإن كان الذى يأتى به حسنا قبلته، و إن كان قبيحا تركته.

قال: فمكثت حتى انصرف رسول اللّه (ص) إلى بيته فاتبعته، حتى إذا دخل بيته دخلت عليه، فقلت : يا محمد، إنّ قومک قد قالوا لى كذا و كذا، للذى قالوا، فو اللّه ما برحوا يخوفوننى أمرک حتى سددت أذنى بكرسف، لئلا أسمع قولک، ثم أبى اللّه إلا أن يسمعنى قولک، فسمعته قولا حسنا، فاعرض علىّ أمرک.

قال: فعرض علىّ رسول اللّه (ص) الإسلام، و تلا علىّ القرآن، فلا و اللّه ما سمعت قولا قط أحسن منه، و لا أمرا أعدل منه. قال: فأسلمت و شهدت:

شهادة الحق، و قلت: يا نبى اللّه، إنى امرؤ مطاع فى قومى، و أنا راجع إليهم، و داعيهم إلى الاسلام).

ثم روى ابن هشام بعد ذلک كيف دعا عمرو بن الطفيل عشيرته دوس الى الاسلام عند ما رجع اليهم و كيف انتشر فيهم الاسلام و كيف وفدوا الى رسول اللّه (ص) بعد غزوة خيبر.

*** إنّ أمثال هذا النوع من الأثر دعت قريشا أن يجتمعوا و يتشاوروا كيف يصدون الحجيج عن الاستماع الى قراءة الرسول (ص) للقرآن كما سنذكره بعد ايراد خبر بدء الدعوة فى ما يأتى باذنه تعالى.

ثالثا بدء الدعوة:

١- دعوة أقارب الرسول (ص):

و بدأ التبليغ علنا بدعوة بنى عبد المطلب ثم عم تبليغه للناس أجمعين و بين اللّه شعار الرسول فى التبليغ فى هذه المرحلة و قال فى سورة الأنعام/ ١٩:

... وَ أُوحِيَ إِلَيَّ هذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ ...

فبدأ بدعوة بنى عبد المطلب كما روى ذلک جمع من أهل الحديث و السير مثل: الطبرى، و ابن عساكر؛ و ابن الاثير و ابن كثير، و المتقى، و غيرهم- و اللفظ للأول- قال عن على بن أبى طالب (ع) قال:

لمّا نزلت هذه الآية على رسول اللّه (ص) وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَکَ الْأَقْرَبِينَ دعانى رسول اللّه (ص) فقال لى: يا علىّ انّ اللّه امرنى ان انذر عشيرتى الاقربين فضقت بذلک ذرعا، و عرفت انّى متى أُباديهم بهذا الامر ارى منهم ما اكره فصمتّ عليه حتّى جاءنى جبريل، فقال: يا محمّد انّک إلّا تفعل ما تؤمر به يعذّبک ربّک فاصنع لنا صاعا من طعام، و اجعل عليه رجل شاة، و املأ لنا عسا من لبن ثمّ اجمع لى بنى عبد المطلب، حتّى أكلّمهم، و أبلغهم ما أمرت به.

ففعلت ما أمرنى به ثمّ دعوتهم له و هم يومئذ اربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصونه فيهم اعمامه أبو طالب و حمزة و العبّاس و أبو لهب، فلمّا اجتمعوا اليه دعانى بالطعام الذى صنعت لهم، فجئت به فلمّا وضع ته، تناول رسول اللّه (ص) حذية من اللحم، فشقّها بأسنانه، ثمّ القاها فى نواحى الصّحفة ثمّ قال: خذوا

بسم اللّه فأكل القوم حتّى ما لهم بشى ء حاجة، و ما أرى الّا موضع ايديهم و أيم اللّه الذى نفس علىّ بيده و ان كان ا لرجل الواحد منهم ليأكل ما قدّمت لجميعهم، ثمّ قال اسق القوم، فجئتهم بذلک العسّ، فشربوا منه، حتّى رووا منه جميعا و أيم اللّه ان كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله.

فلمّا أراد رسول اللّه (ص) ان يكلّمهم بدره أبو لهب الى الكلام، فقال لهدّما سحركم صاحبكم، فتفرّق ا لقوم، و لم يكلّمهم رسول اللّه (ص) فقال الغد يا علىّ انّ هذا الرجل سبقنى الى ما قد سمعت من القول، فتفرّق القوم قبل ان أكلمهم، فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت ثمّ اجمعهم الىّ.

قال: ففعلت، ثمّ جمعتهم ثمّ دعانى بالطعام فقرّبته لهم ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا حتى ما لهم بشى ء به حاجة. ثم قال: اسقهم فجئتهم بذلک العسّ فشربوا حتّى رووا منه جميعا ثمّ تكلّم رسول اللّه (ص) فقال يا بنى عبد المطّلب انّى و اللّه ما أعلم شابا فى العرب جاء قومه بافضل مما قد جئتكم، به انّى قد جئتكم بخير الدنيا و الآخرة و قد أمرنى اللّه- تعالى- أن ادعوكم اليه فأيّكم يوازرنى على هذا الامر على ان يكون أخى و وصيّى و خليفتى فيكم؟

قال فاحجم القوم عنها جميعا و قلت و انّى لاحدثهم سنّا و ارمصهم عينا و اعظمهم بطنا و احمشهم ساقا انا يا نبىّ اللّه اكون وزيرک عليه.

فاخذ برقبتى ثمّ قال: انّ هذا أخى و وصيّى و خليفتى فيكم فاسمعوا له و اطيعوا قال فقام القوم يضحكون و يقولون لأبى طالب: قد أمرک ان تسمع لابنک و تطيع[۹۷].

---

[۹۷] (۴) تاريخ الطبرى ط. أوربا ۱/ ۱۱۷۱- ۱۱۷۲. و ابن عساكر تحقيق المحمودى ۱/ ۸۸ من ترجمة الامام. و تاريخ ابن الاثير ۲/ ۲۲۲. و شرح ابن ابى الحديد ۳/ ۲۶۳. و فى تاريخ ابن كثير ۳/ ۳۹، و قد حذف الألفاظ و قال: كذا و كذا. و كنز العمال للمتقى ۱۵/ ۱۰۰ و ۱۱۵ و ۱۱۶ منه، و فى ص ۱۳۰: يكون أخى و صاحبى و وليّكم بعدى. و السيرة الحلبية نشر المكتبة الاسلامية ببيروت ۱/ ۲۸۵.

و لهدما: كلمة تعجب. و فى الأصل:(لقدما) تحريف.

ص: ۱۱۲

۲- دعوته عامة قبائل العرب:

فی سیرة ابن هشام ما موجزه:

أ- قال الراوی: کان رسول اللّه (ص) یقف علی منازل القبائل من العرب فیقول: «یا بنی فلان، إنی رسول اللّه إلیکم، یأمرکم أن تعبدوا اللّه و لا تشرکوا به شیئا، و أن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد، و أن تؤمنوا بی و تصدّقوا بی، و تمنعونی حتی أبیّن عن اللّه ما بعثنی به» قال: و خلفه رجل أحول وضیء له غدیرتان[۹۸] علیه حلة عدنیة، فاذا فرغ رسول اللّه (ص) من قوله و ما دعا إلیه قال ذلک الرجل: یا بنی فلان، إن هذا إنما یدعوکم إلی أن تسلخوا اللّات و العزّی من أعناقکم و حلفاءکم من الجن من بنی مالک بن أقیش إلی ما جاء به من البدعة و الضلالة، فلا تطیعوه و لا تسمعوا منه، قال: فقلت لأبی: یا أبت، من هذا الذی یتبعه و یرد علیه ما یقول؟ قال: هذا عمه عبد العزّی بن عبد المطلب أبو لهب.

ب- و فی روایة أخری: أنه أتی کندة فی منازلهم و فیهم سید لهم یقال له:

ملیح، فدعاهم إلی اللّه- عز و جل-، و عرض علیهم نفسه، فأبوا علیه.

ج- و فی روایة: أنه أتی کلبا فی منازلهم إلی بطن منهم یقال لهم: بنو عبد اللّه، فدعاهم إلی اللّه، و عرض علیهم نفسه، حتی إنه لیقول لهم «یا بنی عبد اللّه، إنّ اللّه- عزّ و جل- قد أحسن اسم أبیکم».

فلم یقبلوا منه ما عرض علیهم.

د- و فی روایة: أن رسول اللّه (ص) أتی بنی حنیفة فی منازلهم، فدعاهم

ص: ۱۱۳

إلی اللّه، و عرض علیهم نفسه، فلم یکن أحد من العرب أقبح علیه ردا منهم.

ه- و فی روایة: أنه أتی بنی عامر بن صعصعة، فدعاهم إلی اللّه- عز و جل- و عرض علیهم نفسه، فقال له رجل منهم یقال له بیحرة بن فراس و اللّه لو أنی أخذت هذا الفتی من قریش لأکلت به العرب.

ثم قال له: أ رأیت إن نحن تابعناک علی أمرک، ثم أظهرک اللّه علی من خالفک، أ یکون لنا الأمر من بعدک؟ قال: «الأمر إلی اللّه یضعه حیث یشاء».

قال: فقال له: أ فنهدف نحورنا[۹۹] للعرب دونک، فاذا أظهرک اللّه کان الأمر لغیرنا؟!! لا حاجة لنا بأمرک، فأبوا علیه، فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلی شیخ لهم قد کانت أدرکته السن حتی لا یقدر أن یوافی معهم المواسم، فکانوا إذا رجعوا

---

[۹۸] (۱) غدیرتان: تثنیة غدیرة، و هی ذؤابة من الشعر.

[۹۹] (۱)« أ فنهدف نحورنا» معناه نصیرها هدفا، و الهدف: الغرض الذی یرمی بالسهام إلیه.

إليه حدثوه بما يكون فى ذلک الموسم، فلما قدموا عليه ذلک العام سألهم عما كان فى موسمهم، فقالوا : جاءنا فتى من قريش، ثم أحد بنى عبد المطلب، يزعم أنه نبىّ يدعونا إلى أن نمنعه، و نقوم معه، و نخرج به إلى بلادنا، قال : فوضع الشيخ يديه على رأسه، ثم قال : يا بنى عامر، هل لها من تلاف؟ هل لذناباها من مطلب؟ و الذى نفس فلان بيده ما تقوّلها إسماعيلىّ قطّ، و إنها لحق، فأين رأيكم كان عنكم؟

قال ابن إسحاق: فكان رسول اللّه (ص) على ذلک من أمره، كلما اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل إلى اللّه و إلى الاسلام، و يعرض عليهم نفسه، و ما جاء به من اللّه من الهدى و الرحمة، و هو لا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب له اسم و شرف إلا تصدّى له، فدعاه إلى اللّه، و عرض عليه ما عنده.

*** هكذا كان ديدن النبى (ص) مع قبائل العرب فى موسم الحجّ، حتى لقى رهطا من الخزرج، فدعاهم الى الاسلام، و تلا عليهم القرآن، و كانوا قد سمعوا

ص: ۱۱۴

من اليهود فى المدينة خبر بعثة نبى آن اوانه، فكانوا اذا كان بينهم شى ء قال اليهود لهم ان نبيا مبعوث الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وارم فلمّا كلّمهم رسول اللّه و دعاهم الى اللّه قال بعضهم لبعض : يا قوم و اللّه انه للنبى الذى توعدكم به يهود، فلا تسبقنكم اليه، فاجابوه و قبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام فلمّا قدموا المدينة الى قومهم ذكروا لهم امر رسول اللّه (ص) و دعوهم الى الاسلام حتى فشا فيهم، فلم تبق دار من دور الانصار الّا و فيها ذكر رسول اللّه (ص)، حتى اذا كان العام المقبل وافى الموسم منهم اثنا عشر رجلا، فلقوه فى ا لعقبة، فبايعوه على بيعة النساء على السمع و الطاعة، و ذلک قبل ان يفترض الحرب و بعث معهم النبى مصعب بن عمير يقرئهم القرآن، و يعلمهم الاسلام و يفقههم فى الدين، حتى اذا كان العام المقبل خرج الى الحج من المدينة المشركون منهم و المسلمون، فاجتمع المسلمون منهم بال نبى و واعدهم العقبة فتسلّل منهم ثلاثة و سبعون رجلا و معهم امرأتان فبايعه الرجال بيعة الحرب و هى بيعة العقبة الثانية، و اتخذ منهم اثنا عشر نقيبا، فلما قدموا المدينة انتشر فيها الاسلام فاذن اللّه- تبارک و تعالى- لرسوله (ص) فى الهجرة الى المدينة[۱۰۰].

ص: ۱۱۵

رابعا- مقابلة قريش للقرآن الكريم:

أخبر اللّه سبحانه عن استهزاء قريش برسول اللّه (ص) و قال فى سورة الأنبياء:

وَ إِذا رَآکَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَکَ إِلَّا هُزُواً أَ هذَا الَّذِى يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَ هُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمنِ هُمْ كافِرُونَ (الآية/ ۳۶) و أخبر عن قريش انهم كانوا يصفون الرسول (ص) بانه شاعر و مجنون و قال: فى سورة الصافات:

إِنَّهُمْ كانُوا إِذا قِيلَ لَهُمْ لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَ يَقُولُونَ أَإِنَّا لَتارِكُوا آلِهَتِنا لِشاعِرٍ مَجْنُونٍ (الآيات/ ۳۵- ۳۶) و انهم كانوا يقولون ان القرآن قول شيطان رجيم كما أخبر عن ذلک فى سورة التكوير قوله تعالى:

[۱۰۰] (۵) سيرة ابن هشام ط. الحجازى بالقاهرة ۲/ ۳۱- ۷۶.

وَ ما صاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ * وَ لَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ * وَ ما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ * وَ ما هُوَ بِقَوْلِ شَيْطانٍ رَجِيمٍ * فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ* إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ (الآيات/ ٢٢- ٢٧) و أخبر عنهم أنهم كانوا يصفون الرسول بانه رجل مسحور و قال تعالى فى سورة الاسراء:

ص: ١١۶

وَ إِذا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلى أَدْبارِهِمْ نُفُوراً* نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَ إِذْ هُمْ نَجْوى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُوراً (الآيات/ ۴۶- ۴۷)*** كان هذا النوع من المقابلة للقرآن الكريم من باب ... وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَ عُلُوًّا ... (النمل/ ١۴) مع شعورهم بعجزهم عن مقابلة القرآن الكريم كما ندرس ذلک فى ما يأتى:

أ- قريش تتشاور كيف تمنع تأثير القرآن فى النفوس:

ذكر ابن هشام[١٠١] و غيره و اللفظ لابن هشام فى خبر تحير الوليد بن المغيرة فيما يصف به القرآن و قال : اجتمع اليه نفر من قريش، و كان ذا سن فيهم، و قد حضر الموسم، فقال لهم : يا معشر قريش، إنه قد حضر هذا الموسم، و إن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، و قد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فاجمعوا فيه رأيا واحدا و لا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا، و يرد قولكم بعضه بعضا.

قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس، فقل و أقم لنا رايا نقل به؛ قال بل أنتم فقولوا أسمع؛ قالوا : نقول كاهن؛ قال لا و اللّه ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة[١٠٢] الكاهن و لا سجعه؛ قالوا: فنقول: مجنون؛ قال: ما هو بمجنون. لقد رأينا الجنون و عرفناه، فما هو بخنقه و لا تخالجه و لا وسوسته؛ قالوا : فنقول: شاعر؛ قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجزه و هزجه و قريضه و مقبوضه و مبسوطه، فما هو بالشعر؛ قالوا: فنقول: ساحر؛ قال: ما هو بساحر، لقد رأينا

ص: ١١٧

السحار و سحرهم، فما هو بنفثهم و لا عقدهم[١٠٣].

قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟

قال: و اللّه إنّ لقوله لحلاوة، و ان أصله لعذق[١٠۴]- و إن فرعه لجناة- قال ابن هشام: و يقال لغدق[١٠۵] و ما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل، و إن أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر، جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء و أبيه، و بين

---

[١٠١] (۶) سيرة ابن هشام ١/ ٢٨٣- ٢٨۴، و ابن اسحاق ص ١٣١- ١٣٢.

[١٠٢] (٧) الزمزمة: الكلام الخفى الذى لا يسمع.

[١٠٣] (٨) إشارة إلى ما كان يفعل الساحر بأن يعقد خيطا ثم ينفث فيه. و منه قوله تعالى\i وَ مِنْ شَرِّ النَّفَّاثاتِ فِي الْعُقَدِ\E، يعنى الساحرات.

[١٠۴] (٩) العذق(بالفتح): النخلة يشبهه بالنخلة التى ثبت أصلها و قوى و طاب فرعها إذا جنى.

[١٠۵] (١٠) الغدق: الماء الكثير، و منه يقال: غيدق الرجل: إذا كثر بصاقه. و كان أحد أجداد النبى(ص) يسمى الغيدق، لكثرة عطائه.

المرء و أخيه، و بين المرء و زوجته، و بين المرء و عشيرته . فتفرقوا عنه بذلک، فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم، لا يمرّ بهم أحد إلا حذروه إياه، و ذكروا لهم أمره فأنزل اللّه- تعالى- فى الوليد بن المغيرة و فى ذلک من قوله:

ذَرْنِي وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً* وَ جَعَلْتُ لَهُ مالًا مَمْدُوداً* وَ بَنِينَ شُهُوداً* وَ مَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً* ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ* كَلَّا إِنَّهُ كانَ لِآياتِنا عَنِيداً* سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً* إِنَّهُ فَكَّرَ وَ قَدَّرَ* فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ* ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ* ثُمَّ نَظَرَ* ثُمَّ عَبَسَ وَ بَسَرَ* ثُمَّ أَدْبَرَ وَ اسْتَكْبَرَ* فَقالَ إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ* إِنْ هذا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ* سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (الآيات/ ١١ ٢۶)

قريش تقترح حلا وسطا بينهم و بين الرسول (ص)

و مرة أخرى اقترحت حلا وسطا بينهم و بين الرسول فى عبادة الآلهة كما رواه المفسرون و فى تفسير (سورة الكافرون) و ابن هشام فى السيرة و اللفظ لابن هشام.

ص: ١١٨

قال: الاسود بن المطلّب و الوليد بن المغيرة و اميّة بن خلف و العاص بن وائل السهمى اعترضوا رسول اللّه (ص) و هو يطوف بالكعبة و كانوا ذوى اسنان فى قومهم، فقالوا: يا محمد هلم، فلنعبد ما تعبد، و تعبد ما نعبد، فنشترک نحن و أنت فى الأمر فان كان الذى تعبد خيرا مما نعبد، كنا قد أخذنا بحظنا منه، و ان كان ما نعبد خيرا مما تعبد كنت قد أخذت بحظک منه فأنزل اللّه فى ردّ اقتراحهم الجاهلى[١٠۶].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ* لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ* وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ* وَ لا أَنا عابِدٌ ما عَبَدْتُّمْ* وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ* لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِيَ دِينِ***

ب- تعنت قريش برسول اللّه (ص)

مرّة اخرى اجتمعت سادة قريش برسول اللّه (ص) فى البيت و حاولت أن تقنعه بترک الدعوة و حاوروه بعنف و غلظة و سوء أدب كما نذكره فى الخبر الآتى:

روى الطبرى و ابن كثير و السيوطى فى تفسير قوله تعالى لَنْ نُؤْمِنَ لَکَ ... من سورة الاسراء الآيات / ٩٠- ٩٣ و اللفظ للأول:

ان عتبة و شيبة ابنى ربيعة و أبا سفيان بن حرب و رجلا من بنى عبد الدار و أبا البخترى أخا بنى أسد و الاسود بن المطلب و زمعة بن الأسود و الوليد بن المغيرة و أبا جهل بن هشام و عبد اللّه بن أبى أمية و أمية بن خلف و العاص بن وائل و نبيها و منبها ابنى الحجاج السهميين اجتمعوا أو من اجتمع منهم بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة، فقال بعضهم لبعض: ابعثوا الى محمد فكلموه

ص: ١١٩

---

[١٠۶] (١١) تفسير السورة فى التفاسير و اللفظ لابن هشام فى السيرة ١/ ٣٨۶.

و خاصموه حتى تعذروا فيه، فبعثوا اليه ان اشراف قومک قد اجتمعوا اليک ليکلموک فجاءهم رسول اللّه (ص) سريعا و هو يظن أنه بدا لهم فى أمره بداء و كان عليهم حريصا يحب رشدهم، و يعز عليه عنتهم، حتى جلس اليهم.

فقالوا: يا محمد انا قد بعثنا اليک لنعذر فيک، و انا و اللّه ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومک، لقد شتمت الآباء، و عبت الدين و سفهت الاحلام، و شتمت الآلهة، و فرقت الجماعة، فما بقى أمر قبيح الا و قد جئته فما بيننا و بينک.

فان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب مالا جمعنا لک من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا.

و ان كنت انما تطلب الشرف فينا سوداک علينا.

و ان كنت تريد به ملكا ملكناک علينا.

و ان كان هذا الذى يأتيک بما يأتيک به رئيا تراه قد غلب عليک و كانوا يسمون التابع من الجن الرئى فربما كان ذلک، بذلنا أموالنا فى طلب الطب لک.

حتى نبرئک منه أو نعذر فيک.

فقال رسول اللّه (ص): ما بى ما تقولون، ما جئتكم بما جئتكم به أطلب أموالكم و لا الشرف فيكم و لا الملک عليكم، و لكن اللّه بعثنى اليكم رسولا، و أنزل علىّ كتابا و أمرنى أن أكون لكم بشيرا و نذيرا فبلغتكم رسالة ربى، و نصحت لكم فان تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا و الآخرة و ان تردوه علىّ أصبر لأمر اللّه حتى يحكم اللّه بينى و بينكم.

فقالوا: يا محمد فان كنت غير قابل منا ما عرضنا عليک فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق بلادا و لا أقل مالا و لا أشد عيشا منا فسل ربک الذى بعثک بما بعثک به فليسير عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا و يبسط لنا بلادنا و ليفجر فيها أنهارا كأنهار الشام و العراق و ليبعث لنا من مضى من آبائنا، و ليكن فيمن يبعث لنا منهم قصى بن كلاب، فانه كان شيخا صدوقا، فنسألهم

عما تقول حق هو أم باطل فان صنعت ما سألناک و صدقوک صدقناک و عرفنا به منزلتک عند اللّه و أنه بعثک بالحق رسولا كما تقول.

فقال لهم رسول اللّه (ص): ما بهذا بعثت، انما جئتكم من اللّه بما بعثنى به فقد بلغتكم ما أرسلت به اليكم، فان تقبلوه فهو حظكم فى الدنيا و الآخرة و ان تردوه علىّ أصبر لامر اللّه، حتى يحكم اللّه بينى و بينكم.

قالوا: فان لم تفعل لنا هذا فخذ لنفسک، فسل ربک أن يبعث ملكا يصدقک بما تقول و يراجعنا عنک و تسأله فيجعل لک جنانا و كنوزا و قصورا من ذهب و فضة و يغنيک بها عما نراک تبتغى فانک تقوم بالاسواق و تلتم س المعاش كما نلتمسه حتى نعرف فضل منزلتک من ربک ان كنت رسولا كما تزعم.

فقال لهم رسول اللّه (ص): ما أنا بفاعل ما أنا بالذى يسأل ربه هذا و ما بعثت اليكم بهذا و لكن اللّه بعثنى بشيرا و نذيرا فان تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا و الآخرة و ان تردوه علىّ اصبر لأمر اللّه حتى يحكم اللّه بينى و بينكم.

قالوا فأسقط السماء علينا كسفا كما زعمت أن ربک ان شاء فعل فانا لا نؤمن لک إلّا أن تفعل.

فقال رسول اللّه (ص): ذلک الى اللّه ان شاء فعل بكم ذلک.

فقالوا يا محمد فاعلم ربک أنا سنجلس معک و نسألک عما سألناک عنه و نطلب منک ما نطلب فيتقدم اليک و يعلمک ما تراجعنا به و يخبرک ما هو صانع فى ذلک أيضا اذا لم تقبل منا ما جئنا به فقد بلغنا أنه انما يعلمک هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن و انا و اللّه ما نؤمن بالرحمن أبدا أعذرنا اليک يا محمد أما و اللّه لا نترکک و ما بلغت بنا حتى نهل ككک أو تهلكنا.

قال قائلهم نحن نعبد الملائكة و هن بنات اللّه و قال قائلهم لن نؤمن لک حتى تأتينا باللّه و الملائكة قبيلا فلما قالوا ذلک قام رسول اللّه (ص) عنهم و قام معه عبد اللّه بن أبى أمية بن المغيرة بن عبد اللّه بن عمرو بن مخزوم و هو ابن

عمته ابن عاتكة ابنة عبد المطلب فقال له : يا محمد عرض عليک قومک ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوک لأنفسهم أمورا ليعرفوا منزلتک من اللّه فلم تفعل ذلک ثم سألوک أن تعجل ما تخوفهم به من العذاب فو اللّه لا أومن لک أبدا حتى تتخذ الى السماء سلما ترقى فيه و أنا أنظر حتى تأتيها و تأتى معک بنسخة منشورة معک أربعة من الملائكة يشهدون لک أنک كما تقول و أيم اللّه لو فعلت ذلک لظننت أن لا أصدقک ثم انصرف عن رسول اللّه (ص) و انصرف رسول اللّه (ص) الى أهله حزينا أسيفا لما فاته مما كان يطمع فيه من قومه حين دعوه و لما رأى من مباعدتهم اياه.

فلما قام عنهم رسول اللّه (ص) قال أبو جهل: يا معشر قريش ان محمدا قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا و شتم آبائنا و تسفيه أحلامنا و سب آلهتنا و إنى أعاهد اللّه لأجلسن له غدا بحجر قدر ما أطيق حمله فاذا سجد فى صلاته فضخت رأسه به[۱۰۷].

فانزل اللّه عليه فى ذلک: وَ قالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَکَ ... بَشَراً رَسُولًا و أنزل عليه فى قولهم (لن نؤمن بالرحمن) كَذلِکَ أَرْسَلْناکَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ و أنزل عليه فيما سأله قومه لانفسهم من تسيير الجبال و تقطيع الجبال و بعث من مضى من آبائهم من الموتى وَ لَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبالُ ....

و أخبر اللّه عن تعنتهم برسول اللّه (ص) فى سورة الاسراء و قال سبحانه و تعالى:

قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً* وَ لَقَدْ صَرَّفْنا لِلنَّاسِ فِي هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً* وَ قالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَکَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ

---

[۱۰۷] (۱۲) تفسير الآية بتفسير الطبرى ۱۵/ ۱۱۰- ۱۱۱، و تفصيله فى سيرة ابن اسحاق ص ۱۷۸- ۱۸۱، و تفسير ابن كثير ۳/ ۶۲.

يَنْبُوعاً* أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَ عِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهارَ خِلالَها تَفْجِيراً أَوْ * تُسْقِطَ السَّماءَ كَما زَعَمْتَ عَلَيْنا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَ الْمَلائِكَةِ قَبِيلًا * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقى فِي السَّماءِ وَ لَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنا كِتاباً نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولًا * وَ ما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ * الْهُدى إِلَّا أَنْ قالُوا أَ بَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولًا* قُلْ لَوْ كانَ فِي الْأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ مَلَكاً رَسُولًا * قُلْ كَفى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ* إِنَّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبِيراً بَصِيراً (الآيات/ ۸۸- ۹۶)[۱۰۸].

و استمرت قريش فى تعنتها برسول اللّه كما أخبر اللّه عن موقفهم فى آيات كثيرة منها قوله تعالى فى سورة الفرقان:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ تَبارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعالَمِينَ نَذِيراً* الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً* وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَ هُمْ يُخْلَقُونَ وَ لا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَ لا نَفْعاً وَ لا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَ لا حَياةً وَ لا نُشُوراً * ... وَ قالُوا ما لِهذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعامَ وَ يَمْشِي فِي الْأَسْواقِ لَوْ لا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً * أَوْ يُلْقى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْها وَ قالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُوراً* ... وَ ما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعامَ وَ يَمْشُونَ فِي الْأَسْواقِ وَ جَعَلْنا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَ تَصْبِرُونَ وَ كانَ رَبُّكَ بَصِيراً * ... وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا (الآيات/ ۱- ۳ و ۷- ۸ و ۲۰ و ۳۲) و قوله تعالى فى سورة الانعام:

وَ لَوْ نَزَّلْنا عَلَيْكَ كِتاباً فِي قِرْطاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ* وَ قالُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَ لَوْ أَنْزَلْنا مَلَكاً لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لا يُنْظَرُونَ * وَ لَوْ جَعَلْناهُ مَلَكاً لَجَعَلْناهُ رَجُلًا وَ لَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ * وَ لَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ * قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (الآيات/ ۷- ۱۱)*** لم تنجح جميع محاولات قريش فى اسكات الرسول عن الدعوة إلى القرآن بما فيه من عيب لآلهتهم و تسفيه لأحلامهم فاشتدت خصومتهم للرسول و قرآنه كما نذكر امثلة منها فى ما يأتى بحوله تعالى.

اشتداد الخصومة الفكرية بين قريش و الرسول (ص):

قص اللّه أخبار خصومة قريش مع القرآن و مبلغه و احتجاجهم الواهى و كيف أجاب عنها فى الآيات الآتية:

أ- أخبر عن تعنتهم فى سورة ص و قال:

وَ عَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَ قالَ الْكافِرُونَ هذا ساحِرٌ كَذَّابٌ* أَ جَعَلَ الْآلِهَةَ إِلهاً واحِداً إِنَّ هذا لَشَيْءٌ عُجابٌ* وَ انْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَ اصْبِرُوا عَلى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هذا لَشَيْءٌ يُرادُ* ما سَمِعْنا بِهذا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هذا إِلَّا اخْتِلاقٌ * أَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذابِ (الآيات/ ۴- ۸).

---

[۱۰۸] (۱۳) انظر تفسير الآية من التفاسير و سيرة ابن هشام ۱/ ۳۳۱- ۳۳۲.

و روى الطبرى و غيره فى شأن نزول الآيات و اللفظ للطبرى قال:

إن ناسا من قريش اجتمعوا، فيهم أبو جهل بن هشام و العاص بن وائل و الأسود بن المطلب و الأسود بن عبد يغوث فى نفر من مشيخة قريش فقال بعضهم لبعض، انطلقوا بنا إلى أبى طالب، فنكلمه فيه، فلينصفنا منه، فليكف

ص: ۱۲۴

عن شتم آلهتنا و ندعه و الهه الّذى يعبد، فإنّنا نخاف أن يموت هذا الشيخ فيكون منا شى ء فتعيرنا العرب يقولون تركوه حتى إذا مات عمه تناولوه فبعثوا رجلا منهم يسمّى المطلب فاستأذن لهم على أبى طالب فقال هؤلاء مشيخة قومک و سرواتهم يستأذنون عليک قال أدخلهم فلما دخلوا عليه قالوا يا أبا طالب أنت كبيرنا و سيدنا فانصفنا من ابن أخيک فمره فليكف عن شتم آلهتنا و ندعه و ا لهه فبعث اليه أبو طالب فلما دخل عليه رسول اللّه (ص) قال يا ابن أخى هؤلاء مشيخة قومک و سرواتهم قد سألوک النصف أن تكف عن شتم آلهتهم و يدعوک و إلهک فقال أى عم أولا أدعوهم إلى ما هو خير لهم منها قال و إلام تدعوهم قال أدعوهم إلى أن يتكلموا بكلمة يدين لهم بها العرب و يملكون بها العجم فقال أبو جهل من بين القوم ما هى و أبيک فنعطينكها و عشر أمثالها قال تقول «لا اله إلا اللّه» فنفروا و قالوا سلنا غير هذه قال لو جئتمونى بالشمس حتى تضعوها فى يدى ما سألتكم غيرها فغضبوا و قاموا من عنده غضابا و قالوا و اللّه لنشتمنک و إله ک الّذى يأمرک بهذا:

وَ انْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَ اصْبِرُوا عَلى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هذا لَشَيْءٌ يُرادُ* ما سَمِعْنا بِهذا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هذا إِلَّا اخْتِلاقٌ (الآيات/ ۶- ۷)[۱۰۹].

و أيضا أخبر اللّه تعالى عن تعنتهم فى الآيات/ ۴۳- ۴۵ من سورة سبأ و قال:

وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ قالُوا ما هذا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كانَ يَعْبُدُ آباؤُكُمْ وَ قالُوا ما هذا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرىً وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جاءَهُمْ إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ* وَ ما آتَيْناهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَها وَ ما أَرْسَلْنا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ

ص: ۱۲۵

نَذِيرٍ* وَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ ما بَلَغُوا مِعْشارَ ما آتَيْناهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ و أجاب اللّه عن مثل هذا النوع من التحجج و أقام البراهين على عجز آلهتهم و صحة رسالة خاتم الأنبياء فى آيات كثيرة نورد بعضها فى ما يأتى بحوله تعالى:

ب- قال سبحانه فى اثبات التوحيد و نفى الآلهة التى يعبدونها فى الآية ۱۰ و ۱۱ من سورة لقمان:

---

[۱۰۹] (۱۴) تاريخ الطبرى ط. دار المعارف بمصر ۲/ ۳۲۳- ۳۲۴، و ط. اوربا ۱/ ۱۱۷۶- ۱۱۷۷، و السيوطى ۵/ ۲۹۵- ۲۹۶، و صحيح الترمذى كتاب التفسير ۱۲/ ۱۰۹- ۱۱۰.

خَلَقَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها وَ أَلْقى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَ بَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دابَّةٍ وَ أَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ * هذا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي ما ذا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ و قال فی الآیة ۴ و ۵ من سورة الأحقاف:

قُلْ أَ رَأَيْتُمْ ما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي ما ذا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّماواتِ ائْتُونِي بِكِتابٍ مِنْ قَبْلِ هذا أَوْ أَثارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ * وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ وَ هُمْ عَنْ دُعائِهِمْ غافِلُونَ و قوله تعالی فی الآیة ۳ من سورة الفرقان:

وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَ هُمْ يُخْلَقُونَ وَ لا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَ لا نَفْعاً وَ لا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَ لا حَياةً وَ لا نُشُوراً (الآیة/ ۳) و وصفهم فی الآیة ۲۱ من سورة النحل و قال:

أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْياءٍ وَ ما يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ و أخبر أنهم و من معهم لن یستطیعوا أن یأتوا بمثل هذا القرآن و قال سبحانه فی سورة البقرة:

وَ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا شُهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ (الآیات/ ۲۳- ۲۴) و لم یستطع مشرکو قریش و لا الدهریون و لا الزنادقة و الملحدون و لا الیه ود و لا النصاری و لا أی خصم آخر أن یأتوا بمثل هذا القرآن و لن یفعلوا أبد الدهر و لن یأتوا بمثل هذا القرآن و لو کان الخصوم بعضهم لبعض ظهیرا.

و تحداهم سبحانه فی قولهم إنّ القرآن مفتری أن یأتوا بعشر سور مثله مفتریات إن کانوا صادقین و قال سبحانه فی سورة هود:

فَلَعَلَّكَ تارِكٌ بَعْضَ ما يُوحى إِلَيْكَ وَ ضائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّما أَنْتَ نَذِيرٌ وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ* أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَياتٍ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ* فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّما أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَ أَنْ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (الآیات/ ۱۲- ۱۴) و فی آیة اخری تحداهم بأن یأتوا بسورة مثله و قال فی سورة یونس:

وَ ما كانَ هذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ الْكِتابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ * بَلْ كَذَّبُوا بِما لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَ لَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ ا لظَّالِمِينَ* وَ مِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ لا يُؤْمِنُ بِهِ وَ رَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ (الآیات/ ۳۷- ۴۰) ج- و أجاب عن تشکیکهم فی المعاد فی الآیات ۷۸- ۸۳ من آخر سورة یاسین و قال سبحانه و تعالی:

وَ ضَرَبَ لَنا مَثَلًا وَ نَسِيَ خَلْقَهُ قالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ ناراً فَإِذا أَنْتُمْ مِنْ هُ تُوقِدُونَ * أَ وَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلى وَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ* إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ* فَسُبْحانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْ ءٍ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ روى المفسرون و قالوا : أنزل اللّه تعالى هذه الآيات الكريمة بعد أن قدم العاص بن وائل و أبو جهل و غيرهما من عتاة قريش بعظم حائل أمام الرسول (ص) فذراه فى الريح و قال من يحيى العظام و هى رميم؟

و فى رواية أتى أبى بن خلف إلى النبى (ص) و معه عظم قد وتر فجعل يفته بين أصابعه و يقول : يا محمد! أنت الذى تحدث إن هذا سيحيا بعد ما قد بلى فقال رسول اللّه (ص) نعم ليميتن الآخر- أى يميتن أبيّا- ثم ليحيينه ثم ليدخلنه النار[110].

*** و اندحرت قريش فى مقابل الأدلة التى أقامها القرآن لهم فتحججوا و اقترحوا اقتراحات غير معقولة كالآتى خبره:

مقابلات أخرى من قريش و استهزاء بالرسول (ص) و دعوته

و كان خمسة من عتاة قريش دائبين على الاستهزاء برسول اللّه (ص) منهم العاص بن وائل السهمى و كان إذا ذكر رسول اللّه (ص) يقول: دعوه فإنّما هو رجل أبتر لا عقب له لو مات لا نقطع ذكره و استرحتم منه و أنزل اللّه فى حقّه سورة الكوثر و قال سبحانه:

ص: ۱۲۸

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ* فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ انْحَرْ* إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ[111].

و قالوا له الأبتر بعد موت ابنه القاسم بمكّة. و الكوثر: العدد الكثير[112].

و قد صدق اللّه وعده لرسوله فإنه لا يعرف اليوم نسل للعاص بن وائل و أكثر اللّه نسل رسوله (ص) من ابنته فاطمة (ع) على وجه الأرض.

نهاية أمر المستهزئين:

قال ابن إسحاق ما موجزه:

فأقام رسول اللّه (ص) على أمر اللّه صابرا محتسبا مؤدّيا إلى قومه النصيحة على ما يلقى منهم من التكذيب ... فلما تمادوا فى الشر و أكثروا الاستهزاء برسول اللّه (ص) أنزل اللّه- تعالى- عليه:

---

[110] (۱۵) تفسير السورة فى الطبرى ۲۳/ ۲۱، و الدر المنثور ۵/ ۲۶۹- ۲۷۰.

[111] (۱۶) سيرة ابن هشام ۱/ ۴۲۱ ط. القاهرة. و تفسير سورة الكوثر بتفسير الطبرى ۳۰/ ۲۱۲ و اللفظ للاول، و سيرة ابن اسحاق ص ۲۵۲- ۲۵۳.

[112] (۱۷) تفسير الابتر و الكوثر من المعجم الوسيط فى اللغة.

فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْناكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ* الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ ... (الحجر/ ۹۴-۹۶).

ثم روى ابن اسحاق كيف أهلك جبرائيل كل واحد من المستهزئين[۱۱۳]، و قال:

أن جبرئيل أتى رسول اللّه (ص) و هم يطوفون بالبيت، فقام و قام رسول اللّه (ص) إلى جنبه، فمرّ به الأسود بن المطلب، فرمى فى وجهه بورقة خضراء فعمى، و مرّ به الأسود بن عبد يغوث، فأشار الى بطنه فاستسقى [بطنه] فمات

ص: ۱۲۹

منه حبنا[۱۱۴]؛ و مر به الوليد بن المغيرة فأشار الى أثر جرح بأسفل كعب رجله كان اصابه قبل ذلک بسنين و هو يجر سبله[۱۱۵] و ذلک أنه مرّ برجل من خزاعة و هو يريش نبلا له فتعلق سهم من نبله بازاره فخدش فى رجله ذلک الخدش، و ليس بشى ء، فانتقض[۱۱۶] به فقتله؛ و مرّ به العاص بن وائل فأشار الى أخمص رجله، فخرج على حمار له يريد الطائف فربض به على شبرقة[۱۱۷] فدخلت فى أخمص رجله شوكة فقتلته، و مرّ به الحرث ابن الطلاطلة فأشار الى رأسه فامتخض قيحا فقتله.

ص: ۱۳۰

خامسا- سياسة النبى فى أمر القراءة و الاقراء:

و فى مقابل كل ذلک الاستهزاء كان رسول اللّه (ص) و المسلمون الاوائل لا يألون جهدا فى اسماع القرآن لكل من أمكنهم اسماعه و فى ما يأتى امثلة من أنواع الجهد الذى بذلوه فى هذا السبيل:

إن الرسول بدأ اسماع الناس للقرآن و تبليغهم و انذارهم بالقرآن و اقتدى به المسلمون الأوائل فى ذلک اما الرسول فقد كان يسمع القرآن لكل سامع يمر عليه عند ما كان يتلو القرآن فى صلاته فى المسجد الحرام بمنظر و مسمع من قريش فى أنديتهم حول الكعبة و منظر و مسمع من شتى قبائل العرب التى تفد الى مكة للحج و تطوف حول البيت و عند ما تنزل الآيات فى ردّ احتجاج المشركين على رسول اللّه و اختلف معاصر و رسول اللّه فى مقابلته م لقراءة الرسول فمنهم المشركون الذين أخبر اللّه عن قولهم و قال سبحانه:

وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَ الْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (فصلت/ ۲۶).

---

[۱۱۳] (۱۸) سيرة ابن هشام ۲/ ۱۵- ۱۸ ط. القاهرة و تفسير السور فى كتب تفسير القرآن بالحديث، و سيرة ابن اسحاق ص ۲۵۴.

[۱۱۴] (۱۹) الحبن: بجاء مهملة و بفتحتين، داء فى البطن ينتفخ منه و يعظم فيرم.

[۱۱۵] (۲۰) سبله: بفتح السين و الباء الموحدة، فضول ثيابه. و(بسنين) فى سيرة ابن اسحاق كذا:

بيسير.

[۱۱۶] (۲۱) انتقض الجرح: تجدد بعد ما دمل و برأ.

[۱۱۷] (۲۲) شبرقة: بكسرتين بينهما باء ساكنة، هو نبات ذو شوک يقال له الضريع، و فى المواهب« فدخلت فيه شوكة من رطب الضريع».

و منهم من أخبر اللّه عنهم و قال سبحانه:

وَ إِذا سَمِعُوا ما أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنا آمَنَّا فَاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ (المائدة/ ٨٣).

مثل عداس النصرانى فى الطائف[١١٨].

ص: ١٣١

و من الجن- ايضا- كما أخبر اللّه عنهم و قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقالُوا إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً* يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَ لَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنا أَحَداً* ... وَ أَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدى آمَنَّا بِهِ (الجن/ ١- ٢ و ١٣).

*** كذلكم اختلف الذين سمعوا القرآن من النبى (ص) أما أمر كيفية إقراء القرآن، فكالآتى خبره:

كيفية الإقراء:

أ- اقراء اللّه جل اسمه لرسوله (ص):

قد بين اللّه كيفية إقرائه لرسوله و النظام الذى يتبعه الرسول فى تلقى القرآن فى قوله تعالى:

إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ* فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ (القيامة/ ١٧- ١٩).

أى: إنّ النصّ القرآنى مع بيان معناه بوحى غير قرآنى ينزل من اللّه على رسوله (ص) فاذا تم نزوله على النبى (ص) أن يتابع قراءته.

و ان على اللّه جمع القرآن بكلّ ما لجمع القرآن من معنى و وعد الرسول بأنّه سوف لا ينسى القرآن الذى يقرئه اللّه و قال: سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى و الإقراء تعليم اللفظ و المعنى معا. و تضمينا لحفظ القرآن أبد الدهر من النسيان فرض اللّه على الجميع قراءة القرآن فى كلّ ركعة من صلوات الفريضة و النافلة و قال:

ص: ١٣٢

أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلى غَسَقِ اللَّيْلِ وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً (الاسراء/ ٧٨).

و فرض على رسوله (ص) خاصّة قيام الليل و شرّفه بالخطاب و قال له:

---

[١١٨] (٢٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٠- ٣١، و ترجمته فى أسد الغابة ط. القاهرة سنة ١٣٩٠ ه ٤/ ٤ الترجمة ٣٥٩٧، و الاصابة ٢/ ٤٥٩ الترجمة ٤٥٧٠.

يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ* قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا* نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا* أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا هكذا فرض اللّه على نبيه إحياء ثلث من كل ليلة عمره فى ترتيل القرآن فى نافلة الليل و ندب المسلمين إلى ذلك[۱۱۹].

و فى شهر رمضان من كل عام كان جبريل يعارض الرسول القرآن مرّة أى ان جبريل كان يقرأ ما نزل من القرآن الى ذلك التاريخ على رسول اللّه (ص) مرة و رسول اللّه- أيضا- كان يقرأه عليه، و فى عام وفاته عارضه القرآن مرتين[۱۲۰].

ب- إقراء الرسول (ص) للناس:

و حقق ذلك أولا فى اقرائه من آمن به فى مرحلة الدعوة الخاصة حيث آمن به خديجة و على فاقرأهما القرآن وصليا معه و بعد ما يقارب ثلاث سنوات انتهت الدعوة الخاصّة عند ما نزلت على رسول اللّه (ص) وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ فدعا عامة اقربائه ثم تلا ذلك نزول قوله تعالى عليه: ... وَ أُوحِيَ إِلَيَّ هذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ ... (الانعام/ ۱۹).

و قد تولى نزول القرآن بعد ذلك على رسول اللّه (ص) فى مكة و المدينة،

ص: ۱۳۳

و كان لا بد فى الدعوة؛ من اقراء المؤمنين سرّا و من أجل ذلك نظم الرسول (ص) خلايا سرية لاقراء المستضعفين القرآن كالآتى بيانه.

اتخذ الرسول (ص) من دار الارقم بن أبى الارقم مركزا سريا للاقراء و الارقم هو أبو عبد اللّه بن عبد مناف المخزومى . أسلم قديما و كان السابع أو الثانى عشر ممن أسلم و شهد مع رسول اللّه بدرا و ما بعدها و توفى بالمدينة سنة خمسة و خمسين من الهجرة و كانت داره فى أصل الصفا بمكة و كان المسلمون الاوائل يجتمعون فيها برسول اللّه (ص) يقرئهم القرآن.

قال ابن سعد و غيره بترجمة عمر بن الخطاب و خبر اسلامه، و أسلم فيها (دار الارقم) قوم كثير و دعيت دار الاسلام.

قال المؤلف:

و تفرعت من هذه الخلية خلايا أخرى صغيرة بمكّة كان منها : دار سعيد ابن زيد بن نفيل العدوى كما تحدث عنها الصحابى الخليفة عمر بن الخطاب و قال فى حديثه عن خبر إسلامه إنّه سمع بإسلام أخته فاطمة بنت الخطاب و زوجها سعيد بن زيد، فذهب إلى دارهما، قال:

و قد كان رسول اللّه (ص) يجمع الرجل و الرجلين إذا أسلما عند رجل به قوة فيكونان معه و يصيبان من طعامه و قد كان ضمّ إلى زوج أختى رجلين، قال:

---

[۱۱۹] (۲۴) راجع استحباب صلوات النوافل و خاصة نافلة الليل فى كتب الحديث.

[۱۲۰] (۲۵) مسند احمد ۶/ ۲۸۲، و سنن ابن ماجة ص ۵۱۸ الحديث ۱۶۲۱ كتاب الجنائز باب ما جاء فى ذكر مرض رسول اللّه (ص)، و جاء بعض الحديث فى صحيح مسلم فضائل الصحابة ۴/ ۱۹۰۵ الحديث ۹۸ و ۹۹.

فجئت حتى قرعت الباب فقيل: من هذا؟ قلت: ابن الخطاب، قال: و كان القوم جلوسا يقرءون القرآن فى صحيفة معهم فلما سمعوا صوتى تبادروا و اختفوا و تركوا أو نسوا الصحيفة من أيديهم، قال : فقامت المرأة ففتحت لى فقلت يا عدوة نفسها قد بلغنى أنّک صبوت قال فأرفع شيئا فى يدى فأضربها به قال فسال الدم، قال : فلما رأت المرأة الدم بكت، ثم قالت: يا ابن الخطاب ما كنت فاعلا فافعل فقد أسلمت! قال: فدخلت مغضبا فجلست على السرير، فنظرت، فإذا بكتاب فى ناحية البيت، فقلت: ما هذا الكتاب اعطينيه، فقالت: لا أعطيک لست من أهله، أنت لا تغتسل من الجنابة، و لا تطهر، و هذا لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ

ص: ۱۳۴

قال فلم أزل بها حتى أعطتنيه فإذا فيه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ فلما مررت ب (الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) ذعرت و رميت بالصحيفة من يدى قال: ثم رجعت الىّ نفسى فإذا فيها سَبَّحَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، قال: فكلما مررت باسم من أسماء اللّه عز و جل ذعرت ثم ترجع إلىّ نفسى حتى بلغت : آمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ أَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ حتى بلغت إلى قوله : إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قال: قلت أشهد أن لا إله إلّا اللّه و أشهد أنّ محمدا رسول اللّه (ص)[۱۲۱].

و فى رواية ابن سعد و ابن هشام و اللفظ للأخير قال : كان خبّاب بن الأرت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن- إلى قوله: فرجع عمر إلى أخته و ختنه و عندهما خبّاب بن الأرت معه صحيفة فيها طه يقرئهما إيّاهما فلمّا سمعوا حسّ عمر تغيّب خبّاب فى بعض البيت و أخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها- إلى قوله- فأعطته الصحيفة و فيها (طه)- الحديث[۱۲۲].

*** قال الصحابى عمر، كان رسول اللّه (ص) «يجمع الرجل أو الرجلين إذا أسلما عند الرجل به قوّة » و هذا ما سميناه بتشكيل الخلايا السريّة لإقراء القرآن كما وجدنا خباب بن الارت يقرئ فاطمة و زوجها القرآن عند ما اقتحم الدار عليهم عمر بن الخطاب، و كان شغل المسلمين الشاغل يومذاک حفظ القرآن عن

ص: ۱۳۵

ظهر قلب و اليكم خبرين يدلان على حفظهم القرآن عن ظهر قلب.

خبر اجهار ابن مسعود بقراءة القرآن:

و من الذين استمعوا إلى القرآن، و آمنوا به فى المرحلتين الأخيرتين من اقتدى بالرسول فى إسماع القرآن للناس مثل عبد اللّه بن مسعود.

---

[۱۲۱] (۲۶) أسد الغابة بترجمة عمر بن الخطاب، ۴/ ۱۴۷- ۱۴۸، رقم الترجمة ۳۸۲۳.

[۱۲۲] (۲۷) طبقات ابن سعد بترجمة عمر، و سيرة ابن هشام (اسلام عمر) ط. مصر سنة ۱۳۵۶، ۱/ ۳۶۶- ۳۶۷؛ و سيرة ابن اسحاق، اسلام عمر بن الخطاب، ص ۱۶۰. و خباب بن الارث التميمى نسبا و من حلفاء بنى زهرة من قريش كان قينا يعمل السيوف فى الجاهلية و كان من السباقين إلى الاسلام و ممن عذبته قريش على اسلامه شهد بدرا و المشاهد كلها مع رسول اللّه(ص) و كان مع على فى خلافته(ت: ۳۷ ه) بعد مرض طويل راجع ترجمته فى أسد الغابة و غيره.

روى ابن عبد البر و ابن الاثير و ابن حجر و غيرهم فى ترجمة عبد اللّه بن مسعود من كتب تراجم الصحابة، و كذلک روى فى كتب التاريخ كلّ من الطبرى و ابن الأثير و ابن كثير و غيره فى ذكر حوادث قبل هجرة المسلمين الأولى إلى الحبشة و قالوا:

كان أوّل من جهر بالقرآن بمكّة بعد رسول اللّه (ص) عبد اللّه بن مسعود و ذلک لأنه اجتمع يوما أصحاب رسول اللّه (ص)، فقالوا: و اللّه ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط فمن رجل يسمعهم فقال عبد اللّه بن مسعود أنا . فقالوا: إنّا نخشاهم عليک إنما نريد رجلا له عشيرة تمنعه من القوم إن أرادوه.

فقال: دعونى فإن اللّه سيمنعنى فغدا عبد اللّه حتى أتى المقام فى الضحى و قريش فى أنديتها، حتّى قام عند المقام، فقال رافعا صوته: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ الرَّحْمنُ* عَلَّمَ الْقُرْآنَ فاستقبلها فقرأ بها فتأملوا فجعلوا يقولون ما يقول ابن ام عبد ثم قالوا:

انه ليتلو بعض ما جاء به محمد فقاموا فجعلوا يضربون فى وجهه و جعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء اللّه ان يبلغ ثم انصرف إلى أصحابه، و قد أثروا بوجهه فقالوا: هذا الذى خشينا عليک.

فقال ما كان أعداء اللّه قط أهون علىّ منهم الآن و لئن شئتم غاديتهم بمثلها غدا. قالوا: حسبک قد أسمعتهم ما يكرهون[۱۲۳].

ص: ۱۳۶

و الخبر الثانى يأتى ذكره فى الفصل الآتى.

هكذا قرأ ابن مسعود عن ظهر قلب سورة الرحمن و كان ذلک قبل هجرتهم الى الحبشة فى السنة الخامسة من البعثة.

و كان رسول اللّه إذا قرأ القرآن فى صلاته فى البيت ربما جهر بالقرآن سبّ المشركون القرآن و من أنزله و من جاء به و كان الرجل إذا أراد أن يسمع رسول اللّه (ص) بعض ما يتلو استرق السمع فرقا منهم، فاذا رأى أنّهم عرفوا انه يستمع ذهب خشية أذاهم، فلم يستمع، فكان المشركون يطردون الناس عنه، و يقولون : لا تسمعوا لهذا القرآن، و الغوا فيه لعلكم تغلبون، فوصف اللّه ذلک فى سورة فصلت/ ۲۶ و قال:

وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَ الْغَوْا فِيهِ و كان رسول اللّه (ص) اذا أخفى قراءته لم يسمع من يحب أن يسمع القرآن فأنزل اللّه تعالى فى سورة الاسراء/ ۱۱۰:

وَ لا تَجْهَرْ بِصَلاتِکَ وَ لا تُخافِتْ بِها وَ ابْتَغِ بَيْنَ ذلِکَ سَبِيلًا *** كانت تلكم أمثلة ممّا حوى القرآن المكى من أخبار المعارک الفكرية بين كفار قريش و القرآن و حملته، و أمثلة مما جاء فيه سائر فنون المعرفة فى القرآن المكى، نكتفى بما أوردنا من كل ذلک لندرس فى ما يأتى كيفية تبليغ الرسول (ص) بمكة باذنه تعالى.

---

[۱۲۳] (۲۸) أسد الغابة ۳/ ۲۵۶ ۲۵۷، و الاصابة ۲/ ۳۶۱، و طبقات ابن سعد ۳/ ۱۱۷، و الطبرى ۱/ ۱۱۸۸، و سيرة ابن هشام ۱/ ۳۳۶، و الكامل لابن الاثير ۲/ ۳۱.

تبليغ الرسول القرآن بمكّة و النظام الّذى سنّه لإقرائه

لمعرفة ذلک ينبغى الحديث عن أمرين:

أ- شأن القرآن الذين نزل بمكّة.

ب- كيفية تبليغ الرسول (ص) القرآن و النظام الّذى سنّه لإقرائه.

أوّلا- شأن القرآن الّذى نزل بمكّة:

نزل القرآن على رسول اللّه (ص) ثلاث عشرة سنة بمكّة، قصيرة آياته، صغيرة جلّ سوره، ممّا يحفظه العربى المتولّع بحفظ القصائد و الأمثال السارية عادة لسماعه مرّة واحدة، مثل قوله تعالى: إِنَّا أَعْطَيْناکَ الْكَوْثَرَ و قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ. كانت تنزل فى حادثة ما، أو جواب سؤال، أو ردّ تعنّت . فكان من الطبيعى أن يحفظه عن ظهر قلب من كان قريبا منه، مثل خديجة و علىّ و جعفر و زيد، و كذلک المسلمون الأوائل، مثل : مصعب بن عمير و ابن مسعود و ابن ام مكتوم و خباب بن الأرت و الأرقم بن أبى الأرقم و نظرائهم.

إذا فقد كان من الطبيعى- أيضا- أن يجمع ما نزل من القرآن متدرّجا، بمكّة جلّ المسلمين الأوائل : أى: يحفظونه عن ظهر قلب. و لنا على ذلک أدلّة من التاريخ، سنذكرها بعيد هذا إن شاء اللّه تعالى.

ثانيا- تبليغ الرسول و النظام الّذى سنّه:

كان رسول اللّه (ص) تنفيذا لأمر اللّه و أداء لرسالته يتلو القرآن:

على الملأ من قريش و حجيج بيت اللّه الحرام بمكّة، يسمعهم آيات اللّه جهرا يتمّ عليهم الحجّة بذلک.

و يقرئ من شاء أن يهتدى. يعلمهم القرآن مع تفسيره سرّا.

أمّا عمله مع الصنف الأوّل فسوف نشرحه فى الخاتمة إن شاء اللّه تعالى.

و أمّا عمله مع الصنف الثانى، فكان لا يتم جهرا مع مظاهرة كفار قريش

عليهم و تعذيبهم المسلمين.

فكان لا بد له من القيام بأداء هذا الواجب سرّا و من أجل ذلک ن ظّم خلايا سرّية لإقراء المستضعفين، القرآن كما مر بنا خبره. و فيما يأتى ندرس بإذنه- تعالى- خبر تدوين القرآن بمكّة.

ص: ۱۳۹

سادسا- تدوين القرآن

أ- من كان يقرأ و يكتب فى مكّة:

و نبدأ فيه بذكر أمر الكتابة فى مكة قبل نزول القرآن ثمّ نذكر باذنه تعالى شأن تدوين القرآن بمكّة.

أمر الكتابة فى مكة قبل نزول القرآن.

قال البلاذرى فى فتوح البلدان:

دخل الاسلام و فى قريش سبعة عشر رجلا كلّهم يكتب و هم: عمر بن الخطاب، و علىّ بن ابى طالب، و عثمان بن عفان و أبو عبيدة بن الجرّاح و طلحة و يز يد بن أبى سفيان، و أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، و حاطب بن عمرو أخو سهيل بن عمرو العامرى من قريش، و أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومى، و أبان بن سعيد بن العاصى بن أميّة، و خالد بن سعيد أخوه، و عبد اللّه بن سعد بن ابى سرح العامرى، و حويطب بن عبد العزّى العامرى، و أبو سفيان، و جهيم بن الصّلت بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف، و من حلفاء قريش العلاء بن الحضرمى[۱۲۴].

أمّا أمر تدوين القرآن، فان النظام الذى كان قد سنّه الرسول (ص)

ص: ۱۴۰

لتدوين القرآن فى مكة و المدينة كان امرا واحدا و س وف ندرس نظام تدوين القرآن فى أخبار القرآن فى المدينة ان شاء اللّه تعالى.

ب- كيفية الإقراء:

ينقسم قراءة القرآن و تدوينه فى العصر المكّى إلى ما يخصّ الرسول (ص) و ما يعمّ المسلمين كالآتى بيانه:

۱- ما يخصّ الرسول (ص):

إن أول ما أقرأ اللّه- جلّ جلاله- رسوله (ص) من القرآن الكريم الآيات الخمس الأولى من سورة اقرأ حيث قال سبحانه:

أ- فى سورة العلق:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ* خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ* اقْرَأْ وَ رَبُّکَ الْأَکْرَمُ* الَّذِی عَلَّمَ بِالْقَلَمِ* عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ یَعْلَمْ ب- فى سورة الأعلى:

---

[۱۲۴] (۲۹) فتوح البلدان للبلاذرى ط. بيروت دار النشر للجامعيين سنة ۱۳۷۷ ه، ص ۶۶۰- ۶۶۱.

سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسی ح- فی سورة القیامة:

لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ* فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ* ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنا بَیانَهُ و فی صحیحی مسلم و البخاری و اللفظ للأول[۱۲۵]: بسندهما عن فاطمة إن رسول اللّه (ص) قال لها- فی مرض وفاته-: إن جبریل کان یعارضه بالقرآن

ص: ۱۴۱

کلّ عام مرّة و أنّه عارضه به فی العام مرتین، و لا أرانی إلا قد حضر أجلی.

کان ذلکم أمر إقراء اللّه- جلّ اسمه- نبیّه الکریم (ص) القرآن سواء کان فی مکّة أو فی المدینة.

۲- ما یعمّ المسلمین بمکة:

من خبر إقراء خباب بن الأرت فاطمة أخت عمر بن الخطاب و زوجها علمنا ان الرسول (ص) کان قد نظّم خلایا سریّة لإقراء المسلمین القرآن بمکة.

و فی ما یأتی بعض أخبار القرآن لدی المهاجرین من مکة إلی الحبشة.

المسلمون و القرآن فی الحبشة:

فی سیرة ابن هشام و طبقات ابن سعد و غیرهما ما موجزه:

لما اشتدّ اذی قریش للمؤمنین الذین أظهروا اسلامهم أمرهم الرسول بالهجرة إلی الحبشة فهاجر زهاء ثمانین رجلا و امرأة من المسلمین فأجارهم النجاشی ملک الحبشة فبعثت قریش بهدایا إلیه مع عمرو بن العاص و عمارة بن الولید و طلبت منه أن یعیدهم إلی مکة فجمع النجاشی بین المسلمین و عمرو و عمارة فقرأ جعفر علیه صدر سورة کهیعص- سورة مریم- فبکی النجاشی حتی اخضلت لحیته و أبی أن یعید المسلمین إلی قومهم قریش[۱۲۶].

لم یعین ابن هشام و غیره إلی أیّة آیة قرأ جعفر من سورة مریم و لا بد أنه قرأ صدر السورة الی الآیة ۳۴ منها و التی جاء فیها ذکر زکریا و یحیی و عیسی و مریم علیهم السلام.

إن خبر ابن مسعود و خبر جعفر یدلان علی أن المسلمین کانوا یحفظون

ص: ۱۴۲

---

[۱۲۵] (۳۰) صحیح مسلم کتاب فضائل الصحابة باب فضائل فاطمة(ع) الحدیث رقم ۹۸ و ۹۹ ۴/ ۱۹۰۵، و صحیح البخاری ۳/ ۱۵۱، کتاب فضائل القرآن باب کان جبریل یعر ض القرآن علی النبی (ص)، و مسند احمد ۶/ ۲۸۲، و سنن ابن ماجة کتاب الجنائز باب ما جاء فی ذکر مرض رسول اللّه (ص) ص ۵۱۸ الحدیث ۱۶۲۱.

[۱۲۶] (۳۱) سیرة ابن هشام ۱/ ۳۵۹- ۳۶۰؛ و طبقات ابن سعد، ۱/ ۲۰۷؛ و سیرة ابن اسحاق ص ۱۹۴.

ما نزل من القرآن ما يساعدهم أن يقرءوا فى كل مكان ما يناسبهم، كما أن خبر خليّة بيت فاطمة ابنة الخطاب كان يدل على وجود القرآن مكتوبا عند المسلمين بمكة.

ص: ۱۴۳

سابعا- خصائص المجتمع الاسلامى على عهد الرسول (ص):

و عند ما بعث الرسول (ص) قوّض بالاسلام النظام القبيلى فى الجزيرة العربية و النظام الطبقى فى سائر المجتمعات البشرية فى ما بلّغ عن اللّه قوله تعالى:

يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثى وَ جَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (الحجرات/ ۱۳).

و بقوله فى خطبته (ص) وسط ايام التشريق عام حجة الوداع:

«يا ايها الناس! الا انّ ربكم واحد و انّ أباكم واحد ألا لا فضل لعربى على اعجمى و لا لعجم ى على عربى و لا لأحمر على اسود و لا لأسود على أحمر إلّا بالتقوى، أ بلّغت؟ قالوا: بلّغ رسول اللّه (ص)![۱۲۷].

و على هذا الاساس اقام (ص) المجتمع الاسلامى الاول فى المدينة المنورة، فعاش فيه سلمان الفارسى و صهيب الرومى و بلال الحبشى و ابو ذر العربى البدوى متآخين كا سنان المشط لا تفاضل بينهم، و اربى على ذلک حين زوّج مولاه زيدا ابنة عمته زينب حفيدة عبد المطلب، و ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب المقداد بن عمرو مولى بنى زهرة [۱۲۸]، و وظف على بلال الحبشى

ص: ۱۴۴

الأذان حتى علا سطح الكعبة يوم الفتح و أذن عليها.

و كان من الطبيعى أن يظهر أحيانا فى ذلک المجتمع المثالى آثار التعصب القبيلى بين صحابة الرسول (ص) الذين نشئوا و عاشوا قبل الإسلام فى المجتمع الذى بنيت أسسه على النظام القبيلى و نقتصر بذكر بعض أخبارها فى ما يأتى باذنه تعالى:

أ- التعصب القبيلى للصحابة المهاجرين من قريش

۱- روى مسلم عن عائذ بن عمرو:

(ان أبا سفيان اتى على سلمان و صهيب و بلال فى نفر فقالوا و اللّه ما اخذت سيوف اللّه من عنق عدو اللّه مأخذها.

---

[۱۲۷] (۱) مسند احمد ۵/ ۴۱۱.

[۱۲۸] (۲) راجع فى خبر زواج زينب بنت جحش بحث صفات المبلغين من عقائد الاسلام من القرآن الكريم و خبر زواج ضباعة فى ترجمة ضباعة من الاصابة.

قال ابو بكر: أ تقولون هذا لشيخ قريش و سيدهم).

قال محمد فؤاد عبد الباقى فى شرح الحديث:

هذا الاتيان لأبى سفيان كان و هو كافر فى الهدنة بعد صلح الحديبية[۱۲۹].

ص: ۱۴۵

۲- فى سنن الدارمى و ابى داود و مسند احمد و غيرها بسندهم عن عبد اللّه ابن عمرو بن العاص انه قال:

«كنت أكتب كلّ شى ء أسمعه من رسول اللّه (ص)، فنهتنى قريش، و قالوا: تكتب كلّ شى ء سمعته من رسول اللّه (ص) و رسول اللّه بشر يتكلّم فى الغضب و الرضا؟

فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلک لرسول اللّه فأومأ باصبعه إلى فيه و قال : «أكتب فو الّذى نفسى بيده ما خرج منه إلّا حقّ»[۱۳۰].

انّ التعصب الجاهلى هو الذى دفع الصحابة القرشيين ان يمنعوا عبد اللّه ابن عمرو بن العاص من كتابة الحديث لما كان فيه ذكر اسماء القرشيين الذين ناهضوا الرسول، و حاربوا الاسلام و المسلمين، و جاء ذكر أفعالهم فى القرآن الكريم و بيان اسمائهم فى حديث الرسول (ص).

ص: ۱۴۶

---

[۱۲۹] (۳) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل سلمان و صهيب و بلال ۴/ ۱۹۴۷، و فى ترجمة(سلمان) و(صهيب) و(بلال) من سيرة النبلاء ۲/ ۱۵؛ و اللفظ لمسلم الاستيعاب ۲/ ۶۳۹ ط. مصر، تحقيق على محمد البجاوى.

أ- أبو عبد اللّه سلمان الفارسى كان مجوسيا ثم تنصر قبل بعثة رسول اللّه (ص) و قصد المدينة ليدرک الرسول، فصحب قوما من العرب، فأسروه، و باعوه لرجل من يهود المدينة، فرأى رسول اللّه (ص)، و عرف فيه علاما ت النبوة، و أسلم على يديه، فاشتراه رسول اللّه (ص)، و أعتقه و هو الذى أشار على النبى يوم الخندق بحفر الخندق، و قال النبى فى حقه يوم ذاک : سلمان منا أهل البيت، و توفى فى عصر عثمان سنة خمس و ثلاثين فى المدائن أميرا عليها و دفن هناک. أسد الغابة ۲/ ۲۲۸- ۲۳۲.

ب- صهيب بن سنان الربعى النمرى، كان أبوه عاملا لكسرى على الأبلة، فغارت الروم عليهم، و أسرت صهيبا فنشأ فيهم، ثم باعته الى كلب فجاء ت به الى مكة، فباعته من عبد اللّه بن جدعان فأعتقه، و كان من السابقين الى الاسلام الذين عذبوا فى مكة، و كناه الرسول أبا يحيى، و كان فى لسانه لكنة. توفى بالمدينة سنة ثمان أو تسع و ثلاثين و دفن بها و كان ابن سبعين أو ثلاث و سبعين. أسد الغابة ۳/ ۳۱- ۳۳.

ج- بلال بن رباح الحبشى، و أمه حمامة، كان من السابقين الى الاسلام، فعذبته قريش، فكانت تبطحه على وجهه فى الشمس، و تضع الرحاء عليه حتى تصهره الشمس، و يقولون له: أكفر برب محمد، فيقول: أحد، أحد، و اشتراه أبو بكر و أعتقه، و كان مؤذن رسول اللّه (ص)، و خازنه، و شهد معه مشاهده كلها، و ذهب بعد النبى الى الشام غازيا، و توفى هناک فى العشر الثانى بعد الهجرة، و عمره بضع و ستون سنة. أسد الغابة ۱/ ۲۰۹.

[۱۳۰] (۴) سنن الدارمى، ۱/ ۱۲۵، باب من رخص فى الكتابة من المقدمة، و سنن أبى داود ۲/ ۱۲۶، باب كتابة العلم، و مسند أحمد ۲/ ۱۶۲، ۱۹۲ و ۲۰۷ و ۲۱۵، و مستدرک الحاكم ۱/ ۱۰۵- ۱۰۶، و جامع بيان العلم و فضله لابن عبد البر ۱/ ۸۵ ط. الثانية، ط. العاصمة بالقاهرة سنة ۱۳۸۸.

و عبد اللّه بن عمرو بن العاص قرشى سهمى و امه ريطة بنت منبه السهمى كان اصغر من أبيه بإحدى عشرة أو اثنتى عشرة سنة . اختلفوا فى وفاته أ كان بمصر أو الطائف أو مكة و عام ۶۳ أو ۶۵. راجع ترجمته بأسد الغابة ۳/ ۲۳، و النبلاء ۳/ ۵۶، و تهذيب التهذيب ۵/ ۳۳۷.

ب- التعصب القبيلى فى قبائل الانصار

خبر مسجد ضرار قال تعالى فى سورة التوبة/ ١٠٧.

وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِراراً وَ كُفْراً وَ تَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ إِرْصاداً لِمَنْ حارَبَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ قال ابن عباس: وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِراراً هم أناس من الانصار ابتنوا مسجدا فقال لهم أبو عامر: ابنوا مسجدكم، و استمدوا بما استطعتم من قوة و سلاح، فانى ذاهب الى قيصر ملك الروم فآتى بجند من الروم فأخرج محمدا و أصحابه، فلما فرغوا من مسجدهم أتوا الرسول (ص) فقالوا قد فرغنا من بناء مسجدنا، فنحب أن تصلّى فيه، و تدعو بالبركة، فأنزل اللّه لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً[١٣١].

ج- خبر الشجار على ماء المريسيع:[١٣٢].

عند ما هاجر الرسول (ص) الى المدينة آخى بين المهاجرين من قريش من نسل نزار و رجال من الأوس و الخزرج من الأنصار من نسل قحطان[١٣٣]

ص: ١۴٧

فعاشوا بوئام و إخاء حتى إذا انتهوا من معركة غزوة بنى المصطلق وقعت أوّل منافرة بينهما عند ما وردت واردة الناس على ماء المريسيع، فازدحم على الماء جهجاه بن مسعود و هو يقود فرس عمر بن الخطاب، و سنان بن وبر الجه نى حليف الخزرج، فاقتتلا، فصرخ الجهنى يا معشر الأنصار ! و صرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين! فغضب عبد اللّه بن أبى بن سلول الخزرجى رئيس المنافقين و عنده رهط من قومه، فقال : أو قد فعلوها، قد نافرونا، و كاثرونا فى بلادنا ! و اللّه ما عدنا و جلابيب قريش هذه إلا كما قال الاول: «سمن كلبک يأكلک»! أما و اللّه لان رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ.

ثم قال لمن حضره من قومه: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، و قاسمتموهم أموالكم، أما و اللّه لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم، لتحوّلوا إلى غير داركم.

فبلغ ذلک رسول اللّه، و أشاروا عليه بقتله، فلم يقبل، و إنّما عالج الامر بحكمة، حيث أمر بالرحيل فى غير ساعة الرحيل، و سار بالناس يومهم ذلک حتى أصبح، و صدر اليوم الثانى حتى آذتهم الشمس، فلما نزل بهم و مس جلدهم الأرض، وقعوا نياما و بذلک شغلهم عن حديث المنافرة.

---

[١٣١] (۵) فى الطبرى ١١/ ١٨- ٢٠ و الدر المنثور ٣/ ٢٧۶ عن ابن المنذر و ابن ابى حاتم و ابن مردويه و البيهقى فى الدلائل و أبو عامر عبد عمرو بن صيفى الراهب كان رأس الاوس فى الجاهلية و ترهّب لما بلغه من اليهود ان خاتم الانبياء يكون فى المدينة املا فى ان يكون هو النبى المبشر له فلمّا هاجر الرسول الى المدينة حسد رسول اللّه فلم يسلم و جاهر الرسول بالعداوة و خرج إلى مكة و حرّضهم لحرب رسول اللّه (ص) ثم ذهب الى قيصر لنفس الغرض.

[١٣٢] (۶) المريسيع: ماء يبعد عن المدينة أياما، كان يسكن حوله قوم من خزاعة يقال لهم : بنو المصطلق، غزاهم رسول اللّه(ص) فى العام الخامس أو السادس بعد الهجرة.(امتاع الأسماع ص ١٩۵) و جهجاه من قبيلة غفار كان يومذاک أجيرا لعمر بن الخطاب المهاجرى لذلک نادى بشعارهم و مات جهجاه بعد عثمان بسنة أسد الغابة ١/ ٣٠٩.

[١٣٣] (٧) ولد نزار بن معد بن عدنان: مضر و ربيعة و اياد و انمار و ولد مضر: الياس و قيس عيلان و عرب الشمال ينتسبون إلى عدنان و معد و نزار و مضر و ربيعة و قيس. أما عرب الجنوب فينتسبون إلى الازد و سبأ و قحطان و الازد هو ابن الغوث بن نبت بن مالک ابن كهلان بن سبأ . و سبأ هو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان(جمهرة أنساب العرب ٣١٠- ٣١١).

و فى هذه الوا قعة نزلت سورة (المنافقون) و منها الآية / ٨ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَ لِلَّهِ الْعِزَّةُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ و بلغ حسان بن ثابت الانصارى الذى وقع بين جهجاه و بين الفتية

ص: ١۴٨

الأنصار، فقال و هو يريد المهاجرين:

أمسى الجلابيب قد عزّوا و قد كثروا و ابن الفريعة أمسى بيضة البلد

[١٣۴] الأبيات فجاء صفوان بن المعطّل إلى بعض المهاجرين و قال: انطلق بنا نضرب حسّانا، فو اللّه ما أراد غيرک و غيرى.

و لما أبى المهاجرى ذلک ذهب صفوان وحده، مصلتا بالسيف حتى ضرب حسانا فى نادى قومه، و جرحه و قال:

تلق ذباب السيف عنّى فإنّنى غلام إذا هو جيت لست بشاعر

[١٣۵] ثم أصلح الرسول بينهم، و انتهت بذلک أول منافرة وقعت بين فرعى القبيلتين بعد أن عالجها الرسول بحكمته.

و وقعت الثانية يوم وفاة الرسول (ص)، و ذلک لأن المجتمع العربى فى شبه الجزيرة كان يتوزع على مجتمعات قبيليّة متعدّدة، و بعد هجرة الرسول إلى المدينة و فتح مكة أصبحت المجتمعات المتعددة يحكمها مجتمع المدينة الواحد المتكون من المهاجرين و الأنصار.

و كان المهاجرون جلّهم من مكّة ما عدا النادر منهم و هم ينتمون الى قريش و حلفائها و مواليها و الانصار كلّهم من اليمن و من قبائل سبأ؛ و بذلک تحولّت العصبيّة القبيليّة المتعدّدة الى التعصّب بين مهاجرة قريش و من انتمى اليها من نزار و الأنصار و من انتمى اليها من السبئيين.

و أوّل شجار وقع بينهما بعد الرسول (ص) حدث فى سقيفة بنى ساعدة

ص: ١۴٩

ثم امتدّ الى عصور طويلة بعد ذلک كما سندرسه فى ما يأتى بحوله تعالى.

---

[١٣۴] (٨) الجلابيب سفلة الناس، و بهامش الأغانى ۴/ ١١(كان المنافقون يسمون المهاجرين بالجلابيب، و فى ديوان حسان (الخلابيس) أى الأخلاط من كل وجه الفريعة اسم أم حسان و بيضة البلد: يقال للمدح و الذم.

[١٣۵] (٩) الطبرى، ط. اوربا، ١/ ١۵٢۶؛ الأغانى ۴/ ١٢ عن الزهرى و لسان العرب مادة(بيض)؛ امتاع الأسماع للمقريزى ١/ ٢١١.

*** زالت الاعراف الجاهليّة ظاهرا عن شبه الجزيرة العربية بعد نزول سورة البراءة و اعلامها على الحجيج المسلم و المشرک فی منی فی السنة التاسعة من الهجرة.

و أصبح المجتمع الاسلامی من جانب الحاکم و قلیل من افراده اسلامیا انسانیا و فی سلوک الکثرة الکاثرة من افراده مزیجا من الاعراف القبیلیة الجاهلیة و الاخلاق الاسلامیة و من قبل بعض آخر من افراده قبیلی جاهلی محض و هم الّذین سموا بالمنافقین.

و کان اهمّ میزة هذا العصر بقاء الاحساس القبیلی بین افراده سواء منهم المؤمن و المنافق و الذی کان تظهر آثاره بین حین و آخر فی المجتمع، فیعالجها الرسول (ص) بحکمته. و کان ذلکم خصائص المجتمع فی هذا العصر.

نکتفی من أخبار القرآن بمکة لندرس فی ما یأتی بحوله تعالی أخبار القرآن فی العصر المدنی.

ص: ۱۵۱

الفصل الثانی أخبار القرآن الکریم فی عصر نزوله فی المدینة علی عهد الرسول الأکرم (ص)

۱- القرآن المدنی.

۲- النظام الذی سنه النبی (ص) فی إقراء القرآن.

۳- نظام المفاضلة بالقرآن.

۴- تدوین القرآن فی المدینة.

۵- أخبار السیرة فی القرآن الکریم.

ص: ۱۵۳

أولا- القرآن المدنی و ما حواه

یحکی القرآن المدنی عن بعض ما دار بین الرسول (ص) و هو فی المدینة مع کفار قریش و سائر مشرکی العرب من معارک فکریة و حروب قتالیة، و کذلک ما دار بینه (ص) و بین أهل الکتاب من یهود و نصاری من ذلک، و بعض ما جری فی المجتمع الإسلامی الأوّل الّذی شیّده (ص) مع المنافقین و المؤمنین و ما جری فی بیته (ص) یومذاک و ما شرعه اللّه للإنسان فی جمیع مناحی حیاته من نظام إلی غیر ذلک مما أشرنا إلیه فی خصائص القرآن المکّی و فی ما یأتی أمثلة مما ذکرناه إن شاء اللّه تعالی.

ما جری مع أهل الکتاب

بسبب وضوح ما كان فی كتب اللّه من تعريف خاتم الأنبياء أخبر اللّه عنهم أنّهم كانوا يعرفون خاتم الأنبياء و قبلته و شريعته كما يعرفون أبناءهم و قال عزّ اسمه فی سورة البقرة:

الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ وَ إِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ و قال تعالى فی سورة الأنعام:

الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (الآية/ ٢٠)

ص: ١٥۴

و تنقسم معارک القرآن مع أهل الكتاب على ما كان بينه و بين اليهود و ما كان بينه و بين أهل الكتاب من النصارى، و فی ما يأتی نوردهما على التوالی بإذنه تعالى:

ما دار بين اليهود و بين القرآن و مبلّغه و المؤمنين من حوار و خصام:

المعارک الفكرية بين القرآن المدنی و المشركين و أهل الكتاب و المنافقين:

استمرّ القرآن المدنی فی معاركه الفكرية مع المشركين مثل قوله تعالى فی سورة الحج:

يا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً وَ لَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَ إِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَ الْمَطْلُوبُ* ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (الآيات/ ٧٣- ٧۴) سفّه أحلام المشركين فی هذه الآية فی ما اتخذوه آلهة من دون اللّه كما كان شأن القرآن المكّی و عمّم فی الخطاب قريشا و غيرهم هاهنا بقوله تعالى: يا أَيُّهَا النَّاسُ ... و عمّم الخطاب بينما المخاطبون هم مشركو قريش.

و أضاف إلى معركته مع المشركين معركة أخرى مع أهل الكتاب و خاطبهم قائلا فی سورة المائدة:

يا أَهْلَ الْكِتابِ قَدْ جاءَكُمْ رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا ما جاءَنا مِنْ بَشِيرٍ وَ لا نَذِيرٍ فَقَدْ جاءَكُمْ بَشِيرٌ وَ نَذِيرٌ وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (الآية/ ١٩) و أثنى على بعضهم و قال سبحانه:

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِی يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِی التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِيلِ (الأعراف/ ١۵٧).

و أخبر- سبحانه- أنّهم يكتمون الحقّ و يلبسونه بالباطل، و قال فی سورة آل عمران:

ص: ١۵۵

يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْباطِلِ وَ تَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (الآية/ ٧١) و أخبر أنّه كان قد أخذ ميثاقهم ألا يكتمونه و يبينونه للناس و قال:

وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَ لا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَراءَ ظُهُورِهِمْ وَ اشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلًا فَبِئْسَ ما يَشْتَرُونَ (الآية/ ۱۸۷) و قال سبحانه فی سورة البقرة:

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتابِ وَ يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلًا أُولئِکَ ما يَأْكُلُونَ فِ ی بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ لا يُزَكِّيهِمْ وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (الآية/ ۱۷۴).

و قال- عزّ اسمه-:

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلْنا مِنَ الْبَيِّناتِ وَ الْهُدى مِنْ بَعْدِ ما بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِی الْكِتابِ أُولئِکَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَ يَلْعَنُهُ مُ اللَّاعِنُونَ (البقرة/ ۱۵۹).

و أخبر أنّ الرسول يبيّن كثيرا ممّا يخفون من الكتاب لقوله تعالى:

يا أَهْلَ الْكِتابِ قَدْ جاءَكُمْ رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتابِ وَ يَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ (المائدة/ ۱۵).

و من أخبار القرآن المدنی:

تنقسم أخبار القرآن فی المدينة إلى ما كانت قبل هجرة الرسول (ص) إليها و ما جرت بعد هجرة الرسول (ص) إليها.

أما ما كان قبل هجرة الرسول (ص) إليها، فقد تحدث عنها جابر بن عبد اللّه الأنصارى، و قال: عن بدء إسلام الأنصار:

(... بعثنا اللّه إليه- أى إلى رسول اللّه (ص)- من يثرب فآويناه

ص: ۱۵۶

و صدّقناه فيخرج الرجل منّا فيؤمن به. و يقرئه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه ...) الحديث[۱۳۶].

و روى ابن هشام و غيره : أنّ النبىّ (ص) بعث مع الأنصار بعد بيعتهم الأولى على الإسلام مصعب بن عمير، و أمره أن يقرئهم القرآن، و يعلّمهم الإسلام، و يفقههم فى الدين، فكان يسمّى المقرئ بالمدينة[۱۳۷].

و فی صحيح البخارى عن الصحابى البراء بن عازب قال:

أوّل من قدم علينا مصعب بن عمير و ابن أمّ مكتوم و كانا يقرءان الناس[۱۳۸].

---

[۱۳۶] (۱) مسند احمد ۳/ ۳۲۲، ۳۳۹.

[۱۳۷] (۲) سيرة ابن هشام ۲/ ۴۲ ط. مصر سنة ۱۳۵۶ ه، خبر بيعة العقبة الاولى. و مصعب بن عمير: ابو عبد اللّه القرشى اسلم قديما و هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة و شهد بدرا و استشهد بأحد راجع ترجمته فى جميع كتب تراجم الصحابة.

[۱۳۸] (۳) صحيح البخارى ۲/ ۲۲۴ كتاب مناقب الانصار باب مقدم النبى (ص) المدينة، و فى كتاب التفسير، تفسير سورة (سبح اسم ربک) ۳/ ۱۴۳. و مسند احمد ۴/ ۲۸۴.

و روى الذهبى بترجمة زيد بن ثابت من تذكرة الحفاظ أن زيدا قال: (أتى النبىّ (ص) المدينة و قد قرأت سبع عشرة سورة، فقرأت على رسول اللّه (ص) فأعجبه ذلک)[۱۳۹].

كذلک انتشرت قراءة القرآن فى المدينة قبل هجرة الرسول (ص) إليها.

*** كانت تلكم بعض أخبار القرآن فى المدينة قبل هجرة الرسول إليه ا و عند ما هاجر الرسول (ص) إليها اتّخذ من مسجده مدرسة لإقراء القرآن و سنّ نظاما لتدوين القرآن و إقرائه كما سنذكره فيما يأتى بإذنه تعالى.

ص: ۱۵۷

ثانيا- النظام الذى سنّه النبىّ (ص) فى إقراء القرآن

فى مسند أحمد و معرفة القرّاء الكبار للذهبى و البحار للمجلسى و اللفظ للذهبى عن أبى عبد الرحمن قال:

حدثنى الذين كانوا يقرءوننا: عثمان و ابن مسعود و أبىّ بن كعب (رض) ان رسول اللّه (ص) كان يقرئهم العشر، فلا يجاوزونها الى عشر أخر حتى يعلموا ما فيها من العمل فتعلمنا القرآن و العمل جميعا[۱۴۰].

و فى تفسير الطبرى بسنده:

عن أبى عبد الرحمن- السلمى- قال حدثنا الذين كانوا يقرءوننا انهم كانوا يستقرءون من النبى (ص) فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن و العمل جميعا[۱۴۱].

و لفظ احمد فى مسنده:

حدثنا عبد اللّه حدثنى أبى حدثنا محمد بن فضيل عن عطاء عن أبى

ص: ۱۵۸

عبد الرحمن قال حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب النبى (ص) أنهم كانوا يقترءون من رسول اللّه (ص) عشر آيات: فلا يأخذون فى العشر الاخرى حتى يعلموا ما فى هذه من العلم و العمل.

قالوا فعلمنا العلم و العمل[۱۴۲].

---

[۱۳۹] (۴) تذكرة الحفاظ ۱/ ۳۱.

[۱۴۰] (۱) معرفة القراء الكبار للذهبى ص ۴۸، و مسند احمد ۵/ ۴۱۰، و البحار للمجلسى ۹۲/ ۱۰۶، و مجمع الزوائد و منع الفوائد ۱/ ۱۶۵، و فى تفسير القرطبى ۱/ ۳۹ و فى كنز العمال الحديث ۴۲۱۳.

[۱۴۱] (۲) مسند احمد ۵/ ۴۱۰، و تفسير الطبرى ۱/ ۲۷. راجع اخبارهم فى كنز العمال ۲/ ۳۴۶ ط. بيروت سنة ۱۴۰۹ ه الحديث ۴۲۱۵.

[۱۴۲] (۳) مسند احمد ۵/ ۴۱۰.

و فی تفسیر القرطبی بسنده:

عن عثمان و ابن مسعود و أبیّ أن رسول اللّه (ص) کان یقرئهم العشر فلا یجاوزونها إلی عشر اخری حتی یتعلموا ما فیها من العمل، فیعلمنا القرآن و العمل جمیعا.

و ذکر عبد الرزاق عن معمر عن عطاء بن السائب عن أبی عبد الرحمن السلمی قال: کنا إذا تعلمنا عشر آیات من القرآن لم نتعلم العشر التی بعدها حتی نعرف حلالها و حرامها و أمرها و نهیها[۱۴۳].

(و أبو عبد الرحمن السلمی عبد اللّه بن حبیب بن ربیعة السلمی اخرج حدیثه أصحاب الصحاح، ولد فی حیاة النبی (ص) و لأبیه صحبة قرأ القرآن و جوّده و برع فی حفظه، أخذ القرآن عرضا عن عثمان و علی و ابن مسعود و زید ابن ثابت و أبیّ بن کعب (رض) و کان مقرئ أهل الکوفة منذ عصر عثمان الی ان توفی بعد السبعین من الهجرة فی أوائل حکم الحجاج و کان یعلّم القرآن خمس آیات خمس آیات و علّم ابن عمرو بن الح ریث القرآن، فأرسل له جلالا و جزرا [۱۴۴] فردّها و قال: انا لا نأخذ علی کتاب اللّه أجرا)[۱۴۵].

ص: ۱۵۹

و نعلم من الروایات الآتیة أن ما کان یقرئهم الرسول (ص) فی معانی الآیات کان یتلقاه عن طریق الوحی عن اللّه جلّ اسمه.

أ- فی سنن أبی داود و مسند أحمد و اللفظ للأول بسنده عن المقدام بن معدیکرب عن رسول اللّه (ص) أنه قال:

«ألا إنّی أوتیت الکتاب و مثله معه لا یوشک رجل شبعان علی أریکته یقول علیکم بهذا القرآن فما وجدتم فیه من حلال، فأحلّوه، و ما وجدتم فیه من حرام فحرّموه ...»[۱۴۶].

ب- فی سنن أبی داود عن العرباض بن سارية قال : نزلنا مع رسول اللّه (ص) خیبر و معه من معه من أصحابه، ثم صلّی بهم النبی (ص)، ثم قام، فقال:

«أ یحسب أحدکم متکئا علی أریکته قد یظن اللّه لم یحرم شیئا إلا ما فی هذا القرآن ! ألّا و إنی وعظت و أمرت و نهیت عن أشیاء إنها لمثل القرآن أو أکثر ...»[۱۴۷].

---

[۱۴۳] (۴) تفسیر القرطبی ۱/ ۳۹.

[۱۴۴] (۵) جلالا جمع جل: ما یکسی به الفرس لتصان به فهنا بمعنی الفرس المجلل.

الجزر جمع الجزور الابل التی تصلح للذبح.

[۱۴۵] (۶) معرفة القراء الکبار للذهبی ص ۴۵- ۴۹.

[۱۴۶] (۶) سنن ابی داود باب لزوم السنة ۴/ ۲۰۰ الحدیث ۴۶۰۴، و مسند احمد ۴/ ۱۳۱.

مقدام الکندی صحابی مشهور نزل الشام و مات سنة ۸۷ ه و له احدی و تسعون سنة.

تقریب التهذیب ۲/ ۲۷۲.

قد يكون معنى قول الرسول (ص) «أنها لمثل القرآن» أى أنه تلقاه عن الوحى و أكثر من القرآن فى شرح أحكام اللّه.

ج- فى سنن أبى داود و الترمذى و ابن ماجة و مسند أحمد و اللفظ للأول، عن عبيد اللّه بن أبى رافع عن أبيه قال : قال النبى (ص):

«لا ألفينّ أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمرى مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا ندرى ما وجدنا فى كتاب اللّه اتبعناه»[۱۴۸].

د- و فى مسند أحمد عن المقدام بن معدى كرب قال:

«حرّم رسول اللّه (ص) يوم خيبر أشياء، ثم قال : «يوشک أحدكم أن يكذبنى و هو متكئ على أريكته يحدث بحديثى، فيقول: بيننا و بينكم كتاب اللّه فما وجدنا فيه من حلال استحللناه و ما وجدنا فيه من حرام حرمناه.

ألا و إن ما حرم رسول اللّه (ص) مثل ما حرم اللّه».

و فى آخر الحديث من سنن الترمذى: «و ان ما حرم رسول اللّه (ص) كما حرم اللّه ».

و فى سنن ابن ماجة: «مثل ما حرم اللّه»[۱۴۹].

ه- فى مسند أحمد عن أبى هريرة قال: قال رسول اللّه (ص):

«لا أعرفنّ أحدا منكم أتاه عنى حديث و هو متكئ فى أريكته. فيقول:

اتل على به قرآنا ...»[۱۵۰].

و روى موجز الاحاديث القرطبى فى تفسيره بقوله : «كان الوحى ينزل على رسول اللّه (ص) و يحضره جبريل بالسنة التى تفسر ذلک»[۱۵۱].

---

[۱۴۷] (۷) سنن ابى داود ۲/ ۶۴ باب فى تعشير أهل الذمة من كتاب الخراج و الامارة و الفىء، و طبعة تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ۳/ ۱۷۰.

و عرباض السلمى أبو نجيح صحابى كان من أهل الصفة و نزل حمص و مات بعد السبعين.

تقريب التهذيب ۲/ ۱۷.

[۱۴۸] (۸) سنن ابى داود باب لزوم السنة من كتاب السنة ۲/ ۲۵۶، و الترمذى ۱۰/ ۱۳۲، و ابن ماجة المقدمة ۱/ ۷، و مستدرک الحاكم كتاب العلم ۱/ ۱۰۸، و مسند احمد ۶/ ۸.

و عبيد اللّه بن ابى رافع مولى النبى. تقريب التهذيب ۱/ ۵۳۲.

[۱۴۹] (۹) مسند احمد ۴/ ۱۳۲، و سنن الدارمى ۱/ ۱۴۰، و سنن الترمذى ۱۰/ ۱۳۳، و ابن ماجة مقدمة ۱/ ۶.

[۱۵۰] (۱۰) مسند احمد ۲/ ۳۶۷ و ۴۸۳.

فى المتن لا عرفن تصحيف و نرى الصحيح لا أعرفن.

كان ذلكم كيفية اقراء الرسول (ص) آى القرآن لأصحابه، و تعليمهم معنى الآيات مع تعليم اللفظ و اهتمامه بما بينه فى أحاديثه من الاحكام و فى ما يأتى ندرس كيفية اهتمامه بإقراء القرآن لأهل الصفة بمسجده و بمن يأتى من خارج المدينة و يسلم على يده:

الإقراء لأهل الصفة و لمن جاء من خارج المدينة و أسلم:

و كان فى مسجد الرسول (ص) صفة لإيواء الفقراء من المسلمين و كان عبادة بن الصامت يعلّم أهل الصفة القرآن[۱۵۲].

و فى المستدرک عن عبادة بن الصامت انه قال:

إذا قدم الرجل و قد أسلم على يد رسول اللّه (ص) دفعه إلى رجل منّا ليعلمه القرآن فدفع إلىّ رسول اللّه (ص) رجلا كان معى فى البيت و كنت أقرأته القرآن فرأى ان لى عليه حقا فأهدى إلىّ قوسا ما رأيت أجود منها و لا أحسن منها عطافا فأتيت رسول اللّه (ص) فقلت ما ترى يا رسول اللّه فيها، فقال: جمرة بين كتفيک تقلدتها أو تعلقتها[۱۵۳].

و فى رواية عن عبادة بن الصامت قال:

كان الرجل إذا هاجر دفعه النبى (ص) إلى رجل منا يعلمه القرآن، و كان يسمع لمسجد رسول اللّه (ص) ضجة بتلاوة القرآن حتى أمرهم رسول اللّه (ص) أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا[۱۵۴].

و جاء- أيضا- فى كنز العمال عن الطفيل بن عمرو الدوسى ذى النوران

قال: أقرأنى أبى بن كعب القرآن، فأهديت له قوسا فغدا إلى النبى (ص) متقلدها، فقال له النبى (ص): من سلّحک هذه القوس يا أبى؟ فقال: الطفيل بن عمرو الدوسى، أقرأته القرآن، فقال له رسول اللّه (ص): تقلدها شلوة من جهنم، فقال يا رسول اللّه: إنا نأكل من طعامهم، فقال: أما طعام صنع لغيرک فحضرت فلا بأس أن تأكله[۱۵۵].

بمقارنة هذا الخبر بخبر الإقراء بمكّة الذى رواه الصحابى الخليفة عمر نرى أنّ أهل اليسار بمكّة كانوا يؤون من يقرئهم من المستضعفين بمكّة و فى المدينة كان أهل اليسار يؤون المهاجر الجديد لإقرائه، و نرى أنّ الرسول يحذّرهم من أخذ هدية ممّن أقرؤه. و على هذا يكون الإيواء و الإطعام فى البلدين على أهل اليسار دون مقابل.

---

[۱۵۱] (۱۱) تفسير القرطبى ۱/ ۳۹.

[۱۵۲] (۱۲) راجع سنن ابى داود ۳/ ۲۶۴، و مسند احمد ۵/ ۳۱۵، و سنن ابن ماجة ۲/ ۷۳۰.

[۱۵۳] (۱۳) مستدرک الحاكم ۳/ ۳۵۶، و مسند احمد ۵/ ۳۲۴، و سنن ابن ابى داود ۳/ ۲۶۵، و قال صحيح الاسناد.

[۱۵۴] (۱۴) مناهل العرفان للشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى بكلية اصول الدين فى الأزهر ط.

دار احياء الكتب العربية بمصر ۱/ ۲۳۴.

[۱۵۵] (۱۵) كنز العمال ۲/ ۳۴۲، الحديث ۴۱۹۴.

و لم يقتصر تقارؤ القرآن بين الصحابة فى الحضر دون السفر، فقد روى ابن عمر و قال : سافر النبى (ص) و اصحابه إلى أرض العدوّ و هم يعلّمون القرآن[۱۵۶].

ففى صحيح مسلم و غيره و اللفظ لمسلم قال[۱۵۷]:

جاء أناس إلى رسول اللّه (ص)، فقالوا: أن ابعث معنا رجالا يعلّمون القرآن و السنّة فبع ث إليهم سبعين رجلا من الأنصار يقال لهم القرّاء- و فى لفظ البخارى[۱۵۸]: من القراء- يقرءون القرآن و يتدارسون بالليل يتعلمون.

و فى كتاب التراتيب الادارية ما موجزه:

ص: ۱۶۳

أرسل مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف فى سيرة ابن إس حاق لما انصرف النبى (ص) من القوم الذين بايعوه فى العقبة الأولى قال و هم اثنا عشر بعث معهم مصعبا و أمره أن يقرئهم القرآن و يعلمهم الاسلام و يفقههم فى الدين و كان يسمى المقرئ بالمدينة[۱۵۹].

و فى الاستبصار لابن قدامة المقدسى لما قدم مصعب بن عمير المدينة نزل على أ سعد بن زرارة فكان يطوف به على دور الانصار يقرئهم القرآن و يدعوهم الى اللّه عز و جل فأسلم على يديهما جماعة منهم سعد بن معاذ و أسيد بن حضير و غيرهما.

و فى التهذيب للنووى لدى ترجمة مصعب هذا : هاجر الى المدينة بعد العقبة الأولى ليعلم الناس القرآن، و يصلى بهم بع ثه رسول اللّه (ص) مع الاثنى عشر اهل العقبة الثانية ليفقه أهل المدينة، و يقرئهم القرآن، فنزل على أسعد بن زرارة، و منهم معاذ بن جبل فى الاكتفاء لأبى الربيع الكلاعى استخلف رسول اللّه (ص) عتاب بن أسيد على مكة و خلف معه معاذ بن جبل يفقه الناس فى الدين و يعلمهم القرآن خرّجه ابن سعد فى الطبقات عن مجاهد و فى الاستيعاب بعثه النبى (ص) قاضيا على الجند من اليمن يعلم الناس القرآن و شرائع الإسلام و يقضى بينهم و جعل إليه قبض الصدقات من العمال الذين باليمن عام فتح مكة، و منهم عمرو بن حزم الخزرجى النجارى.

فى الاستيعاب استعمله النبى (ص) على نجران ليفقههم فى الدين

ص: ۱۶۴

---

[۱۵۶] (۱۶) صحيح البخارى ۲/ ۱۱۳ كتاب الجهاد باب السفر بالمصاحف إلى أرض العدو.

[۱۵۷] (۱۷) مسلم كتاب الامارة(باب ثبوت الجنة للشهيد) ص ۱۵۱۱ الحديث ۱۴۷.

[۱۵۸] (۱۸) البخارى ۲/ ۱۳۶ كتاب الجزية باب دعاء الامام على من نكث عهدا. و جاء الخبر فى خبر بئر معونة بكتب سيرة الرسول(ص) كسيرة ابن هشام ۳/ ۱۸۴- ۱۸۵.

[۱۵۹] (۱۹) كتاب الحكومة النبوية المعروف بالتراتيب الادارية و العمالات و الصناعات و المتاجر و الحالة العلمية التى كانت على عهد تأسيس الدو لة الاسلامية فى المدينة المنورة لعبد الحى بن عبد الكبير بن محمد الحسينى الادريسى الكنانى. افست دار الكتاب العربى بيروت ۱/ ۴۲- ۴۷.

و راجع طبقات ابن سعد ط. اوربا ۸/ ۲/ ۱۰۸. و سيرة ابن هشام ۲/ ۴۲. و الاستبصار لابن قدامة ص ۵۷. و الاستيعاب ص ۲۲۷۹، و مسند أحمد ۳/ ۲۱۲.

و يعلمهم القرآن و يأخذ صدقاتهم و ذلک سنة عشر بعد أن بعث إليهم خالد بن الوليد فأسلموا و كتب له كتابا فی الفرائض و السنن و الصدقات و الديات يصح أن يستدرک هنا من المعلمين ج ماعة فمنهم أبو عبيدة بن الجراح أخرج أحمد فی مسنده عن أنس قال لما وفد اهل اليمن علی رسول اللّه (ص) قالوا ابعث معنا رجلا يعلمنا السنة و الاسلام ... و سيّره الی الشام اميرا فكان فتح اكثر الشام علی يده.

ص: ۱۶۵

ثالثا- نظام المفاضلة بالقرآن:

سنّ رسول اللّه (ص) نظام المفاضلة بين المسلمين بمقياس القراءة للقرآن و من جملتها الموارد الّتی نذكرها فی ما يأتی:

أ- تعيين الأكثر قراءة للقرآن إماما للجماعة.

كثرت الروايات و الأخبار فی هذا الصدد و نحن نقتصر علی ذكر خبر واحد منها كالآتی:

روی أبو داود فی سننه و أحمد فی مسنده و ابن سعد فی طبقاته و غيرهم و اللفظ لابن سعد قال:

قال عمرو بن سلمة بن قيس الجرمی:

كنّا بحضرة ماء، ممرّ الناس عليه، و كنّا نسألهم ما هذا الأمر؟- يقصد أنّهم كانوا يسألون عن خبر بعثة النبی (ص)- فيقولون: رجل زعم أنّه نبیّ و أنّ اللّه أرسله، و أنّ اللّه أوحی إليه كذا و كذا- يقصد أنّهم كانوا يقرءون عليهم بعض ما سمعوه من القرآن- قال: كنت أتلقّی الركبان فيقرءونی الآية.

قال: فجعلت لا أسمع شيئا من ذلک إلّا حفظته كأنّما يغری فی صدری بغراء، حتّی جمعت فيه قرآنا كثيرا[۱۶۰].

ص: ۱۶۶

و فی مسند أحمد: و كان الناس ينتظرون بإسلامهم فتح مكّة.

و فی طبقات ابن سعد:

يقولون: انظروا، فإن ظهر عليهم فهو صادق و هو نبیّ، فلما جاءتنا وقعة الفتح- فتح مكة- بادر كل قوم بإسلامهم، فانطلق أبی بإسلام حوائنا ذلک- الحواء بيوت مجتمعة للناس علی ماء- و أقام مع رسول اللّه (ص)، ما شاء اللّه أن يقيم.

قال: ثمّ أقبل، فلما دنا منّا تلقّيناه فلمّا رأيناه قال : جئتكم و اللّه من عند رسول اللّه (ص) حقّا ثمّ قال: إنّه يأمركم بكذا و كذا و ينهاكم عن كذا و كذا و أن تصلّوا صلاة كذا و كذا فی حين كذا و إذا حضرت الصلاة، فليؤذن أحدكم، و ليؤمّكم أكثركم قرآنا.

---

[۱۶۰] (۱) طبقات ابن سعد ۱/ ۳۳۶- ۳۳۷، و ط. اوربا ۲/ ۷۰. و سنن أبی داود ۱/ ۱۵۹، رقم الحديث ۵۸۵. و مسند أحمد ۳/ ۴۷۵ و ۵/ ۲۹ و ۷۱.

قال: فنظر أهل حوائنا، فما وجدوا أحدا أكثر قرآنا منّى للّذى كنت أحفظه من الركبان.

قال: و أنا يومئذ غلام علىّ شملة، فدعونى، فعلمونى الركوع و السجود فقدمونى بين أيديهم.

قال و كان علىّ بردة كنت إذا سجدت تقلّصت عنّى، فقالت امرأة من الحىّ: أ لا تغطّون عنّا است قارئكم.

قال: فكسونى قميصا من معقّد البحرين، فما فرحت بشىء أشدّ من فرحى بذلك القميص.

و فى سنن أبى داود قال: و أنا ابن سبع سنين أو ثمانى سنين.

قال: فما شهدت مجمعا من جرم- يقصد قبيلته- إلّا كنت إمامهم و كنت أصلّى على جنائزهم.

و فى رواية: لم يزل يؤمهم إلى زمن معاوية[۱۶۱].

ص: ۱۶۷

و جاء عن أبى هريرة انه قال:

بعث رسول اللّه (ص) بعثا و هم ذو عدد فاستقرأهم فاستقرأ كلّ رجل منهم ما معه من القرآن فأتى على رجل منهم من أحدثهم سنّا فقال ما معك يا فلان قال معى كذا و كذا و سورة البقرة قال: أ معك سورة البقرة؟ فقال نعم قال:

فاذهب فأنت أميرهم فقال رجل من أشرافهم و اللّه يا رسول اللّه ما منعنى أن أتعلم سورة البقرة إلّا خشية ألّا أقوم بها فقال رسول اللّه (ص) تعلموا القرآن فاقرءوه و أقرئوه فإنّ مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه و قام به كمثل جراب محشو مسكا يفوح بريحه كلّ مكان و مثل من تعلمه فيرقد و هو فى جوفه كمثل جراب وكئ على مسك[۱۶۲].

و فى تفسير السيوطى عن الدلائل للبيهقى : عن عثمان بن أبى العاص قال استعملنى رسول اللّه (ص) و أنا أصغر الستة الذين وفدوا عليه من ثقيف، و ذلك انى كنت قرأت سورة البقرة[۱۶۳].

ب- المفاضلة بعد الحياة و فى القبر.

لما كان يوم أحد و أمر رسول اللّه (ص) بدفن الشهداء فى أحد قال (ص) انظروا أكثر هؤلاء جمعا للقرآن . فاجعلوه أمام أصحابه فى القبر، و كانوا يدفنون الاثنين و الثلاثة فى القبر الواحد[۱۶۴].

---

[۱۶۱] (۲) راجع اسناد الخبر فى طبقات ابن سعد(۱/ ۳۳۶- ۳۳۷) خبر وفد جرم، و سنن ابى داود ۱/ ۱۵۹- ۱۶۰ كتاب الصلاة باب من أحق بالامامة الحديث ۵۸۵ و ۵۸۷، و مسند احمد ۵/ ۳۰.

[۱۶۲] (۳) سنن الترمذى ط. الاولى بمصر سنة ۱۳۵۳ ه ۱۱/ ۷- ۸، و تفسير سورة البقرة فى الدر المنثور ۱/ ۲۱، و تفسير ابن كثير ۱/ ۳۳.

[۱۶۳] (۴) تفسير السيوطى ۱/ ۲۱.

[۱۶۴] (۵) مسند احمد ۵/ ۴۳۱.

ج- يوم القيامة.

قال رسول اللّه (ص) اقرءوا القرآن، فإنّه يأتى يوم القيامة شفيعا

ص: ۱۶۸

لأصحابه[۱۶۵]

د- فى الجنة.

فى مسند احمد و الترمذى:

يقال لصاحب القرآن: اقرأ و ارتق و رتل كما كنت ترتّل فى الدنيا، فإنّ منزلتک عند آخر آية- أى: يقال ذلک لصاحب القرآن فى الجنّة[۱۶۶].

و فى سنن الدارمى:

ان الذى يقرأ القرآن و هو ماهر به، فهو مع السفرة الكرام البررة، و الذى يقرؤه و هو يشتد عليه- أو هو عليه شاق- فله أجران[۱۶۷].

من تعلم القرآن، فاستظهره، و حفظه، أدخله اللّه الجنة، و شفعه فى عشرة من أهل بيته[۱۶۸].

و قال: ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت اللّه يتلون كتاب اللّه، و يتدارسونه بينهم إلّا نزلت عليهم السكينة و غشيتهم الرحمة و حفتهم الملائكة و ذكرهم اللّه فيمن عنده ...[۱۶۹].

و اجمع كلام للرسول (ص) فى المفاضلة قوله:

إنّ أفضلكم من تعلّم القرآن و علّمه.

و فى رواية:

ص: ۱۶۹

---

[۱۶۵] (۶) صحيح مسلم ص ۵۵۳ كتاب صلاة المسافرين باب فضل القرآن، الحديث ۲۵۲.

[۱۶۶] (۷) مسند احمد ۲/ ۱۹۲، و ابى داود ۲/ ۷۳، و الترمذى ۱۱/ ۳۶.

[۱۶۷] (۸) الترمذى ۱۱/ ۲۹، و الدارمى ۲/ ۴۴۴ باب فضل من يشتد القرآن عليه- أى لا أقوم بعمل ما فيها ..، و مسلم كتاب صلاة المسافرين، باب الماهر بالقرآن ص ۵۴۹- ۵۵۰ الحديث ۲۴۴.

[۱۶۸] (۹) مسند احمد ۵/ ۱۴۹، و قريب منه فى ص ۱۴۸.

[۱۶۹] (۱۰) صحيح مسلم كتاب الذكر و الدعاء باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ۴/ ۲۰۷۴ الحديث ۳۸، و مسند احمد ۲/ ۲۵۲.

خيركم من تعلم القرآن و علمه[۱۷۰].

و قال: إنّ أهل القرآن هم أهل اللّه و خاصته[۱۷۱].

و فى كنز العمال كتاب الاذكار، باب فى فضائل القرآن (۲/ ۱۸۷):

عن أنس بن مالک قال قال رسول اللّه (ص): يا حملة القرآن ان أهل السموات يذكرونكم عند اللّه فتحببوا إلى اللّه بتوقير كتاب اللّه يزدكم حبا و يحببكم إلى عباده.

و فى ص ۵۲۳ منه الحديث حملة القرآن هم المعلمون كلام اللّه و المتلبسون بنور اللّه، من والاهم فقد والى اللّه، و من عاداهم فقد عادى اللّه.

و فى رواية ۲۲۹۵:

حملة القرآن أولياء اللّه ...

و حملة القرآن من حفظ جميع القرآن عن ظهر قلب.

و فى ص ۵۳۸ منه الحديث ۲۴۱۴:

من ختم القرآن عن ظهر قلبه أو نظرا أعطاه اللّه شجرة فى الجنة.

و نظرا: أى ختم القرآن فى المصحف.

و فى ص ۵۳۶ منه: الحديث ۲۴۰۷:

من قرأ القرآن نظرا متع ببصره.

و فى ص ۵۳۱ الحديث ۲۰۷۷:

يا علىّ تعلم القرآن و علمه الناس فلک بكل حرف عشر حسنات فان

متّ متّ شهيدا، يا علىّ تعلّم القرآن و علمه الناس فان متّ حجّت الملائكة إلى قبرک كما تحجّ الناس إلى بيت اللّه العتيق.

---

[۱۷۰] (۱۱) صحيح البخارى ۳/ ۱۵۴ كتاب فضائل القرآن باب(۱۹) خيركم من تعلم القرآن و علمه، و ابى داود ۲/ ۷۰، و سنن الدارمى ۲/ ۴۳۷ باب خياركم من تعلم القرآن و علمه، و ابن ماجة ۱/ ۷۷.

[۱۷۱] (۱۲) ابن ماجة ۱/ ۷۸، و مسند احمد(۳/ ۱۲۷، ۱۲۸، ۲۴۲).

و فی ص ۵۳۸ الحدیث ۲۴۱۶:

من قرأ القرآن فی سبعة کتبه اللّه من المحسنین و لا تقرءوا فی أقل من ثلاثة فمن وجد منکم نشاطا فلیجعله فی حسن تلاوته.

و ممّا یتبع باب المفاضلة ما نجده فی سیرة الرسول (ص) من انتهازه الفرص لنشر الاقراء بین المسلمین مثل ما رواه البخاری و غیره و اللفظ للبخاری:

قال: أتت النبی (ص) امرأة، فقالت: انها وهبت نفسها للّه و لرسول اللّه (ص).

فقال: ما لی فی النساء من حاجة.

فقال رجل زوجنیها:

قال: اعطها ثوبا.

قال: لا اجد.

قال: اعطها و لو خاتما من حدید، فاعتل له.

فقال ما معک من القرآن؟.

قال: کذا و کذا.

قال: فقد زوجتکها بما معک من القرآن[۱۷۲].

و کان لکیفیة اقراء الرسول (ص) بمکة و المدینة اثرا امتد من عصره إلی ما بعده کالآتی خبره:

ص: ۱۷۱

أثر کیفیة إقراء الرسول (ص) فی عصره:

کان لما قاله الرسول (ص) و فعله فی شأن إقراء القرآن أبلغ الأثر فی الصحابة و سائر المسلمین فی عصره و بعده . أما فی عصره فقد روی عقبة بن عامر الجهنی و قال:

خرج علینا رسول اللّه (ص) ذات یوم و نحن نتدارس القرآن، قال:

تعلّموا القرآن، و اقتنوه، فإنّه أشد تفلتا من المخاض فی عقلها. أی: أشدّ تفلتا من الناقة المشدودة بالعقال ساعة الولادة[۱۷۳]:

---

[۱۷۲] (۱۳) صحیح البخاری ۳/ ۱۵۵ کتاب فضائل القرآن باب خیرکم من تعلم القرآن و علمه.

و كانوا يقرءون أبناءهم و نساءهم القرآن، فقد روى أحمد و ابن ماجة عن زياد بن لبيد الأنصارى أنّه قال:

ذكر النبى (ص) شيئا، فقال «ذاک عند أوان ذهاب العلم».

قال: قلت: يا رسول اللّه و كيف يذهب العلم و نحن نقرأ القرآن و نقرئه أبناءنا و يقرئه أبنا ؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة؟ قال ... أو ليس هذه اليهود و النصارى يقرءون التوراة و الإنجيل لا يعملون بشىء مما فيهما[۱۷۴].

اهتمام الرسول (ص) بالسور الطوال

و كان الرسول (ص) يعنى بسورة البقرة عناية خاصة ثم ما بعدها من السور الكبار و من موارد ذلک ما رواه.

البيهقى و أحمد بسندهما، رويا عن أم المؤمنين عائشة أنها قالت:

«كنت أقوم مع رسول اللّه (ص) فى الليل، فيقرأ بالبقرة و آل عمران و النساء فاذا مر بآية فيها استبشار، دعا و رغب، و إذا مر بآية فيها تخويف، دعا

و استعاذ»[۱۷۵].

و فى سنن البيهقى: عن عوف بن مالک الاشجعى قال : قمت مع رسول اللّه (ص) ليلة، فقام فقرأ البقرة لا يمر بآية رحمة، إلّا وقف، فسأل، و لا يمر بآية عذاب، إلّا وقف، فتعوّذ، ثم ركع بقدر قيامه يقول فى ركوعه : سبحان ذى الجبروت و الملكوت و الكبرياء و العظمة ثم سجد بقدر قيامه ثم قال فى سجوده مثل ذلک ثم قام فقرأ بآل عمران ثم قرأ سورة سورة[۱۷۶].

و يرغّب المسلمين فى استظهار سورة البقرة كما جاء فى صحيح مسلم و مسند أحمد بسندهما عن أبى امامة الباهلى قال : سمعت رسول اللّه (ص) يقول:

اقرءوا القرآن فانه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه.

---

[۱۷۳] (۱۴) مسند احمد ۴/ ۱۵۳.

[۱۷۴] (۱۵) سنن ابن ماجة ۲/ ۱۳۴۴ كتاب الفتن باب ذهاب القرآن و العلم، و مسند احمد ۴/ ۲۱۹.

[۱۷۵] (۱۶) سنن البيهقى كتاب الصلاة باب الوقوف ۲/ ۳۱۰، و مسند احمد ۶/ ۹۲ و ۱۱۹، و الدر المنثور للسيوطى ۱/ ۱۸.

[۱۷۶] (۱۷) سنن البيهقى كتاب الصلاة باب الوقوف ۲/ ۳۱۰، و الدر المنثور للسيوطى ۱/ ۱۸.

اقرءوا الزهراوين سورة البقرة و سورة آل عمران، فانهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غيايتان أو كأنهما غمامتان أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما، اقرءوا سورة البقرة فان أخذها بركة و تركها حسرة و لا تستطيعها بطلة[۱۷۷].

و فى صحيح مسلم و سنن النسائى و البيهقى و مسند أحمد بسندهم عن حذيفة قال: صلّيت مع رسول اللّه (ص) ليلة من رمضان، فافتتح البقرة، فقلت يصلى بها ركعة، ثم افتتح النساء، فقرأها ثم افتتح آل عمران، فقرأها مترسلا اذا مر بآية فيها تسبيح سبح، و إذا مر بسؤال سأل، و اذا مر بتعوّذ تعوذ، و اذا مرّ بآية فيها تنزيه للّه عز و جلّ سبح[۱۷۸].

ص: ۱۷۳

و فى صحيح مسلم و سنن الترمذى و مسند أحمد بسندهم عن نواس بن سمعان قال: سمعت رسول اللّه (ص) يقول: يؤتى بالقرآن و أهله الذين كانوا يعملون به فى الدنيا تقدمهم سورة البقرة و آل عمران قال: و ضرب لهما رسول اللّه (ص) ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد قال كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما ظلتان سوداوان بينهما شرف أو كأنهما فرقان من طير صوافّ يحاجان عن صاحبهما[۱۷۹].

و فى صحيح مسلم و مسند أحمد و سنن الدارمى و مستدرک الحاكم و صححه الذهبى عن بريدة قال: قال رسول اللّه (ص): تعلموا سورة البقرة فان أخذها بركة و تركها حسرة، و لا تستطيعها البطلة ثم سكت ساعة، ثم قال: تعلموا سورة البقرة، و آل عمران فانهما الزهراوان يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صوافّ تحاجّان عن صاحبهما اقرءوا سورة البقرة فان أخذها بركة و تركها حسرة، و لا تستطيعها البطلة[۱۸۰].

و فى صحيح مسلم و سنن الترمذى و مسند أحمد و مستدرک الحاكم و اللفظ للأوّل عن أبى هريرة أن رسول اللّه (ص) قال: لا تجعلوا بيوتكم مقابر. إنّ

ص: ۱۷۴

---

[۱۷۷] (۱۸) مسلم ۱/ ۵۵۳ كتاب المسافرين باب فضل قراءة القرآن و سورة البقرة، و مسند احمد ۴/ ۱۸۳، و الدر المنثور للسيوطى ۱/ ۱۸. و لا يستطيعها البطلة: أى لا يقدر على تحصيلها السحرة.

[۱۷۸] (۱۹) سنن البيهقى كتاب الصلاة باب الوقوف عند آية الرحمة و آية العذاب و آية التسبيح ۲/ ۳۰۹، و النسائى باب تسوية القيام و الركوع و القيام بعد الركوع و السجود ۳/ ۲۲۵- ۲۲۶، و مسند احمد ۵/ ۳۸۴ و ۳۹۷، و مسلم كتاب الصلاة باب استحباب تطويل القراءة فى صلاة الليل ۱/ ۵۳۶- ۵۳۷، و الدر المنثور للسيوطى ۱/ ۱۸.

[۱۷۹] (۲۰) مسلم كتاب المسافرين باب فضل قراءة القرآن و سورة البقرة ۱/ ۵۵۴، و مسند احمد ۴/ ۱۸۳، و الترمذى ۱۱/ ۱۴ باب فضائل القرآن، و الدر المنثور للسيوطى ۱/ ۱۸.

[۱۸۰] (۲۱) سنن الدارمى كتاب فضائل القرآن باب فى فصل سورة البقرة و آل عمران ۲/ ۴۴۶ و ۴۵۰، و صحيح مسلم كتاب المسافرين باب فضل قراءة القرآن و سورة البقرة ۱/ ۵۵۳، و مسند احمد ۵/ ۲۴۹ و ۲۵۱ و ۲۵۵ و ۲۵۷ و ۳۴۸ و ۳۵۲ و ۳۶۱، و مستدرک الحاكم ۲/ ۲۸۷ كتاب التفسير، و الدر المنثور للسيوطى ۱/ ۱۸.

الشيطان ينفر من البيت الذى يقرأ فيه سورة البقرة و لفظ الترمذى : و إن البيت الذى يقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان و فى لفظ الحاكم عن عبد اللّه عن الرسول (ص) اقرءوا سورة البقرة فى بيوتكم فان الشيطان لا يدخل بيتا تقرأ فيه سورة البقرة[١٨١].

إضافة إلى ما قاله الرسول (ص) لأصحابه فى فضائل استظهار سورة البقرة جعل لمن حفظها عن ظهر قلب ميزة على غيره و مرّ بنا آنفا ان أبا هريرة قال:

بعث رسول اللّه (ص) بعثا و هم ذو و عدد، فاستقر أهم فاستقرأ كل رجل منهم يعنى ما معه من القرآن فأتى على رجل منهم من أحدثهم سنّا فقال: ما معک يا فلان؟ قال: معى كذا و كذا و سورة البقرة. قال: أ معک سورة البقرة؟ قال: نعم.

قال: اذهب فأنت أميرهم . فقال رجل من أشرافهم : و اللّه ما منعنى أن أتعلم سورة البقرة إلّا خشية أن لا أقوم بها فقال رسول اللّه (ص) تعلموا القرآن و اقرءوه فان مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه و قام به كمثل جراب محشوّ مسكا يفوح ريحه فى كل مكان و مثل من تعلمه فيرقد و هو فى جوفه كمثل جراب أوكئ على مسک[١٨٢].

و فى غزوة حنين قال ابن كثير:

كان رسول اللّه (ص) لما غشيه القوم قام فى الركابين ... و نادى أصحابه فقال ... يا بنى الخزرج يا أصحاب سورة البقرة و أمر من أصحابه من ينادى بذلک[١٨٣].

ص: ١٧٥

و فى عيون الأثر عن العباس بن عبد المطلب ما موجزه: إنى لمع رسول اللّه (ص) آخذ بحكمة بغلته و قد شجرتها بها. قال و كنت امرأ جسيما شديد الصوت فقال: يا عباس! اصرخ يا معشر الأنصار ...[١٨٤].

و فى كنز العمال:

فنادى العباس: اين المهاجرون اين أصحاب سورة البقرة بصوت عال[١٨٥].

هكذا جعل رسول اللّه (ص) لحفظ سورة البقرة عن ظهر قلب شأنا عظيما، فاهتم المسلمون بذلک.

و فى مسند أحمد بسنده عن أنس بن مالک قال:

---

[١٨١] (٢٢) المستدرک كتاب التفسير ٢/ ٢٦٠، و صحيح مسلم باب استحباب صلاة النافلة من بيته و جوازها فى المسجد ١/ ٥٣٩، و الترمذى باب فضائل القرآن ١١/ ١٠، و مسند احمد ٢/ ٢٨٤ و ٣٣٧ و ٣٧٨ و ٣٨٨، و الدر المنثور للسيوطى ١/ ١٩.

[١٨٢] (٢٣) مرّ ذكر مصادره فى الصفحة رقم ١٦٧ الهامش رقم ٣.

[١٨٣] (٢٤) تاريخ ابن كثير ط. بيروت سنة ١٤٠٨ ه ٦/ ٣٥٧.

[١٨٤] (٢٥) عيون الاثر لابن سيد الناس ط. بيروت سنة ١٩٧٤ م ٢/ ١٩١.

[١٨٥] (٢٦) كنز العمال ط. بيروت سنة ١٤٠٩ ه ١٠/ ٥٤٥ رقم الحديث ٣٠٢١٩.

كان الرجل اذا قرأ البقرة و آل عمران جدّ فينا، يعنى عظم.

و فى رواية يعد فينا عظيما[۱۸۶].

و جاء فى فضل السبع الأول من القرآن الكريم فى كنز العمال ۱/ ۵۷۲ الحديث ۲۵۸۴:

«من أخذ السبع الأول من القرآن فهو خير».

و على أثر ذلک تسابق الصحابة فى استظهار سورة البقرة.

فقد روى القرطبى فى تفسير سورة البقرة بسنده و قال:

تعلم عمر البقرة فى اثنتى عشرة سنة، فلما ختمها نحر جزورا و فى رواية بعدها شكر اللّه و ان عبد اللّه بن عمر مكث على سورة البقرة ثمانى سنين يتعلمها[۱۸۷].

و فى موطأ مالک:

ص: ۱۷۶

عن ابن عمر قال: تعلم عمر البقرة فى اثنتى عشرة سنة فلما ختمها نحر جزورا.

و ذكر مالک فى الموطأ انه بلغه ان عبد اللّه بن عمر مكث على سورة البقرة ثمانى سنين يتعلمها[۱۸۸].

و فى تفسير السيوطى:

أخرج عبد الرزاق و ابن أبى شيبة معا فى المصنف عن عروة قال كان شعار أصحاب النبى (ص) يوم مسيلمة يا أصحاب سورة البقرة[۱۸۹].

و ذكر الرسول (ص) أهمية سورة هود و أخواتها و قال كما فى كنز العمال (۱/ ۵۷۳):

أ- الحديث ۲۵۸۶- شيبتنى هود و أخواتها.

ب- الحديث ۲۵۸۷- شيبتنى هود و أخواتها الواقعة و الحاقة و إذا الشمس كورت.

ج- الحديث ۲۵۸۸- شيبتنى هود و الواقعة و المرسلات و عمّ يتساءلون و إذا الشمس كورت.

---

[۱۸۶] (۲۷) مسند احمد ۳/ ۱۲۰.

[۱۸۷] (۲۸) تفسير القرطبى ۱/ ۴۰، و سيرة عمر لابن الجوزى ص ۱۶۵.

[۱۸۸] (۲۹) موطأ مالک ۱/ ۲۰۵ كتاب القرآن باب ما جاء فى القرآن الحديث ۱۱.

[۱۸۹] (۳۰) تفسير السيوطى ۱/ ۲۱، و فى تاريخ ابن كثير ۶/ ۳۵۷ فى ذكر خبر قتال مسيلمة.

د- الحديث ۲۵۸۹- شيبتنى هود و أخواتها قبل المشيب.

ه- الحديث ۲۵۹۰- شيبتنى سورة هود و أخواتها الواقعة و الحاقة و إذا الشمس كورت و سأل سائل.

و- الحديث ۲۵۹۱- شيبتنى هود و أخواتها و ما فعل الأمم قبلى.

و ذكر (ص) أهمية سور أخرى و قال (ص):

عن واثلة بن الاسقع أن النبى (ص) قال: أعطيت مكان التوراة السبع و أعطيت مكان الزبور المئين و أعطيت مكان الإنجيل المثانى و فضلت

ص: ۱۷۷

بالمفصل[۱۹۰].

و أخرج الدارمى: قال عبد اللّه السبع الطوال مثل التوراة و المئين مثل الانجيل و المثانى مثل الزبور و سا ئر القرآن بعد فضل[۱۹۱].

و قال السيوطى فى خاتمة النوع الثامن عشر لجمع القرآن و ترتيبه ما موجزه:

السبع الطوال أو لها البقرة و آخرها براءة كذا قال جماعة. و عن ابن عباس قال السبع الطوال البقرة و آل عمران و النساء و المائدة و الأنعام و الأعراف و السابع الكهف (و الهئون) ما وليها سميت بذلک لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها (و المثانى) ما ولى المئين (و المفصل) ما ولى المثانى من قصار السور و آخره سورة الناس بلا نزاع[۱۹۲].

*** كان ذلكم بعض أخبار كيفية إقراء الرسول (ص) القرآن لأصحابه و حثه إياهم على حفظه عن ظهر قلب و أخبار اهتمامه ببعض السور و فى ما يأتى نبين بعض أخبار من قرأ القرآن على النبى (ص) و جمعه و كتبه على عهده.

من قرأ القرآن على النبى و من جمعه على عهده و من كتبه من الصحابة:

أقرأ الرسول جميع الصحابة ما تيسر له من القرآن أداء لواجبه التبليغى و قرأ عليه جميع الصحابة ما تيسر لهم من القرآن أداء لواجبهم الإسلامى أمّا من جمع منهم القرآن على عهده (ص) و كتب فلا يمكن إحصاؤهم و ما جاء فى بعض الروايات من جمع القرآن على عهد الرسول (ص) أو كتب ليس من باب

ص: ۱۷۸

---

[۱۹۰] (۳۱) مسند أحمد ۴/ ۱۰۷ و كنز العمال ۱/ ۵۷۳.

[۱۹۱] (۳۲) سنن الدارمى ۲/ ۴۵۳.

[۱۹۲] (۳۳) الاتقان للسيوطى ۱/ ۶۵.

الحصر و الاحصاء و إنّما ذكرت أسماؤهم لمناسبة فی المقام و ما جاء عن الصحابی أنس بن مالک فی حصر من جمع القرآن علی عهد الرسول (ص) ببعض الأنصار مردود کما نبینه فی ما یأتی باذنه تعالی:

قول الصحابی أنس فی من جمع القرآن علی عهد النبی (ص)

فی صحیح البخاری عن أنس أنّه قال:

مات النبیّ (ص) و لم یجمع القرآن غیر أربعة أبو الدرداء و معاذ بن جبل و زید بن ثابت و أبو زید قال و نحن ورثناه[۱۹۳].

و فی روایة أخری:

عن قتادة قال: سألت أنس بن مالک : من جمع القرآن علی عهد النبی (ص) قال أربعة کلهم من الأنصار : أبیّ بن کعب و معاذ بن جبل و زید ابن ثابت و أبو زید[۱۹۴].

و فی روایة:

قال قتادة: قلت: من أبو زید قال: أحد عمومتی[۱۹۵].

ص: ۱۷۹

دراسة الحدیث:

نری انه اعتمد أحادیث الصحابی أنس من قال : بحصر جمع القرآن علی الأنصار مثل الشعبی[۱۹۶] و محمد بن کعب القرظی[۱۹۷] و ابن کثیر[۱۹۸] و غیرهم[۱۹۹].

و قد أنکر العلماء علی أنس هذا القول و حاول بعضهم توجیهه مثل:

السندی فی حاشیته علی الروایة الأولی فی صحیح البخاری حیث قال:

---

[۱۹۳] (۳۴) صحیح البخاری ۳/ ۱۵۲؛ و البرهان للزرکشی ۱/ ۲۴۱؛ و الاتقان ۱/ ۷۲؛ و تذکرة الحفاظ ۱/ ۲۵.

و قوله: و نحن ورثناه: أی أبا زید.

[۱۹۴] (۳۵) صحیح البخاری ۳/ ۱۵۲ کتاب فضائل القرآن باب القراء من أصحاب النبی(ص) و فیه روایة أخری عن ثمامة عن أنس. طبقات ابن سعد ۲/ ق ۲/ ۱۱۳؛ و تفسیر القرطبی ۱/ ۵۶- ۵۷؛ و البرهان للزرکشی ۱/ ۲۴۱؛ و الاتقان ۱/ ۷۲؛ و عمدة القاری ۲۰/ ۲۶؛ و تذکرة الحفاظ ۱/ ۳۱؛ و سیر أعلام النبلاء ۲/ ۴۳۱.

[۱۹۵] (۳۶) کنز العمال ۲/ ۳۹۰.

[۱۹۶] (۳۷) کنز العمال ۲/ ۳۷۴، الحدیث ۱۹۱۵ و ۱۹۱۶.

[۱۹۷] (۳۷) کنز العمال ۲/ ۳۷۴، الحدیث ۱۹۱۵ و ۱۹۱۶.

[۱۹۸] (۳۹) راجع ترجمة أبی بن کعب و معاذ بن جبل فی تاریخ ابن کثیر ۷/ ۹۷ و ۹۵.

[۱۹۹] (۴۰) راجع ترجمة قیس بن السکن فی الاصابة.

«أی لم یجمعه غیرهم فی علمی، أو من الأوس، و إلّا فقد کان ممن یجمعه إذ ذاک کثیر من الصحابة، کما هو معلوم»[۲۰۰].

و قال القرطبی فی تفسیره:

قال ابن الطّیب (رض): لا تدل هذه الآثار علی أن القرآن لم یحفظه فی حیاة النبی (ص) و لم یجمعه غیر أربعة من الأنصار کما قال أنس بن مالک، فقد ثبت بالطرق المتواترة أنه جمع القرآن عثمان و علیّ و تمیم الداریّ و عبادة بن الصامت و عبد اللّه بن عمرو بن العاص . فقول أنس: لم یجمع القرآن غیر أربعة، یحتمل أنه لم یجمع القرآن و أخذه تلقینا من فی رسول اللّه (ص) غیر تلک الجماعة؛ فإن أکثرهم أخذ بعضه عنه و بعضه عن غیره، و قد تظاهرت الروایات بأن الأئمة الأربعة جمعوا القرآن علی عهد النبی (ص) لأجل سبقهم إلی الإسلام، و إعظام الرسول (ص) لهم[۲۰۱].

و فی البرهان للزرکشی:

و قال الماوردی: و کیف یمکن الإحاطة بأنه لم یکمله سوی أربعة، و الصحابة متفرقون فی البلاد ! و إن لم یکمله سوی أربعة فقد حفظ جمیع أجزائه مئون لا یحصون.

قال الشیخ: و قد سمی الإمام أبو عبید القاسم بن سلام القرّاء من الصحابة فی أول کتاب القراءات له، فسمی عددا کثیرا[۲۰۲].

و فی عمدة القارئ فی شرح صحیح البخاری:

إنّ قصاری الأمر أن أنسا قال جمع القرآن علی عهده (ص) أربعة قد یکون المراد إنی لا أعلم سوی هؤلاء و لا یلزمه أن یعلم کل الحافظین لکتاب اللهّ تعالی[۲۰۳].

و روی فی الاتقان عن البخاری:

و فیه- فی الحدیث الأول- المخالفة لحدیث قتادة من وجهین أحدهما التصریح بصیغة الحصر فی الأربعة و الآخر ذکر أبی الدرداء بدل أبی بن کعب و قد استنکر جماعة من الأئمة الحصر فی الأربعة و قال المازری لا یلزم من قول أنس لم یجمع ه غیرهم أن یکون الواقع فی نفس الأمر کذلک لأن التقدیر أنه لا یعلم أن سواهم جمعه و إلّا فکیف الاحاطة بذلک مع کثرة الصحابة و تفرقهم فی البلاد و هذا لا یتم إلّا إن کان لقی کل واحد منهم علی انفراده و أخبره عن نفسه أنه لم یکمل له جمع فی عهد النبی (ص) و هذا فی غایة البعد فی العادة و إذا کان المرجع إلی ما فی علمه لم یلزم أن یکون الواقع کذلک قال و قد تمسک بقول أنس هذا جماعة من الملاحدة و لا متمسک لهم فیه.

---

[۲۰۰] (۴۱) حاشیة السندی علی صحیح البخاری ط. دار الکتب المصریة سنة ۱۳۲۷ ه ۳/ ۱۵۲، و طبعة الأفست لبنان، دار المعرفة، سنة ۱۳۹۸ ه، ۳/ ۲۲۸.

[۲۰۱] (۴۲) تفسیر القرطبی ۱/ ۵۷.

[۲۰۲] (۴۳) البرهان للزرکشی ۱/ ۲۴۲.

[۲۰۳] (۴۴) عمدة القاری ۲۰/ ۲۷- ۲۸.

و قال القرطبى قد قتل يوم اليمامة سبعون من القراء و قتل فى عهد النبى (ص) ببئر معونة مثل هذا العدد و إنما خص أنس الأربعة بالذكر لشدة

تعلقه بهم دون غيرهم أو لكونهم كانوا فى ذهنه دون غيرهم[٢٠٤].

و يرد على قول أنس بالاضافة إلى ما ذكروا:

إنّ المهاجرين سبقوا الأنصار إلى الإسلام عشر سنوات و أكثر من ذلک أو أقلّ، فكيف لم يكن فيهم مه اجرىّ واحد قد جمع القرآن، و قد كان الصحابة الآتية أسماؤهم ممّن جمع القرآن على عهد النبى (ص):

أ- على بن أبى طالب[٢٠٥].

ب- سعد بن عبيد بن النعمان بن زيد.

ج- أبو الدرداء عويمر بن زيد.

د- أبو زيد ثابت بن زيد بن النعمان.

ه- عبيد بن معاوية بن زيد بن الضحاک.

و- أمّ ورقة بنت عبد اللّه.

*** ينقسم الذين جمعوا القرآن على عهد الرسول إلى صنفين منهم من اشتهروا بذلک و هم من مشاهير الصحابة و فى مقدمتهم الإمام على و فى ما يأتى نورد مثالا بخبر واحد من أخبار من اشتهر بالقراءة و الإقراء من المهاجرين.

جاء فى كنز العمال:

عن زر بن حبيش قال: قرأت القرآن من أوله إلى آخره على على بن أبى طالب، فلما بلغت الحواميم قال : لقد بلغت عرائس القرآن، فلما بلغت رأس ثنتين و عشرين آية من حمعسق وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ فِي رَوْضاتِ

---

[٢٠٤] (۴۵) الاتقان للسيوطى ١/ ٧٢- ٧٣.

[٢٠٥] (۴۶) جاء تفصيل أخذ الامام على القرآن و تفسير القرآن من الرسول فى الجزء الثانى من معالم المدرستين فى بحث أسناد حديثهم إلى جدهم الرس ول(ص) من الفصل الرابع.

الْجَنَّاتِ الآية بكى حتى ارتفع نحيبه، ثم رفع رأسه إلى السماء و قال : يا زرّ أمّن على دعائى، ثم قال : اللّهم إنّى أسألک إخبات المخبتين، و اخلاص الموقنين، و مرافقة الأبرار ...

و قال فى آخر الدعاء:

يا زرّ إذا ختمت فادع بهذه فإنّ حبيبى رسول اللّه (ص) أمرنى أن أدعو بهنّ عند ختم القرآن.

و زرّ بن حبيش أبو مريم أبو مطرف الكوفى مخضرم أدرک الجاهلية. روى عن عمر و عثمان و على و أبى ذر.

قال ابن سعد و ابن معين: كان ثقة كثير الحديث و كان عالما بالقرآن توفى سنة ٨٣ و عمره ١٢٧[٢٠٦].

و هذا الحديث يدل على انّ الإمام عليا كان قد جمع القرآن كلّه على عهد الرسول (ص) أمّا عن ظهر قلب أو مكتوبا فى نسخة و لما علمنا فى ما ذكرناه فى المجلد الثانى من معالم المدرستين و ما سيأتى ذكره فى المجلد الثانى من هذا الكتاب ان الرسول (ص) و الإمام على كانا يجتمعان يوميا و يملى الرسول (ص) عليه ما أوحى إليه خلال تغيب أحدهما عن الآخر فلا بدّ أن يكون الإمام على قد أخذ القرآن من الرسول (ص) و على أى حال فان الحديث يدل على ان الإمام عليا كان يختم القرآن على عهد الرسول (ص)، و ممّن أقرأ القرآن غيره.

و يضاف إلى المشهورين من القرّاء فى الصحابة القرّاء السبعون من أصحاب الرسول (ص) الآتى خبرهم:

خبر القرّاء السبعين من أصحاب رسول اللّه الّذين استشهدوا

قال ابن سعد:

فى صفر على رأس ستة و ثلاثين شهرا من الهجرة قدم عامر بن مالک أبو براء ملاعب الأسنة الكلابى على رسول اللّه (ص)، فأهدى له فلم يقبل منه و عرض عليه الإسلام فلم يسلم و لم يبعد و قال: لو بعثت معى نفرا من أصحابک إلى قومى لرجوت أن يجيبوا دعوتک و يتبعوا أمرک، فقال : إنى أخاف عليهم أهل نجد. فقال: أنا لهم جار إن يعرض لهم أحد. فبعث معه رسول اللّه (ص) سبعين رجلا من الأنصار شبية يسمّون القرّاء و أمّر عليهم المنذر بن عمرو الساعدى، فلمّا نزلوا ببئر معونة، و هو ماء من مياه بنى سليم و هو بين أرض بنى عامر و أرض بنى سليم، كلا البلدين يعدّ منه و هو بناحية المعدن، نزلوا عليها و عسكروا بها و سرحوا ظهرهم و قدّموا حرام بن ملحان بكتاب رسول اللّه (ص)، إلى عامر ابن الطفيل فوثب على حرام فقتله و استصرخ عليهم بنى عامر فأبوا و قالوا:

---

[٢٠٦] (٤٧) كنز العمال ٢/ ٣٥١، رقم الحديث ٤٢٢١؛ و ذكر سنة وفاته بترجمته من الاصابة ٢/ ٥٦٠؛ و تهذيب التهذيب ٣/ ٣٢١؛ و حلية الأولياء لأبى نعيم ٤/ ١٨١.

و زرّ: بكسر الزاى و تشديد الراء.

لا يخفر جوار أبى براء، فاستصرخ عليهم قبائل من سليم عصيّة و رعلا و ذكوان فنفروا معه و رأسوه . و استبطأ المسلمون حراما فأقبلوا فى أثره فلقيهم القوم فأحاطوا بهم فكاثروهم فتقاتلوا فقتل أصحاب رسول اللّه (ص)، و فيهم سليم ابن ملحان و الحكم بن كيسان فى سبعين رجلا، فلمّا أحيط بهم قالوا : اللهمّ إنّا لا نجد من يبلغ رسولک منّا السلام غيرک فأقرئه منّا السلام. فأخبره جبرائيل (ع) بذلک فقال: و عليهم السلام؛ و بقى المنذر بن عمرو فقالوا: إن شئت آمناک، فأبى و أتى مصرع حرام فقاتلهم حتى قتل؛ و كان معهم عمرو بن أميّة الضمرى فقتلوا جميعا غيره، فقال عامر بن الطّفيل : قد كان على أمىّ نسمة فأنت حرّ عنها، و جزّ ناصيته . و فقد عمرو بن أميّة عامر ابن فهيرة من بين القتلى فسأل عنه عامر بن الطّفيل فقال: قتله رجل من بنى كلاب يقال له

ص: ۱۸۴

جبّار بن سلمى، لمّا طعنه قال: فزت و اللّه![۲۰۷].

و فى صحيح البخارى:

قال أنس: كنّا نسميهم القراء يحطبون بالنهار و يصلون بالليل[۲۰۸].

و جاء أكثر تفصيلا فى طبقات ابن سعد حيث قال:

جاء ناس إلى النبىّ (ص) فقالوا: ابعث معنا رجالا يعلّمونا القرآن و السنّة . فبعث إليهم سبعين رجلا من الأنصار يقال لهم القرّاء فيهم خالى حرام، كانوا يقرءون القرآن و يتدارسون بالليل و يتعلّمون، و كانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه بالمسجد و يحتطبون فيبيعونه و يشترون به الطعام لأ هل الصفة و الفقراء فبعثهم النبىّ (ص) إليهم فعرضوا لهم فقتلوهم قبل أن يبلغوا المكان ... الحديث[۲۰۹].

و من القرّاء من لم يشتهر فى عداد قراء الصحابة مثل:

أ- عبد اللّه بن عمرو بن العاص.

جاء فى كنز العمال : عن عبد اللّه بن عمرو قال : جمعت القرآن، فقرأت به فى ليلة، فقال رسول اللّه (ص): اقرأه فى شهر، قلت يا رسول اللّه دعنى أستمتع من قوتى و شبابى، قال : اقرأه فى عشرين، قلت يا رسول اللّه دعنى أستمتع من قوتى و شبابى، قال: اقرأه فى عشر، قلت يا رسول اللّه دعنى أستمتع من قوتى و شبابى، قال : اقرأه فى سبع ليال، قلت يا رسول اللّه دعنى أستمتع من قوتى و شبابى فأبى[۲۱۰].

ب و ج- ابن أم عبد- عبد اللّه بن مسعود و سالم مولى أبى حذيفة

---

[۲۰۷] (۴۸) طبقات ابن سعد ۲/ ۵۱- ۵۲.

[۲۰۸] (۴۹) صحيح البخارى ۲/ ۱۲۱، كتاب الجهاد و السير، باب العون بالمدد.

[۲۰۹] (۵۰) طبقات ابن سعد ۲/ ۳.

[۲۱۰] (۵۱) كنز العمال ۲/ ۳۵۱، رقم الحديث ۴۲۲۱.

ص: ۱۸۵

روی عن عبد اللّه بن عمرو قال: سمعت رسول اللّه (ص) یقول خذوا القرآن من أربعة من ابن أم عبد و بدأ به و من أبی بن کعب و من سالم مولی أبی حذیفة و من معاذ بن جبل[۲۱۱].

و هذا الحدیث یدلّ علی انّ هؤلاء الأربعة أما أن یکون کل واحد منهم قد جمع القرآن عن ظهر قلب و لاطمئنان الرسول (ص) بذلک یهدی المسلمین أن یأخذوا القرآن منهم أو أن یکون لدی کل واحد منهم نسخة کاملة من القرآن الکریم و دلالة الحدیث علی الأمر الثانی أقوی و أهمّ.

د- ه- و- ز- ح- ط: أبیّ بن کعب و زید بن ثابت و عثمان بن عفّان و تمیم الداریّ و معاذ بن جبل و أبو الدرداء لما جاء فی طبقات ابن سعد[۲۱۲]، باب ذکر من جمع القرآن علی عهد رسول اللّه (ص):

أولا- عن محمد بن سیرین قال: جمع القرآن علی عهد النبی (ص)، أبیّ ابن کعب و زید بن ثابت و عثمان بن عفّان و تمیم الداریّ[۲۱۳].

ثانیا- عن عامر الشعبی قال: جمع القرآن علی عهد رسول اللّه (ص)، ستّة رهط من الأنصار: معاذ بن جبل و أبی بن کعب و زید بن ثابت و أبو الدرداء و أبو زید و سعد بن عبید، قال : قد کان بقی علی المجمّع بن جاریة سورة أو سورتان حین قبض النبیّ[۲۱۴].

ص: ۱۸۶

و جاء فیه- أیضا- عن الشعبی:

قال: جمع القرآن علی عهد رسول اللّه (ص)، ستّة نفر: أبیّ بن کعب و معاذ بن جبل و أبو الدرداء و زید بن ثابت و سعد و أبو زید. قال: و کان مجمّع ابن جاریة قد جمع القرآن إلّا سورتین أو ثلاثا، و کان ابن مسعود قد أخذ بضعا و تسعین سورة و تعلّم بقیّة القرآن من مجمّع.

ی- ثابت بن زید بن قیس بن زید الخزرجی الحارثی و یکنی أبا زید أخبرنا أبو زید الأنصاری البصری النحوی و اسمه سعید بن أوس بن ثابت بن بشیر بن أبی زید قال : و ثابت بن زید بن قیس هو جدّی، و قد شهد أحدا و هو أحد الستّة

---

[۲۱۱] (۵۲) راجع ترجمته فی الاستیعاب ۱/ ۳۶۰ و ۲/ ۵۶۲، و أسد الغابة ۲/ ۳۰۷؛ و الاتقان للسیوطی ۱/ ۷۲.

[۲۱۲] (۵۳) طبقات ابن سعد ۲/ ۳۵۵.

[۲۱۳] (۵۴) محمد بن سیرین الأنصاری، أبو بکر بن أبی عمرة، البصری، ثقة، ثبت عابد، کبیر القدر، کان لا یری الروایة بالمعنی، من الثالثة- الطبقة الوسطی من التابعین، مات سنة عشر و مائة(تقریب التهذیب ۲/ ۱۶۹).

[۲۱۴] (۵۵) عامر بن شراحیل الشعبی : أبو عمرو، ثقة، مشهور، فقیه فاضل، من الثالثة- الطبقة الوسطی من التابعین- قال مکحول: ما رأیت أفقه منه، مات بعد المائة، و له نحو من ثمانین(تقریب التهذیب ۱/ ۳۸۷).

الذين جمعوا القرآن على عهد رسول اللّه (ص) و كان قد نزل البصرة و اختطّ بها، ثمّ قدم المدينة فمات بها فى خلافة عمر بن الخطاب فوقف عمر على قبره فقال: رحمک اللّه أبا زيد، لقد دفن اليوم أعظم أهل الأرض أمانة[٢١٥].

و موجز الخبر بترجمته فى الاصابة ١/ ٢٢٠ و فى أسد الغابة ١/ ٢٦٩:

و هذا غير أبو زيد الذى جاء اسمه فى رواية أنس و الذى جمع القرآن على عهد النبى (ص) اختلفوا فى اسمه و قد رجعنا فى ترجمته إلى الاصابة حيث قال:

(أبو زيد) الذى جمع القرآن- وقع فى حديث أنس فى صحيح البخارى غير مسمى و قال أنس هو أحد عمومتى و اختلفوا فى اسمه فقيل أوس و قيل ثابت بن زيد و قيل معاذ و قيل سعد بن عبيد و قيل قيس بن السكن و هذا هو الراجح كما بينته فى حرف القاف.

و قال فى حرف القاف ما موجزه.

ص: ١٨٧

(قيس) بن السكن بن زعوراء و قيل بن السكن و زعوراء قيس آخر الأنصارى- ذكره موسى بن عقبة فيمن شهد بدرا.

و فى صحيح البخارى عن أنس فى تسمية من جمع القرآن أبو زيد قال أنس هو أحد عمومتى و قد أخرجه أبو نعيم فى المستخرج عن البخارى و ابن حبان و ابن السكن و ابن منده من الوجه الذى أخرجه منه البخارى و زادوا أن اسمه قيس بن السكن و كان من بنى عدى بن النجار و مات و لم يدع عقبا قال أنس فورثناه.

و انما قلنا ان أبا زيد الثانى غير أبى زيد الأول لأنّ الأول كان له عقب بالبصرة و توفى فى خلافة عمر بن ال خطاب و أبو زيد الثانى و المستخرج ترجمته من رواية أنس قال عنه استشهد ببدر و نحن ورثناه و هذا الصحابى لم نجد له ذكرا فى غير روايات أنس و على ذلک يسوغ لنا أن نعده من الصحابة المختلقين.

تراجم القرّاء من الصحابة

[٢١٦] و نبدأ بذكر تراجم من وجدنا أسماءهم ممن استشهد منهم يوم بئر معونة:

أ- أميرهم: المنذر بن عمرو الساعدى الخزرجى كان يكتب بالعربية قبل الإسلام و كان أحد النقباء الاثنى عشر فى بيعة العقبة الثانية أمّره رسول اللّه (ص) على أصحاب بئر معونة فاستشهد كما ذكرناه (طبقات ابن سعد ٣/ ٥٥٥).

ب- أبو شيخ أبى بن ثابت بن المنذر من بنى النجار شهد بدرا و أحدا و استشهد يوم بئر معونة (طبقات ابن سعد ٣/ ٥٠٤).

ج و د- أنس و أبى ابنى معاذ بن أنس من بنى ساعدة

---

[٢١٥] (٥٦) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٧.

[٢١٦] (٥٧) اقتصرنا فى إيراد تراجم القراء من الصحابة على إيراد تراجم غير المشهورين من الصحابة و لا حاجة لا يراد تراجم القرّاء المشهورين م ثل الخلفاء.

من الأنصار، شهد أنس بدرا و أحدا و شهد معه أحدا أخوه أبی و شهدا- أیضا- بئر معونة و استشهدا فی المعرکة (طبقات ابن سعد ۳/ ۵۰۲).

ه- أبو سعد الحارث بن الصمّة من بنی النجار کان ممن خرج مع رسول اللّه (ص) إلی بدر فکسر بالروحاء فردّه الرسول (ص) و ضرب له بسهمه و أجره، شهد أحدا و استشهد فی بئر معونة (الاستیعاب بهامش الاصابة ۲/ ۲۹۸؛ و أسد الغابة ۱/ ۳۳۳- ۳۳۴؛ و الاصابة ۲/ ۲۸۰؛ و طبقات ابن سعد ۳/ ۵۰۸- ۵۰۹).

و و ز- سلیم و حرام ابنی ملحان الخزرجی من بنی النجار خالا أنس بن مالک، استشهدا فی المعرکة، جاء رجل خلف حرام فطعنه برمح فقال حرام فزت و ربّ الکعبة (طبقات ابن سعد ۳/ ۵۱۴- ۵۱۵؛ و أسد الغابة ۱/ ۲۹۵ و ۲/ ۳۵۰).

ح- عروة بن أسماء بن الصلت السلمی حلیف لبنی عمرو بن عوف من الأنصار، حرص المشرکون بعروة أن یؤمنوه فأبی و قال: لا أقبل لکم أمانا و لا أرغب بنفسی عن مصرع أصحابی و قاتل حتی استشهد (طبقات ابن سعد ۴/ ۳۷۷- ۳۷۸).

ط و ی- مالک و سفیان ابنا ثابت قال ابن سعد : و هما من النبیت من الأنصار ذکرهما محمد بن عمر فی کتابه فی من استشهد یوم بئر معونة ... و قال ابن حجر مالک بن ثابت الأنصاری الأوسی من بنی النبیت و قال الواقدی : قتل یوم بئر معونة (طبقات ابن سعد ۴/ ۳۷۱؛ و الاصابة ۳/ ۳۲۱).

ک- مسعود بن سعد بن قیس من بنی زریق شهد بدرا و أحدا و یوم بئر معونة و قتل یومئذ شهیدا (طبقات ابن سعد ۳/ ۵۹۶).

ل- معاذ بن ماعض الأنصاری الزرقی

الثبت انه شهد بدرا و أحدا و بئر معونة و قتل یومئذ شهیدا (طبقات ابن سعد ۳/ ۵۹۶؛ و راجع الاصابة ۳/ ۴۰۹).

م- المنذر بن محمد بن عقبة الخزرجی قتل یوم بدر شهیدا و لا عقب له (طبقات ابن سعد ۳/ ۴۷۳؛ و راجع ترجمته فی الاصابة).

و من حلفاء الأنصار کان:

ن- عامر بن فهیرة مولی الخلیفة أبی بکر أسلم بمکة قبل أن یدخل رسول اللّه (ص) دار الأرقم و یدعو فیها و کان من المستضعفین بمکة و عذب لیترک دینه فلما هاجر إلی المدینة آخی الرسول (ص) بینه و بین الحارث بن أوس. قتل فی بئر معونة و لم یوجد جسده حین دفن و کانوا یرون إن الملائکة هی التی دفنته (طبقات ابن سعد ۳/ ۲۳۰- ۲۳۱؛ و راجع ترجمته فی الاصابة).

و كان من ضمنهم من غير الأنصار:

س- الحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة والد أبى جهل و أسر فى غير قريش التى أصابها عبد اللّه بن جحش بنخلة فى أول سرية بعثها رسول اللّه (ص) أسره المقداد بن عمرو و أراد أمير السرية أن يضرب عنقه، فقال له المقداد دعه نقدم به على رسول اللّه (ص) فلما قدموا عليه جعل رسول اللّه (ص) يدعوه إلى الإسلام، فأطال، فقال عمر: علام تكلّم هذا يا رسول اللّه؟ و اللّه لا يسلم هذا آخر الأبد، دعنى أضرب عنقه و يقدم إلى أمّه الهاوية. فجعل النبى (ص) لا يقبل على عمر حتى أسلم الحكم فقال عمر: فما هو إلّا أن رأيته قد أسلم حتى أخذنى ما تقدم و ما تأخر و قلت:

كيف أردّ على النبىّ (ص)، أمرا هو أعلم به منى ثمّ أقول إنّما أردت بذلک النصيحة للّه و لرسوله؟ فقال عمر: فأسلم و اللّه فحسن إسلامه و جاهد فى اللّه

ص: ۱۹۰

حتى قتل شهيدا ببئر معونة، و رسول اللّه (ص) راض عنه و دخل الجنان (طبقات ابن سعد ۴/ ۱۳۷؛ و الاصابة ۱/ ۳۴۹).

ع- نافع بن بديل بن ورقاء الخزاعى شهد بئر معونة و استشهد فقال ابن رواحة ينعى نافعا:

رحم اللّه نافع بن بديل رحمة المبتغين ثواب الجهاد

(طبقات ابن سعد ۴/ ۲۹۴؛ و الاصابة ۳/ ۵۱۴).

ف- عبد اللّه بن قيس بن صرمة بن أبى أنس استشهد يوم بئر معونة (الاستيعاب ۱/ ۳۸۰).

و نجى منهم:

ص- عمرو بن أميّة بن خويلد من بنى عبد مناة بن كنانة أسرته بنو عامر و قال له عامر بن الطفيل- رئيس المشركين- انه كان على أمىّ نسمة فأنت حرّ عنها و حزّ ناصيته فقدم المدينة و أخبر رسول اللّه (ص) بقتل من قتل فسرّ رسول اللّه (ص) بقدومه و دعا له بخير (طبقات ابن سعد ۴/ ۲۴۸- ۲۴۹؛ و اختصر ترجمته فى الاصابة).

*** كان ذلكم ما وجدنا من تراجم السبعين من القراء فى يوم بئر معونة و فى ما يأتى تراجم غيرهم من قراء الصحابة:

۱- أبو الطفيل و أبو المنذر أبى بن كع ب بن قيس الخزرجى من بنى النجار شهد بيعة العقبة و بدرا و المشاهد كلها مع رسول اللّه (ص).

و بترجمته فى طبقات ابن سعد (۲/ ۴۹۸- ۵۰۲) و تاريخ ابن عساكر و تهذيبه و مختصره (۴/ ۱۹۷- ۲۰۴) ما موجزه:

كان أبى بن كعب يكتب فى الجاهلية قبل الإسلام و كتب الوحى لرسول اللّه (ص) و قرأ القرآن عليه و قال للخليفة عمر : إنى تلقيت القرآن ممّن تلقا

ص: ۱۹۱

من جبرائيل و هو رطب.

و فى طبقات ابن سعد عن أبىّ أنّه كان يختم القرآن فى ثمانى ليالى و كان تميم الدارى يختمه فى سبع.

و فى تاريخ ابن عساكر خطب عمر فقال:

من كان يريد أن يسأل عن القرآن فليأت أبىّ بن كعب، و من كان يريد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل، و من كان يريد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت، و من كان يريد أن يسأل عن المال فليأتنى، فإنّ اللّه جعلنى له خازنا و قاسما ... الحديث.

و رويا بسندهما عن جندب بن عبد اللّه البجلى ما موجزه:

قال: أتيت المدينة ابتغاء العلم، و إذا النّاس فى مسجد رسول اللّه (ص) حلق حلق يتحدثون؛ قال : فجعلت أمضى الحلق حتى أتيت حلقة فيها رجل شاحب، عليه ثوبان كأنّما قدم من سفر، فسمعته يقول: هلك أصحاب العقدة و ربّ الكعبة، و لا آسى عليهم، قالها ثلاث مرّات؛ قال : فجلست إليه فتحدث بما قضى له، ثم قام، فلما قام سألت عنه، قلت : من هذا؟ قالوا: هذا أبىّ بن كعب سيّد المسلمين؛ فتبعته حتى أتى منزله، فإذا هو رثّ المنزل، و رثّ الكسوة يشبه بعضه بعضا، فسلمت عليه، فردّ علىّ السّلام، ثم سألنى : من أنت؟ قلت : من أهل العراق؛ قال : أكثر شىء سؤالا! قال: فلما قال ذاک غضبت فجثوت على ركبتىّ، و استقبلت القبلة، و رفعت يدى، فقلت : اللّهم إنّا نشكوهم إليک، إنّا ننفق نفقاتنا، و ننصب أبداننا، و نرحل مطايانا ابتغاء العلم، فإذا لقيناهم تجهّمونا و قالوا لنا؛ قال : فبكى أبىّ، و جعل يترضانى، و قال : ويحک، لم أذهب هناک؛ ثم قال: إنّى أعاهدک لئن أبقيتنى إلى يوم الجمعة لأتكلمن بما سمعت من رسول اللّه (ص) و لا أخاف فيه لومة لائم؛ ثم أراه قام، فلمّا قال ذلک انصرفت عنه و جعلت انتظر الجمعة لأسمع كلامه؛ قال : فلمّا كان يوم الخميس خرجت لبعض حاجاتى فإذا السكک غاصّة من الناس لا آخذ فى سكّة إلّا تلقانى الناس. فقلت

ص: ۱۹۲

ما شأن الناس قالوا: نحسبک غريبا قلت: أجل قالوا: مات سيد المسلمين أبى بن كعب.

قال: فلقيت أبا موسى بالعراق فحدثته بالحديث، فقال: وا لهفاه! أ لا كان بقى حتى يبلّغنا مقالة رسول اللّه (ص) انتهى.

لست أدرى: هل اغتيل أبىّ بن كعب من قبل أهل العقدة كى لا يفشى سرّهم؟! اختلفوا فى سنة وفاته فقالوا كان فى سنة ۱۹ و ۲۰ و ۲۲ و ۲۳ راجع ترجمته فى طبقات ابن سعد و الاستيعاب و أسد الغابة و الاصابة.

۲- أمّ ورقة بنت عبد اللّه نسبت إلى جدّها الأعلى نوفل الأنصارى، قالوا فى ترجمتها بأسد الغابة:

ان رسول اللّه (ص) لما غزا بدرا قالت له ائذن لی فأخرج معک فامرض مرضاکم لعل اللّه یرزقنی الشهادة قال قری فی بیتک فان اللّه یرزقک الشهادة قال فکانت تسمی الشهیدة قال و کانت قد قرأت القرآن فاستأذنت النبی (ص) فی أن تتخذ فی دارها مؤذنا فأذن لها قال و کانت قد دبرت غلاما لها و جاریة فقاما إلیها باللیل فغمیاها بقطیفة لها حتی ماتت و ذهبا فأصبح عمر فقام فی الناس فقال من عنده من هذین علم أو من رآهما فلیجئ بهما فأمر بهما فصلبا فکان ا أوّل مصلوب بالمدینة فقال عمر: صدق رسول اللّه (ص) حین کان یقول انطلقوا بنا نزور الشهیدة.

۳- تمیم بن أوس الداری کان راهب أهل فلسطین ثم سکن المدینة علی عهد النبی و أسلم سنة تسع من الهجرة و قصّ علی عهد الخلیفتین عمر و عثمان فی مسجد الرسول (ص) و فی ترجمته بتا ریخ ابن عساکر و تهذیبه و مختصره (۵/ ۳۱۹): انه کان ممن جمع القرآن علی عهد رسول اللّه (ص) و کان یختم القرآن فی سبع لیال و انّ رجلا أتی تمیم الداری فتحدث إلیه حتی استأنس إلیه فقال

له:

کم جزءا تقرأ القرآن فی لیلة؟ فغضب و قال: لعلک من الذین یقرأ أحدهم القرآن فی لیلة ثم یصبح فیقول : قد قرأت القرآن فی هذه اللیلة؟ فو الذی نفس تمیم بیده لأن أصلی ثلاث رکعات نافلة أحب إلیّ من أن أقرأ القرآن فی لیلة ثم أصبح فأقول: قرأت القرآن اللیلة. قال: فلما أغضبنی قلت: و اللّه إنکم معاشر صحابة رسول اللّه (ص)- من بقی منکم- لجدیرون أن تسکتوا فلا تعلّموا و أن تعنّفوا من سألکم! فلما رآنی قد غضبت لان و قال: أ لا أحدثک یا ابن أخی؟ قلت:

بلی، و اللّه ما جئتک إلّا لتحدثنی؛ قال: أ رأیت إن کنت أنا مؤمنا قویا، و أنت مؤمن ضعیف . فتحمل قولی علی ضعفک فلا تستطیع، فتنبت، أو رأیت إن کنت مؤمنا قویا و أنا مؤمن ضعیف أتیتک ببساطی حتی أحمل قوتک علی ضعفی فلا أستطیع فأنبت؟ و لکن خذ من نفسک لدینک أو من دینک لنفسک حتی یستقیم بک الأمر علی عبادة تطیقها.

۴- زید بن ثابت بن الضحاک الأنصاری الخزرجی النّجّاری بترجمته من مختصر تاریخ دمشق لابن منظور و طبقات ابن سعد ما موجزه:

قال زید: قدم النبی المدینة و أنا ابن احدی عشرة سنة و قرأت علیه سبع عشرة سورة فأعجبه ذلک فقال : یا زید تعلّم لی کتاب یهود فتعلّمته و کنت أکتب له إذا کتب إلیهم و إذا کتبوا إلیه أقرأه.

و فی مختصر تاریخ دمشق:

قال: و کانت رایة بنی مالک بن النجار فی تبوک مع عمارة بن حزم، فأدرکه رسول اللّه (ص) فأخذها منه، فدفعها إلی زید بن ثابت، فقال عمارة: یا رسول اللّه، بلغک عنی شیء؟ قال: لا و لکن القرآن یقدّم، و کان زید أکثر أخذا منک للقرآن.

و فی حدیث آخر بمعناه: و القرآن یقدم و إن کان عبدا أسود مجدعا.

و عن أبی سعید قال:

لما توفی رسول اللّه (ص) قام خطباء الأنصار، فجعل بعضهم یقول:

یا معشر المهاجرین إن رسول اللّه (ص) کان إذا بعث رجلا منکم قرنه برجل منا، فنحن نری أن یلی هذا الأمر رجلان : رجل منکم، و رجل منا، فقام زید بن ثابت فقال: إنّ رسول اللّه (ص) کان من المهاجرین، و کنا أنصار رسول اللّه (ص)، و إنما یکون الإمام من المهاجرین، و نحن أنصاره کما کنا أنصار رسول اللّه (ص). فقال أبو بکر: جزاکم اللّه خیرا من حیّ یا معشر الأنصار، و ثبّت قائلکم، و اللّه لو قلتم غیر هذا ما صالحناکم.

و فیه و فی صحیح البخاری باب جمع القرآن من کتاب فضائل القرآن:

(إنّ زید بن ثابت (رض) قال: أرسل إلی أبو بکر بعد مقتل أهل الیمامة) (قال زید: قال أبو بکر: إنّک رجل شاب عاقل لا نتهمک و قد کنت تکتب الوحی لرسول اللّه (ص) فتتبّع القرآن فاجمعه).

فکانت الصحف عند أبی بکر حتی توفاه اللّه ثم عند عمر حیاته ثم عند حفصة بنت عمر.

(فأرسل عثمان إلی حفصة أن أرسلی إلینا بالصحف ننسخها فی المصاحف ثمّ نردها إلیک فأرسلت بها حفصة إلی عثمان فأمر زید بن ثابت و ... فنسخوها فی المصاحف) (و أرسل إلی کل أفق بمصحف ممّا نسخوا و أمر بما سواه من القرآن فی کل صحیفة أو مصحف أن یحرق)[۲۱۷].

و فی مختصر تاریخ ابن عساکر:

کان عمر یستخلف زید بن ثابت فی کل سفر- أو کل سفر یسافره- و کان یفرّق الناس فی البلدان، و یوجهه فی الأمور المهمة، و یطلب إلیه الرجال المسمون، فیقال له: زید بن ثابت. فیقول: لم یسقط علی مکان زید، و لکن أهل

البلد یحتاجون إلی زید فیما یجدون عنده فیما یحدث لهم ما لا یجدون عند غیره.

یعنی انه یعلم بمکان زید و لکن أهل المدینة یحتاجونه و لا یجدون ما عنده من العلم عند غیره.

و قال:

استعمل عمر بن الخطاب زید بن ثابت علی القضاء، و فرض له رزقا.

و قال:

---

[۲۱۷] (۵۸) صحیح البخاری ۳/ ۱۵۰- ۱۵۱.

إنّ عمر بن الخطاب (رض) كان يستخلف زيد بن ثابت إذا خرج إلى بعض أسفاره، فقلما رجع إلّا أقطع زيدا حديقة من نخل.

و قال:

كان مع عمر بن الخطاب لما قدم الشام و خطب بالجابية عند خروجه لفتح بيت المقدس، و هو الذى تولّى قسمة غنائم اليرموک.

و قال:

ما كان عمر و عثمان يقدمان على زيد بن ثابت أحدا فى القضاء، و الفتوى، و الفرائض، و القراءة.

و قال:

لما ردّ عبد اللّه بن الأرقم المفتاح استخزن عثمان زيد بن ثابت[٢١٨].

كان بنو عمرو بن عوف قد أجلبوا على ع ثمان، و كان زيد بن ثابت يذبّ عنه، فقال له قائل منهم : و ما يمنعک!؟ ما أقلّ و اللّه من الخزرج من له من عضدان العجوة ما لک ! قال: فقال له زيد بن ثابت : اشتريت بمالى، و قطع لى إمامى عمر بن الخطاب، و قطع لى إمامى عثمان بن عفان.

ص: ١٩۶

فقال له ذلک الرجل: أعطاک عمر بن الخطاب عشرين ألف دينار؟ قال:

لا، و لكن عمر كان يستخلفنى على المدينة، فو اللّه ما رجع من مغيب قط إلّا قطع لى حديقة من نخل.

و لما حصر عثمان أتاه زيد بن ثابت، فدخل عليه الدار، فقال له عثمان:

أنت خارج أنفع لى منک هاهنا، فذبّ عنى. فخرج، فكان يذبّ الناس، و يقول لهم فيه، حتى رجع لقوله أناس من الأنصار، و جعل يقول: يا للأنصار! كونوا أنصار اللّه- مرتين- انصروه، و اللّه إن دمه لحرام . فجاء أبو حبّة المازنى مع ناس من الأنصار، فقال: ما يصلح لنا معک أمر، فكان بينهما كلام، ثم أخذ تلبيب زيد ابن ثابت هو و أناس معه، فمرّ به ناس من الأنصار، فلما رأوهم أرسلوه. توفى بالمدينة سنة ۴۵ أو ۴۸ أو ۵۵.

۵- سالم مولى أبى حذيفة القرشى العبشمى بترجمته فى أسد الغابة : (كان من أهل فارس من اصطخر) (و هو معدود فى المهاجرين لأنّه لما أعتقته ثبيتة الأنصاريّة زوج أبى حذيفة) (تبناه أبو حذيفة) (و هو معدود فى الأنصار لعتق مولاته) (و هو معدود فى قريش لما ذكرناه).

---

[٢١٨] (۵٩) بالاضافة إلى مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر راجع تراجمه فى طبقات ابن سعد و الاستيعاب و أسد الغابة و الاصابة.

و بترجمته فی طبقات ابن سعد (۳/ ۸۷- ۸۸):

(أقبل سالم مولی أبی حذیفة یؤم المهاجرین من مکة حتی قدم المدینة لانه کان أقرأهم) (کان سالم مولی أبی حذیفة یؤم المهاجرین بقباء فیهم عمر ابن الخطاب قبل أن یقدم رسول اللّه (ص)).

آخی رسول اللّه (ص) بینه و بین أبی عبیدة بن الجرّاح و بینه و بین معاذ ابن ماعص الأنصاری.

و بترجمته فی أسد الغابة (۲/ ۳۰۷) و الاصابة (۳/ ۵۷):

إنّه قیل له یوم الیمامة فی اللواء أن یحفظه و قال غیره: نخشی من نفسک شیئا فنولّی اللواء غیرک فقال بئس حامل القرآن أنا إذا و قاتل حتی قتل.

ص: ۱۹۷

۶- سعد أو سعید الملقّب بالقارئ ابن عبید بن النعمان الأنصاری، الأوسی، و کان یدعی فی زمن النبی بالقارئ و هو أوّل من جمع القرآن من الأنصار و کان إمام مسجد عمرو بن عوف فلما قتل بالقادسیة سنة خمس عشرة اختصموا فی الامامة إلی عمر بن الخطاب (طبقات ابن سعد ۲/ ۳۵۵ و ۴/ ۳۷۲؛ و أسد الغابة ۲/ ۳۵۹- ۳۶۰ بترجمة سعد و سعید؛ و الاستیعاب ص ۵۵۰).

۷- عبادة بن صامت أبو الولید الخزرجی بایع رسول اللّه (ص) فی بیعة العقبة الأولی و فی الثانیة جعله رسول اللّه (ص) من النقباء الاثنی عشر شهد بدرا و المشاهد کلّها مع رسول اللّه (ص)[۲۱۹].

کان ممّن جمع القرآن علی عهد رسول اللّه (ص)[۲۲۰].

و یعلّم أهل الصفة القرآن[۲۲۱].

و بترجمة أبی الدرداء، عویمر بتاریخ ابن عساکر و مختصره (۱۹/ ۱۹- ۲۰) ما موجزه:

فی زمان الخلیفة عمر کتب إلیه یزید بن أبی سفیان و الیه علی الشام: إنّ أهل الشام قد کثروا و ربلوا[۲۲۲] و ملئوا المدائن، و احتاجوا إلی من یعلمهم القرآن و یفقههم؛ فأعنی یا أمیر المؤمنین برجال یعلمونهم فأرسل إلی الشام معاذ و عبادة و أبو الدرداء و قال لهم: ابدءوا بحمص، فإنکم ستجدون الناس علی

ص: ۱۹۸

---

[۲۱۹] (۶۰) بترجمته فی مختصر تاریخ دمشق.

[۲۲۰] (۶۱) فی باب من جمع القرآن علی عهد رسول اللّه(ص) بطبقات ابن سعد ۲/ ۳۵۶، و بترجمته من الاصابة عن طبقات ابن سعد و تاریخ البخاری.

[۲۲۱] (۶۲) بترجمته فی أسد الغابة.

[۲۲۲] (۶۳) ربلوا: کثر عددهم و نموا.

وجوه مختلفة، منهم من يلقن [۲۲۳]، فإذا رأيتم ذلک فوجّهوا طائفة من الناس، فإذا رضيتم منهم، فليقم بها واحد و ليخرج واحد إلى دمشق و الآخر إلى فلسطين.

فقدموا حمص فكانوا بها، حتى إذا رضوا من الناس أقام بها عبادة و خرج أبو الدرداء إلى دمشق، و معاذ إلى فلسطين؛ و أمّا عبادة فصار بعد إلى فلسطين فمات بها؛ و أمّا أبو الدرداء فلم يزل بدمشق حتى مات.

و لما توفى يزيد و ولى الشام أخوه معاوية بن أبى سفيان جرى بين عبادة و معاوية ما جاء بتر جمته فى تاريخ ابن عساكر و مختصره (۱۱/ ۳۰۶- ۳۰۷) فرجع إلى المدينة فأعاده عمر إلى محل عمله و لما استخلف عثمان جرى بينه و بين معاوية- أيضا- ما جاء بترجمته و قالوا توفى سنة ۳۴.

۸- عبد اللّه بن عمرو بن العاص القرشى السهمى مرّ بنا الدليل على كونه من القرّاء على عهد رسول اللّه (ص) و له خبر مع الإمام الحسين (ع) ذكره ابن الأثير بترجمته من أسد الغابة بسنده عن إسماعيل بن رجاء، عن أبيه قال : «كنت فى مسجد الرسول (ص)، فى حلقة فيها أبو سعيد الخدرى و عبد اللّه بن عمرو، فمر بنا حسين بن على، فسلم، فرد القوم السلام، فسكت عبد ا للّه حتى فرغوا، رفع صوته و قال : و عليک السلام و رحمة اللّه و بركاته . ثم أقبل على القوم فقال : أ لا أخبركم بأحب أهل الأرض إلى أهل السماء؟ قالوا : بلى. قال: هو هذا الماشى، ما كلمنى كلمة منذ ليالى صفين، و لأن يرضى عنى أحبّ إلىّ من أن يكون لى حمر النّعم . فقال أبو سعيد: أ لا تعتذر إليه؟ قال : بلى. قال: فتواعدا أن يغدوا إليه . قال: فغدوت معهما، فاستأذن أبو سعيد، فأذن له، فدخل، ثم استأذن لعبد اللّه، فلم يزل به حتى أذن له، فلما دخل قال أبو سعيد: يا ابن رسول اللّه، إنک لمّا مررت بنا أمس ... فأخبره بالذى كان من قول عبد اللّه بن عمرو، فقال حسين: أعلمت يا عبد اللّه أنى أحب أهل

الأرض إلى أهل السماء؟ قال: إى و رب الكعبة! قال: فما حملک على أن قاتلتنى و أبى يوم صفين؟ فو اللّه لأبى كان خيرا منى. قال: أجل، و لكن عمرو شكانى إلى رسول ا للّه (ص). فقال: يا رسول اللّه، إن عبد اللّه يقوم الليل و يصوم النهار، فقال لى رسول اللّه (ص): يا عبد اللّه، صلّ و نم و صم و أفطر، و أطع عمرا. قال: فلما كان يوم صفين أقسم علىّ فخرجت، أما و اللّه ما اخترطت سيفا، و لا طعنت برمح، و لا رميت بسهم. قال: فكانه» و قال:

و توفى عبد اللّه سنة ثلاث و ستين، و قيل: سنة خمس و ستين بمصر.

و قيل: سنة سبع و ستين بمكة. و قيل: توفى سنة خمس و خمسين بالطائف. و قيل:

سنة ثمان و ستين. و قيل: سنة ثلاث و سبعين. و كان عمره اثنتين و سبعين سنة.

و قيل: اثنتان و تسعون سنة [۲۲۴].

---

[۲۲۳] (۶۴) يلقن: يفهم بسرعة.

[۲۲۴] (۶۵) أسد الغابة ۳/ ۳۵۱.

۹- أبو موسى عبد اللّه بن قيس الأشعرى بترجمته من أسد الغابة ما موجزه:

ركب من اليمن مع جماعة من قومه فى سفينة للهجرة إلى المدينة فألقتهم الريح إلى الحبشة فوافقوا خروج جعفر بن أبى طالب و أصحابه منها و قدمت السفينتان معا، سفينة جعفر و سفينة الأشعريين على النبى (ص) حين فتح خيبر.

و فى ترجمته بمختصر تاريخ ابن عساكر فأطعمهم النبى (ص) طعمة يقال لها: طعمة الأشعريين.

و اتفقت الروايات فى تراجمه انّه كان حسن الصوت بالقرآن فكان يستقرئه الخليفة و غيره، و عينه الخليفة عمر سنة سبع عشرة واليا و مقرئا لأهل البصرة فقال لهم:

إنّ أمير المؤمنين عمر بعثنى إليكم أعلمكم كتاب ربكم عزّ و جلّ، و سنّة

نبيكم، و أنظف لكم.

و فى تاريخ ابن عساكر:

كان إذا صلى الصبح أمر الناس فثبتوا فى مجالسهم، ثم استقبل الصفوف رجلا رجلا يقرئه القرآن حتى يأتى على الصفوف.

و كان هو الذى فقه أهل البصرة و أقرأهم.

و فى طبقات ابن سعد (۲/ ۳۵۴ و ۴/ ۱۰۸) عن أنس قال: بعثنى الأشعرى إلى عمر فقال لى عمر : كيف تركت الأشعرى فقلت له: تركته يعلّم الناس القرآن.

و فى سنة سبع و عشرين عزله عنها الخليفة عثمان و ولى عليها عبد اللّه ابن عامر كريز فسكن الكوفة.

و فى سنة أربع و ثلاثين أخرج أهل الكوفة و اليهم سعيد بن العاص و ولوا عليها أبا موسى و كتبوا إلى الخليفة يسألونه أن يولى عليهم أبا موسى فولّاه و بقى عليها إلى واقعة الجمل فثبط أهل الكوفة عن الالتحاق بجيش الإمام على فعزله . و فى واقعة الحكمين ألحّوا على الإمام على أن يعينه من قبله ففعل و كان من أمره ما هو مشهور . و توفى فى الكوفة فى خلافة معاوية سنة ۴۲ أو ۴۴ أو ۴۹ أو ۵۰ أو ۵۵[۲۲۵].

۱۰- ابن أم. عبد اللّه بن مسعود الهذلى حليف بنى زهرة أسلم قبل دخول رسول اللّه دار الأرقم، قال كنت سادس ستة ممن أسلم و كان أول من أجهر بالقرآن بمكة من الصحابة و هاجر الهجرتين إلى الحبشة و المدينة و كان فى المدينة يخدم رسول اللّه (ص).

[۲۲۵] (۶۶) راجع ترجمته بتاريخ ابن عساكر و مختصره.

قال ابن مسعود قال لی رسول اللّه (ص): اقرأ علیّ. قلت: أقرأ علیک و علیک أنزل . قال: إنّی أحب أن أسمعه من غیری فقرأت سورة النساء علیه

حتی بلغت فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنا بِكَ عَلى هؤُلاءِ شَهِيداً إلی آخر الآیة فاضت عیناه (ص).

قال الإمام علی فی حقّه: علم القرآن و السنّة.

و قال: قرأ القرآن فاحلّ حلاله و حرّم حرامه.

و قال: بینا نحن عرده (ص) علی حراء إذ نزلت علیه (ص) سورة المرسلات فأخذتها و انّ فاه لیرطب بها.

*** کان ذلکم بعض أخبار ابن مسعود علی عهد الرسول (ص) و من أخباره بعده ما رواه الذهبی بترجمة الخلیفة عمر من تذکرة الحفاظ و قال:

إنّ عمر حبس ثلاثة ابن مسعود و أبا الدرداء و أبا مسعود الأنصاری فقال: أکثرتم الحدیث عن رسول اللّه (ص)[۲۲۶].

یعنی حبسهم فی المدینة و منعهم عن الخروج منها و نری أنه کان من أثر ذلک ما جاء بترجمة ابن مسعود فی تاریخ ابن عساکر و مختصره:

أ- کان عبد اللّه بن مسعود یأتی علیه الحول قبل أن یحدثنا عن رسول اللّه (ص).

ب- بعثه عمر بن الخطاب إلی أهل الکوفة معلما و وزیرا و هو أفقههم و أقرأهم للقرآن و ولاه عمر بیت المال.

ج- جاء رجل من الکوفة إلی الخلیفة عمر فقال : جئت یا أمیر المؤمنین من الکوفة فترکت بها رجلا یملی المصاحف عن ظهر قلبه فغضب و انتفخ فقال:

و من هو ویحک، قال عبد اللّه بن مسعود فما زال یطفأ و یسیر عنه الغضب حتی عاد إلی حاله التی کان علیها، ثم قال : ویحک، و اللّه ما أعلم بقی من الناس أحد هو أحق بذلک ... الحدیث.

و سیأتی موجز أخباره فی زمن الخلیفة عثمان- إن شاء اللّه تعالی- فی بحث اختلاف المصاحف من المجلد الثانی من هذا الکتاب و توفی سنة اثنتین و ثلاثین من الهجرة.

---

[۲۲۶] (۶۷) راجع ترجمة ابن مسعود بتاریخ ابن عساکر و مختصره؛ و تذکرة الحفاظ ۱/ ۷.

۱۱- أبو الدرداء عويمر بن زيد بن قيس الأنصارى الخزرجى شهد مع رسول اللّه أحدا فما بعدها و آخى بينه و بين سلمان الفارسى و كان ممن جمع القرآن على عهد رسول اللّه (ص).

و فى ترجمقبتاريخ ابن عساكر و مختصره (۱۹/ ۱۰- ۴۳) ما موجزه:

قال رجل لأبى الدرداء : يا معشر القرّاء ما بالكم أجبن منا و أبخل إذا سئلتم، و أعظم لقما إذا أكلتم؟ فأعرض عنه أبو الدرداء و لم يرد عليه شيئا، فأخبر بذلک عمر بن الخطاب، فسأل أبا الدرداء عن ذلک؟ فقال أبو الدرداء:

اللهم غفرا! و كل ما سمعناه منهم نأخذهم به! فانطلق عمر إلى الرجل الذى قال لأبىّ الدرداء ما قال، فقال بثوبه و خنقه، و قاده إلى النبى (ص) فقال الرجل: إنما كنا نخوض و نلعب، فأوحى اللّه تعالى إلى نبيه (ص) وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّما كُنَّا نَخُوضُ وَ نَلْعَبُ (التوبة/ ۶۵).

و روى انه كان ممن بعثه عمر إلى الشام لتعليم القرآن ثمّ ولاه على القضاء- يعنى بدمشق- و كان القاضى يكون خليفة الأمير إذا غاب.

و قال: كان عبد اللّه بن مسعود يقول: علماء الناس ثلاثة: واحد بالعراق، و آخر بالشام- يعنى أبا الدرداء- يحتاج إلى الذى بالعراق- يعنى نفسه- و الذى بالشام و العراق يحتاجان إلى الذى بالمدينة- يعنى على بن أبى طالب- و لا يحتاج إلى واحد منهما. قالوا توفى سنة ۳۱ أو ۳۲ فى الشام.

۱۲- أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل الأنصارى الخزرجى شهد بيعة العقبة و بدرا و المشاهد كلها مع رسول اللّه (ص).

جاء بترجمته من تاريخ ابن عساكر و مختصره ما موجزه:

لما فتح رسول اللّه (ص) مكة و سار إلى حنين استخلف عليها عتاب

ص: ۲۰۳

ابن أسد يصلى بهم و خلّف معاذ بن جبل يقرئهم القرآن و يفقههم، ثم بعثه مع أبى موسى إلى اليمن و قال لهما: يسرا و لا تعسرا.

و بترجمته من الاستيعاب:

فقال معاذ لأبى موسى : كيف تقرأ القرآن، قال : أقرؤه فى صلاتى و على راحلتى قائما و قاعدا و مضطجعا أتفوقه تفوقا . فقال معاذ: لكنى أنام ثمّ أقوم فاحتسب نومتى كما أحتسب قومتى.

و توفى فى طاعون عمواس بناحية الأردن من الشام سنة ثمانى عشرة فى خلافة عمر و هو ابن ثمان و ثلاثين سنة[۲۲۷].

[۲۲۷] (۶۸) راجع ترجمته فى تاريخ ابن عساكر و مختصره ۲۴/ ۳۶۹- ۳۸۳؛ و طبقات ابن سعد ۳/ ۵۸۳- ۵۹۰؛ و الاستيعاب ۱/ ۲۳۸.

و من أخبار القرآن ان النبیّ (ص) کان یفضل فی تعیین الولاة و الامراء و لاقامة الجمعة و الجماعة أقرأهم للقرآن.

و قد مرّ بنا خبر عمرو بن سلمة الجرمی الذی کان سکنی قومه علی ماء ممرّ الناس علیه و کانوا یسألون القادمین من الحرم عن أخبار الرسول (ص) فیخبروهم انه یقول: «أوحی إلیّ کذا و کذا » یعنون ما سمعوه من السور المکیة التی کان الرسول (ص) یقرؤها فی صلاته فی الحرم و فی غیرها قال: کنت أتلقی الرکبان فیقرءونی فجعلت لا أسمع شیئا إلّا حفظته حتی جمعت فیه قرآن کثیرا و لمّا وفد قومه علی النبیّ (ص) بعد فتح مکة فاصبح امام جماعتهم و استمرّ علی ذلک حتی عصر معاویة، و نظیر هذا الخبر خبر عثمان الثقفی الآتی:

أبو عبد اللّه عثمان بن أبی العاص الثقفی بترجمته من طبقات ابن سعد (۷/ ۴۰) ما موجزه:

قدم علی رسول اللّه (ص) المدینة فی وفد ثقیف فأسلموا و کان عثمان من أصغرهم فجاء إلی النبی (ص)، قبلهم فأسلم و أقرأه قرآنا و لزم أبیّ بن کعب

فکان یقرئه فلمّا أراد وفد ثقیف الانصراف إلی الطائف قالوا : یا رسول اللّه أمّر علینا، فأمّ ر علیهم عثمان بن أبی العاص الثقفیّ، و قال إنّه کیس و قد أخذ من القرآن صدرا، فقدم معهم الطائف، فکان یصلی بهم و یقرئهم القرآن.

و علی عهد عمر کتب إلیه أن استخلف علی الطائف و یقبل إلیه فاستخلف أخاه الحکم بن أبی العاص و أقبل إلیه فوجّهه إلی البصرة.

و بترجمته من الاستیعاب و الاصابة:

ولاه عمر سنة خمس عشرة علی عمان و البحرین و سکن فی زمان معاویة البصرة و توفی فی خلافة معاویة.

و کان النبی (ص) یعین الولاة علی الجیوش و الامراء و القضاة فی البلاد ممّن برز فی قراءة القرآن و حفظه و جمعه و کان ممن عینه کذلک:

أ- الصحابی معاذ بن جبل بعد فتح مکّة یعلّم أهلها القرآن و یفقههم فی الدین و بعد ذلک بعثه إلی الجند من بلاد الیمن لیقرئهم و یفقههم و یقضی بینهم و یقبض الصدقات.

ب- الصحابی عمرو بن حزم استعمله علی نجران لیفقههم فی الدین و یعلّمهم القرآن.

ج- إلی الطائف عثمان بن أبی العاص[۲۲۸].

د و ه- معاذ بن جبل و أبا موسی الأشعری إلی الیمن[۲۲۹].

---

[۲۲۸] (۶۹) طبقات ابن سعد ۵/ ۵۰۸.

*** كان ذلكم فهرسا لأخبار الاقراء و القرآن فى عصر الرسول فى المدينة و فى ما يأتى فهرس أخبار تدوين القرآن يومذاك.

ص: ۲۰۵

رابعا- تدوين القرآن فى المدينة

ندرس فى هذا البحث الأمور الآتية:

أ- أمر الكتابة فى المدينة قبل الاسلام:

قال البلاذرى فى فتوح البلدان:

كان الكتاب بالعربيّة فى الأوس و الخزرج قليلا، و كان بعض اليهود قد علّم كتاب العربيّة، و كان تعلّمه الصبيان فى المدينة فى الزمن الأول، فجاء الاسلام و فى الأوس و الخزرج عدة يكتبون و هم سعد بن عبادة بن دليم و المنذر بن عمرو و أبى بن كعب و زيد بن ثابت، فكان يكتب العربية و العبرانية، و رافع بن مالک، و أسيد بن حضير، و معن بن عدىّ البلوىّ حليف الانصار، و بشير بن سعد، و سعد بن الربيع و أوس بن خولى و عبد اللّه بن ابىّ المنافق.

قال: فكان الكملة منهم و الكامل من يجمع الى الكتاب الرمى و العوم:

رافع بن مالک، و سعد بن عبادة و أسيد بن حضير، و عبد اللّه بن أبىّ، و أوس ابن خولى، و كان من جمع هذه الأشياء فى الجاهليّة من أهل يثرب: سويد بن الصامت و حضير الكتائب[۲۳۰].

قال: كانت الشفاء كاتبة فى الجاهلية[۲۳۱].

ص: ۲۰۶

بترجمتها من الاستيعاب و الاصابة: أسلمت الشفاء قبل الهجرة و هى من المهاجرات الأوائل، بايعت النبى (ص) قبل الهجرة و كانت من عقلاء الناس و كانت ترقى النملة.

ب- أمر الكتابة فى المدينة بعد الاسلام:

۱- من كان يقرأ و يكتب من الصحابيات:

قال البلاذرى فى فتوح البلدان:

---

[۲۲۹] (۷۰) حلية الأولياء لأبى نعيم ۱/ ۲۵۶ و بترجمته بطبقات ابن سعد.

[۲۳۰] (۱) فتوح البلدان ط. بيروت دار النشر للجامعيين سنة ۱۳۷۷ ه ص ۶۶۳- ۶۶۴.

[۲۳۱] (۲) فتوح البلدان ص ۶۶۱- ۶۶۲.

و كانت حفصة زوج النبى تكتب.

و ان أم كلثوم بنت عقبة كانت تكتب.

و ان عائشة بنت سعد قالت: علمنى أبى الكتاب.

و ان كريمة بنت المقداد كانت تكتب.

و قال ان عائشة كانت تقرأ المصحف، و لا تكتب.

و كانت أم سلمة تقرأ و لا تكتب [۲۳۲].

۲- اهتمام الرسول (ص) بتعليم الكتابة بين المسلمين:

فى امتاع الاسماع:

و كان فى الأسرى من يكتب، و لم يكن فى الأنصار من يحسن الكتابة، و كان منهم من لا مال له، فيقبل منه أن يعلّم عشرة من الغلمان الكتابة و يخلى سبيله.

فيومئذ تعلّم زيد بن ثابت الكتابة فى جماعة من غلمان الأنصار. خرّج الإمام أحمد من حديث عكرمة عن ابن عباس قال: كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول اللّه (ص) فداءهم أن يعلّموا أولاد الانصار الكتابة، قال:

فجاء غلام يبكى إلى أبيه فقال: ما شأنك؟ قال: ضربنى معلّمى.

ص: ۲۰۷

قال: الخبيث!! يطلب بذحل بدر؛ و اللّه لا تأتيه أبدا [۲۳۳].

و فى ترجمة الحكم و عبد اللّه بن سعيد بن العاص الأموى من أسد الغابة و الاصابة أنّه قدم على النبى (ص) مهاجرا و كان اسمه الحكم فسمّاه النبى (ص) عبد اللّه و كان يكتب فى الجاهلية فأمره رسول اللّه (ص) أن يعلّم الكتاب بالمدينة و كان كاتبا محسنا.

ج- من كتب لرسول اللّه (ص):

قال البلاذرى فى فتوح البلدان:

---

[۲۳۲] (۳) فتوح البلدان للبلاذرى ص ۶۶۱- ۶۶۲.

[۲۳۳] (۴) امتاع الاسماع للمقريزى ص ۱۰۱، و مسند احمد ۱/ ۳۴۷.

اوّل من كتب لرسول اللّه (ص) مقدمه المدينة أبىّ بن كعب الانصارى، و هو اوّل من كتب فى آخر الكتاب، و كتب فلان، فكان أبىّ، اذا لم يحضر دعا رسول اللّه (ص) زيد بن ثابت الانصارى، فكتب له فكان أبىّ و زيد يكتبان الوحى بين يديه، و كتبه الى من يكاتب من الناس، و ما يقطع و غير ذلک.

قال الواقدى: و اوّل من كتب له من قريش عبد اللّه بن سعد بن ابى سرح، ثم ارتدّ و رجع الى مكّة، و قال لقريش : انا آتى بمثل ما يأتى به محمد، و كان يملّ عليه الظالمين، فيكتب الكافرين، يملّ عليه سميع عليم، فيكتب غفور رحيم و أشباه ذلک، فأنزل اللّه:

وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَ لَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْ ءٌ وَ مَنْ قالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ (الانعام/ ۹۳) فلما كان يوم فتح مكة أمر رسول اللّه (ص) بقتله، فكلّمه فيه عثمان بن عفّان و قال : أخى من الرضاع، و قد أسلم فأمر رسول اللّه (ص) بتركه، و ولّاه عثمان مصر، فكتب لرسول اللّه (ص) عثمان بن عفان و شرحبيل بن حسنة الطابخى من خندف حليف قريش، و يقال بل هو كندى، و كتب له جهيم بن

ص: ۲۰۸

الصّلت بن مخرمة، و خالد ابن سعيد و أبان بن سعيد بن العاصى، و العلاء بن الحضرمى، فلما كان عام الفتح اسلم معاوية، كتب له ايضا، و دعاه يوما و هو يأكل فابطأ، فقال: لا أشبع اللّه بطنه، فكان يقول : لحقتنى دعوة رسول اللّه (ص) و كان يأكل فى اليوم سبع أكلات و أكثر و أقل.

و قال كتب حنظلة بن الربيع بن رباح الأسيدى من بنى تميم بين يدى رسول اللّه (ص) مرّة، فسمّى حنظلة الكاتب.

تعلم كتابة اليهود:

و قال: زيد بن ثابت: أمرنى رسول اللّه (ص) أن أتعلّم له كتاب يهود، و قال لى : انى لا آمن يهودا على كتابى، فلم يمرّ بى نصف شهر حتّى تعلمته، فكنت اكتب له الى يهود و إذا كتبوا إليه قرأت كتابهم[۲۳۴].

و فى فتوح البلدان:

قال الرسول (ص) لزيد بن ثابت: «يا زيد: تعلم لى كتابة يهود فإنى ما آمنهم على كتابى».

قال: فحذقته فى نصف شهر[۲۳۵].

*** و اهتم الرسول بنشر الكتابة فى المدينة، و جعل فدية من يعرف الكتابة من سبعين أسيرا فى غزوة بدر تعليم كل واحد منهم عشرة من صبيان المدينة الكتابة.

---

[۲۳۴] (۵) فتوح البلدان ص ۶۶۲- ۶۶۴، و عيون الاثر ص ۸۴- ۸۶.

[۲۳۵] (۶) أمر الخط فى آخر فتوح البلدان ص ۶۶۳- ۶۶۴، ترجمة زيد من تذكرة الحفاظ للذهبى ۱/ ۳۰- ۳۲.

و من النساء كانت تكتب حفصة زوجة الرسول و أم كلثوم ابنة عقبة و عائشة ابنة سعد و كريمة ابنة المقداد و زوجتا الرسول عائشة و أم سلمة كانتا

ص: ۲۰۹

تقرءان و لا تكتبان[۲۳۶].

كان فى الصحابة جمع يكتبون لرسول اللّه (ص) فى المدينة عدّ منهم البلاذرى من ذكرناه فى فصل من كتب لرسول اللّه (ص) و أضاف إليهم ابن سيد الناس (ت: ۷۳۴ ه) فى فصل ذكر كتابه (ص) من عيون الأثر و قال:

أبو بكر و عمر و على و عامر بن فهيرة و عبد اللّه بن الأرقم و ثابت بن قيس ابن شماس و المغيرة بن شعبة و عبد اللّه بن زيد و جهيم بن الصلت و الزبير بن العوام و خالد بن الوليد و عمرو بن العاص و عبد اللّه بن رواحة و محمد بن مسلمة و عبد اللّه بن عبد اللّه بن أبى و معيقيب بن أبى فاطمة و طلحة بن عبيد اللّه و يزيد ابن أبى سفيان و الأرقم بن ابى الأرقم و العلاء بن عتبة و أبو أيوب الأنصارى خالد بن زيد و بريدة بن الحصيب و الحصين بن نمير و أبو سلمة عبد اللّه بن عبد الأسد و حويطب بن عبد العزى و أبو سفيان بن حرب و حاطب بن عمر و كتب له عبد اللّه بن سعد بن أبى سرح، ثم ارتد و رجع إلى مكة و كذب على رسول اللّه، فنزلت فيه: وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً[۲۳۷].

و بين المؤرخ الثبت المسعودى فى التنبيه و الاشراف (ص/ ۲۴۵- ۲۴۶) ما كان يكتب كل منهم و قال:

كان خالد بن سعيد بن العاص بن امية يكتب بين يديه فى سائر ما يعرض من أموره و المغيرة بن شعبة و الحصين بن نمير يكتبان أيضا فيما يعرض من حوائجه، و عبد اللّه بن الأرقم بن عبد يغوث الزهرى، و العلاء ب ن عقبة يكتبان بين الناس المداينات و سائر العقود و المعاملات، و الزبير بن العوام، و جهيم ابن الصلت يكتبان أموال الصدقات، و حذيفة بن اليمان يكتب خرص الحجاز، و معيقيب بن أبى فاطمة الدوسى يكتب مغانم رسول اللّه (ص)، و كان عليها من

ص: ۲۱۰

قبله و زيد بن ثابت الأنصارى ثم الخزرجى من بنى غنم بن مالک بن النجار يكتب الى الملوک، و يجيب بحضرة النبى (ص) و كان يترجم للنبى (ص) بالفارسية و الرومية و القبطية و الحبشة، تعلم ذلک بالمدينة من أهل هذه الألسن، و كان حنظلة بن الربيع بن صيفى الا سيدى التميمى يكتب بين يديه (ص) فى هذه الأمور اذا غاب من سمينا من سائر الكتاب ينوب عنهم فى سائر ما ينفرد به كل واحد منهم، و كان يدعى حنظلة الكاتب، توفى فى خلافة عمر بن الخطاب.

و كتب له عبد اللّه بن أبى سرح من بنى عامر بن لؤى بن غالب ثم لحق بالمشركين بمكة م رتدا، و كتب له شرحبيل بن حسنة الطابخى، و كان أبان بن سعيد و العلاء بن الحضرمى ربما كتبا بين يديه، و كتب له معاوية قبل وفاته باشهر، و إنما ذكرنا من أسماء كتابه (ص) من ثبت على كتابته و اتصلت أيامه فيها و طالت مدته و صحت الرواية على ذلک من أمره من كتب الكتاب و الكتابين و الثلاثة إذ كان لا يستحق بذلک ان يسمى كاتبا و يضاف إلى جملة كتابه.

---

[۲۳۶] (۷) أمر الخط فى فتوح البلدان ص ۶۶۱- ۶۶۲.

[۲۳۷] (۸) عيون الأثر ۲/ ۱۹۱.

دراسة الخبر:

وصف العلماء هذا العدد الكبير بكتاب الوحى و أحيانا وصفوا الواحد منهم بكاتب الوحى و يصدق هذا الوصف عليهم جميعا و على الواحد منهم كذلک فى ما اذا كان رسول اللّه (ص) قد عينهم لتدوين القرآن بينما نجد المسعودى عند ما يذكر نوع عملهم فى الكتابة لم يخص أحدا بذكر كتابة القرآن و من ثم نعرف أنهم جميعا كانوا يكتبون ما نزل من القرآن كسائر الكتبة من الصحابة و سنذكر فى ما يأتى أن نسخة من القرآن كان فى بيت الرسول (ص) و أمر الامام على بجمعه بعد وفاته و لعله كان قد أمره فى حال حياته بكتابة تلک النسخة ثم أمره بعد وفاته بجمعها بعد أن كانت مكتوبة على قطع مختلفة.

كان ذلک شأن الكتابة و الكتاب على عهد رسول اللّه (ص) فى المدينة و فى ما يأتى خبر النظام الذى سنه الرسول فى تدوين القرآن.

ص: ٢١١

د- كيفية تدوين القرآن بأمر الرسول (ص):

فى مسند أحمد بسنده عن ابن عباس أنه قال فى حديثه عن الخليفة عثمان أنّه قال:

إن رسول اللّه (ص) كان مما يأتى عليه الزمان ينزل عليه من السور ذوات العدد، و كان إذا أنزل عليه الشى ء يدعو بعض من يكتب عنده، يقول: ضعوا هذا فى السورة التى يذكر فيها كذا و كذا، و ينزل عليه الآيات فيقول : ضعوا هذه الآيات فى السورة التى يذكر فيها كذا و كذا، و ينزل عليه الآية فيقول: ضعوا هذه الآية فى السورة التى يذكر فيها كذا و كذا[٢٣٨].

و فى لفظ آخر قال:

كان رسول اللّه (ص) مما يأتى عليه الزمان و هو ينزل عليه من السور ذوات العدد، فكان إذا أنزل عليه الشى ء دعا بعض من يكتب له فيقول: ضعوا هذه فى السورة التى يذكر فيها كذا و كذا، و إذا أنزلت عليه الآيات قال : ضعوا هذه الآيات فى السورة التى يذكر فيها كذا و كذا، و إذا أنزلت عليه الآية قال:

ضعوا هذه الآية فى السورة التى يذكر فيها كذا و كذا[٢٣٩].

و لفظ الحديث فى سنن أبى داود كالآتى:

قال عثمان: كان النبى (ص) مما ينزل عليه الآيات فيدعو بعض من كان يكتب له و يقول له «ضع هذه الآية فى السورة التى يذكر فيها كذا و كذا» و تنزل عليه الآية و الآيتان فيقول مثل ذلک[٢٤٠].

---

[٢٣٨] (٩) مسند احمد ١/ ٥٧، و كنز العمال الحديث ٤٧٧٠.

[٢٣٩] (١٠) مسند احمد ١/ ٦٩، و مستدرک الحاكم، كتاب التفسير، ٢/ ٢٢١. ذكر ابن الجوزى بعض الحديث فى تفسيره زاد المسير تفسير سورة التوبة ٣/ ٣٨٩- ٣٩٠.

و فی سنن الترمذی:

ص: ۲۱۲

قال عثمان: کان رسول اللّه (ص) مما یأتی علیه الزمان و هو تنزل علیه السور ذوات العدد، فکان اذا نزل علیه الشی ء، دعا بعض من کان یکتب فیقول ضعوا هؤلاء الآیات فی السورة التی یذکر فیها کذا و کذا.

و إذا نزلت علیه الآیة فیقول ضعوا هذه الآیة فی السورة التی یذکر فیها کذا و کذا.

قال ابو عیسی هذا حدیث حسن صحیح[۲۴۱].

و فی مستدرک الحاکم و تلخیصه:

فقال عثمان (رض) ان رسول اللّه (ص) کان یأتی علیه الزمان تنزل علیه السور ذوات عدد، فکان اذا نزل علیه الشیء یدعو بعض من کان یکتبه، فیقول: ضعوا هذه فی السورة التی یذکر فیها کذا و کذا.

و تنزل علیه الآیة، فیقول: ضعوا هذه فی السورة التی یذکر فیها کذا و کذا[۲۴۲].

و وضع له رمز البخاری و مسلم أی أن الحدیث صحیح علی شرطهما.

و فی تفسیر القرطبی بسنده عن ابن وهب قال:

سمعت مالکا یقول: إنما ألف القرآن علی ما کانوا یسمعونه من رسول اللّه (ص). و ذکر أبو بکر الأنباری فی کتاب الردّ: أن اللّه تعالی أنزل القرآن جملة إلی سماء الدنیا، ثم فرق علی النبی (ص) فی عشرین سنة، و کانت السورة تنزل فی أمر یحدث، و الآیة جوابا لمستخبر یسأل، و یقف جبریل رسول اللّه (ص) علی موضع السورة و الآیة، فاتساق السورة کاتساق الآیات و الحروف، فکلّه عن محمد

ص: ۲۱۳

خاتم النبیین علیه السلام، عن ربّ العالمین؛ فمن أخر سورة مقدّمة أو قدّم أخری مؤخرة، فهو کمن أفسد نظم ا لآیات، و غیّر الحروف و الکلمات[۲۴۳].

---

[۲۴۰] (۱۱) سنن ابی داود ۱/ ۲۰۹ کتاب الصلاة باب من جهر بها.

[۲۴۱] (۱۲) سنن الترمذی ط. مصر سنة ۱۳۵۳ ه ۱۱/ ۲۲۶- ۲۲۷ فی تفسیر سورة التوبة، و فی تفسیر ابن کثیر ۲/ ۳۳۱، و فی فضائل القرآن ۴/ ۱۱، و فی کتاب المصاحف لابن ابی داود ص ۳۱، و السیوطی ۳/ ۲۰۷- ۲۰۸، و کنز العمال الحدیث ۴۷۷۰.

[۲۴۲] (۱۳) مستدرک الحاکم و تلخیصه للذهبی ۲/ ۲۲۱.

[۲۴۳] (۱۴) تفسیر القرطبی ۱/ ۶۰.

و ابن وهب هو ابو محمد عبد اللّه بن وهب بن مسلم القرشی المصری الفقیه.

و فی کنز العمال: عن عسعس بن سلامة قال:

قلت لعثمان: یا أمیر المؤمنین ما بال الانفال و براءة لیس بینهما (بسم الله الرحمن الرحیم)؟ قال کانت تنزل السورة فلا تزال تکتب حتی تنزل (بسم الله الرحمن الرحیم) فاذا جاءت (بسم الله الرحمن الرحیم) کتبت سورة أخری. فنزلت الانفال و لم تکتب (بسم الله الرحمن الرحیم)[۲۴۴].

و فی ترجمة رافع بن مالک من أسد الغابة ما موجزه:

إن رافع بن مالک بن العجلان الانصاری الخزرجی تعلم من رسول اللّه فی مکة سورة طه ثم کتبها ثم أقبل بها الی المدینة، فقرأها علی بنی زریق.

و فی ترجمته من الاصابة: انه أوّل من قوّم کتّابهم.

ه- نظام تدوین القرآن:

أ- کان الوحی یعین مکان الآیات فی السور.

فی حدیث عثمان بن ابی العاص بمسند أحمد:

قال: کنت عند رسول اللّه (ص) اذ شخص ببصره ... فقال: اتانی جبریل (ع) فأمرنی أن أضع هذه الآیة بهذا الموضع من هذه السورة: ان اللّه یأمر بالعدل و الاحسان ...[۲۴۵].

ص: ۲۱۴

ب- کان الرسول یأمر بتدوین الآیات فی السورة.

ذکرنا حدیث عثمان فی بحث کیفیة تدوین القرآن السابق.

و فی حدیث البراء بن عازب:

ان رسول اللّه (ص) نزلت علیه آیة فقال: ادع لی زیدا و لیجئ باللوح و الدواة و الکتف أو الکتف و الدواة قال: ثم اکتب ... الحدیث[۲۴۶].

و فی مستدرک الحاکم و تلخیصه:

قال علی بن الحسین بن الجنید: مسائل ابن وهب عن مالک صحیحة، تهذیب التهذیب بترجمته، ۶/ ۷۱- ۷۴.

[۲۴۴] (۱۵) کنز العمال ط ۲، ۲/ ۳۶۷- ۳۶۸.

[۲۴۵] (۱۶) مسند احمد ۴/ ۲۱۸.

[۲۴۶] (۱۷) صحیح البخاری ۳/ ۱۵۱ کتاب فضائل القرآن باب کاتب النبی.

عن زيد بن ثابت قال: كنا حول رسول اللّه (ص) نؤلّف القرآن ...

و فى رواية: كنا عند رسول اللّه (ص) نؤلّف القرآن من الرقاع ...

قال الحاكم: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين- البخارى و مسلم- و لم يخرجاه و فيه البيان الواضح ان جمع القرآن لم يكن مرة واحدة فقد جمع بحضرة رسول اللّه (ص) ثم جمع بعضه بحضرة أبى بكر الصديق و الجمع الثالث هو فى ترتيب السورة كان فى خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان (رض))[۲۴۷].

و- القلم الذى خط به القرآن:

اطنب المستشرقون و من تبعهم من المشارقة فى التفكير فى وصف الخط الذى كتب به القرآن فى صدر الاسلام.

أما المستشرقون منهم، فإنهم أرادوا بعملهم التشكيک من طرف خفى بثبوت النص القرآنى كما سنشرحه فى آخر هذا الباب ان شاء اللّه تعالى.

و سار أتباعهم من الشرقيين فى طريقهم دونما تنبه لهدفهم المنشود.

ص: ۲۱۵

أما نحن فنقول: إن كل ما فعلوه باسم البحث العلمى لا جدوى فيه بتاتا و يكفينا فى هذا الصدد أن نعلم أن الخط الذى دون المسلمون به قرآنهم كالآتى تصويره:

ص: ۲۱۶

(كتاب النبى (ص) الى المنذر بن ساوى)

ص: ۲۱۷

بسم اللّه الرحمن الرحيم من محمد رسول اللّه الى المنذر بن ساوى سلام عليک فانى احمد اللّه اليک الذى لا اله غيره و اشهد ان لا إله إلاّ اللّه و أنّ محمدا عبده و رسوله أما بعد فإنى أذكرک اللّه عز و جل، فإنه من ينصح فانما ينصح لنفسه، و انه من يطع رسلى و يتبع أمرهم فقد أطاعنى، و من نصح لهم فقد نصح لى . و إن رسلى قد أثنوا عليک خيرا . و إنى قد شفعتک فى قومک فاترک للمسلمين ما أسلموا عليه، و عفو ت عن أهل الذنوب فاقبل منهم . و إنک مهما تصلح فلن نعزلک عن عملک.

و من أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية.

---

[۲۴۷] (۱۸) مستدرک الحاكم و تلخيصه كتاب التفسير ۲/ ۲۲۹. الاتقان للسيوطى ۱/ ۵۹.

(محل الختم) رسول اللّه محمد[۲۴۸] و هذا الخط خال من الاعجام و لا فرق فی خطه بین الباء و التاء و الثاء و النون و الیاء فی وسط الکلام و آخره و أوله و خال من الإعراب لأی علامات الفتحة و الکسرة و الضمة و السکون- منها ثم أدخل کل منها فی رسم الخط القرآنی ابتداء من النصف الثانی من القرن الأول الهجری مندرجا کما سنبینه فی ما یأتی ان شاء اللّه تعالی.

ص: ۲۱۸

خامسا- أخبار السیرة فی القرآن الکریم:

مقدمة البحث:

نورد فی هذا البحث من الآیات و الروایات فی شأن نزولها و بیانها و تفسیرها ما نحتاج الی درکها و استیعابها فی بحث اختلاف المصاحف و زیادة القرآن و نقصانه- معاذ اللّه- الآتیین[۲۴۹].

الآیات و شأن نزولها و تفسیرها و بیانها فی الروایات

أ- ما یخص الرسول (ص) و أهل بیته:

۱- آیة التطهیر:

قال اللّه سبحانه فی سورة الاحزاب/ ۳۳:

إِنَّما یُرِیدُ اللَّهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ وَ یُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً شأن نزول الآیة و ما صنع الرسول (ص) بهذه المناسبة:.

روی عبد اللّه بن جعفر بن أبی طالب[۲۵۰] قال:

ص: ۲۱۹

(لمّا نظر رسول اللّه (ص) إلی الرحمة هابطة، قال: «أدعوا لی، ادعوا لی» فقالت صفیة[۲۵۱]: من یا رسول اللّه؟

---

[۲۴۸] (۱۹) مجموعة الوثائق السیاسیة د. محمود.

[۲۴۹] (۱) سوف نستدل باذنه تعالی فی البابین المذکورین عن اثر هذه الاخبار فیهما.

[۲۵۰] (۲) بمستدرک الصحیحین ۳/ ۱۴۷.

و عبد اللّه بن جعفر ذو الجناحین : ابن عمّ النبی أبی طالب و أمّه أسماء بنت عمیس الخثعمیة ولد بأرض الحبشة فی هجرة أبویه إلیها، و هاجر أبوه به إلی المدینة. و کان حلیما کریما یقال له: بحر الجود، توفی بالمدینة سنة ثمانین عام الجحاف- عام جاء فیه سیل عظیم ببطن مکّة جحف الحاجّ و ذهب بالإبل علیها أحمالها- و روی عنه أصحاب الصحاح ۲۵ حدیثا. ترجمته بأسد الغابة و جوامع السیرة ص ۲۸۲.

[۲۵۱] (۳) صفیة بنت حیی بن أخطب: من سبط هارون بن عمران من بنی إسرائیل، و أمّها برة بنت السموأل من بنی قریظة . کانت زوجة کنانة بن الربیع من یهود بنی النضیر فقتل عنها یوم خیبر فاصطفاها النبیّ و قال لها :« إن اخترت الإسلام أمسکتک لنفسی و إن اخترت الیهودیة فعسی أن أعتقک فتلحقی بقوم ک »، فقالت: یا رسول اللّه لقد هویت الإسلام و صدقت بک قبل أن تدعونی حیث صرت إلی رحلک، و ما لی فی الیهودیة إرب و ما لی فیها والد و لا أخ، و

قال: «أهل بيتى عليّا و فاطمة و الحسن و الحسين»[۲۵۲].

ص: ۲۲۰

فجیء بهم. فألقى عليهم النبیّ (ص) كساءه، ثمّ رفع يديه، ثمّ قال:

خيّرتنى الكفر و الاسلام، فاللّه و رسوله أحبّ إلىّ من العتق و أن أرجع إلى قومى . فاعتدّت ثم تزوّجها النبیّ و توفّيت فى سنة ۵۲ ه و روى عنها أصحاب الصحاح ۱۰ أحاديث. ترجمتها بطبقات ابن سعد ۸/ ۱۲۰- ۱۲۹.

و جوامع السيرة ص ۲۸۵.

[۲۵۲] (۴) فاطمة بنت رسول اللّه(ص) و أمّها أمّ المؤمنين خديجة(ع).

فى ترجمتها بأسد الغابة و الإصابة : أن كنيتها أمّ أبيها و أنه انقطع نسل رسول اللّه إلا منها، و قال رسول اللّه(ص) لفاطمة:« إن اللّه يغضب لغضبک و يرضى لرضاک» أخرجه- أيضا- الحاكم فى مستدركه ۳/ ۱۵۳. و بميزان الاعتدال ۲/ ۷۷. و تهذيب ۲ لتهذيب ۱۲/ ۴۴۱. و فى باب مناقب فاطمة بصحيح البخارى ۴/ ۲۰۰ و ۲۰۱ و ۲۰۵: قال رسول اللّه(ص):« فاطمة بضعة منّى، من أغضبها أغضبنى».

و فى رواية أخرى فيه بباب ذبّ الرجل عن ابنته من كتاب النكاح ۳/ ۱۷۷، و باب فضائل فاطمة من صحيح مسلم، و الترمذى . و بمسند أحمد ۴/ ۳۲۸. و مستدرک الصحيحين ۳/ ۱۵۳:

« يؤذينى ما آذاها، أو يؤذيها».

و كان آخر الناس عهدا برسول اللّه إذا سافر فاطمة، و إذا قدم من سفر كان أول الناس عهدا به فاطمة، كما فى مستدرک الصحيحين ۳/ ۱۵۵ و ۱۵۶ و ۱/ ۴۸۹. و مسند أحمد ۵/ ۲۷۵. و سنن البيهقى ۱/ ۲۶. و فى باب فرض الخمس من صحيح البخارى ۲/ ۱۲۴، عن عائشة أنّ فاطمة سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول اللّه(ص) أن يقسم لها ميراثها ما ترک رسول اللّه ممّا أفاء اللّه عليه، فقال أبو بكر : إنّ رسول اللّه قال:« لا نورث ما تركنا صدقة ». فغضبت فاطمة بنت رسول اللّه فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرته حتى توفّيت، و عاشت بعد رسول اللّه(ص) ستّة أشهر.

و فى باب غزوة خيبر منه ۳/ ۳۸؛ فلمّا توفّيت دفنها زوجها علىّ ليلا، و لم يؤذن بها أبا بكر، و صلّى عليها، و كان لعلىّ وجه حياة فاطمة، فلمّا توفّيت استنكر علىّ وجوه الناس فالتمس مصالحة أبى بكر ...

و رواه مسلم كذلک فى صحيحه بكتاب الجهاد ۵/ ۱۵۴. و مسند أحمد ۱/ ۹. و سنن البيهقى ۶/ ۳۰۰.

و بترجمتها فى أسد الغابة: و أوصت إلى أسماء أن تغسلها و لا تدخل عليها أحدا، فلما توفّيت جاءت عائشة فمنعتها أسماء.

قال المؤلف:

و لم يعرف موضع قبرها حتّى اليوم.

و روى عنها أصحاب الصّحاح ۱۸ حديثا. جوامع السيرة ص ۲۸۳.

و الحسنان سبطا رسول اللّه و ابنا على و فاطمة.

ولد الحسن فى النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، و ولد الحسين لثلاث خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة.

قال رسول اللّه(ص): الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنة و أبو هما خير منهما. فى سنن ابن ماجة باب فضائل أصحاب رسول اللّه(ص) ص ۵۱- ۵۲. و مستدرک الصحيحين ۳/ ۱۶۷.

و مصادر كثيرة غيرهما.

بايع المسلمون الحسن بعد وفاة أبيه سنة أربعين و بقى أكثر من ستّة أشهر فى الخلافة، ثمّ اقتضت مصلحة الإسلام العليا أن يصالح معاو ية. و لمّا أراد معاوية أن يأخذ البيعة لابنه يزيد دسّ إليه السّمّ فقتله سنة خمسين. أحاديث أمّ المؤمنين عائشة ۱/ ۲۵۱- ۲۶۶.

و فى سنة ستين أبى الحسين أن يبايع يزيد و قال :« و على الإسلام السلام إذا بليت الأمّة براع مثل يزيد ». فقتله جيش يزيد بكربلاء عاشوراء سنة إحدى و ستّين. اللهوف لابن طاوس.

روى أصحاب الصحاح عن الحسن ۱۳ حديثا، عدا البخارى و مسلم، و عن الحسين ۸ أحاديث. جوامع السيرة ص ۲۸۴ و ۲۸۶. و تقريب التهذيب ۱/ ۱۶۸.

«اللهمّ هؤلاء آلی فصل علی محمّد و آل محمّد».

نزل اللّه عزّ و جلّ:

إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً و فی روایة أمّ المؤمنین عائشة : أنّ الکساء کان مرطا مرحّلا من شعر أسود[۲۵۳].

و فی روایة الصّحابیّ واثلة بن الأسقع: إنّ رسول اللّه أدنی علیّا و فاطمة و أجلسهما بین یدیه و أجلس حسنا و حسینا کلّ واحد منهما علی فخذه ...

الحدیث[۲۵۴].

و فی روایة أمّ المؤمنین أمّ سلمة قالت: نزلت هذه الآیة فی بیتی: إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ ... و فی البیت سبعة: جبرئیل و میکائیل (ع) و علیّ و فاطمة و الحسن و الحسین (رض) و أنا علی باب البیت، قلت: یا رسول اللّه أ لست من أهل البیت؟

قال: «إنک إلی خیر. إنک من أزواج النبیّ»[۲۵۵].

و قد روی شأن نزول آیة التّطهیر غیر من ذکرنا کلّ من:

---

[۲۵۳] (۵) المرط: کساء من صوف أو خز. و المرحل من الثیاب: ما أشبهت نقوشه رحال الإبل.

و عائشة بنت أبی بکر و أمّها أم رومان . ولدت فی السنة الرابعة بعد البعثة، بنی بها الرسول (ص) بعد ثمانیة عشرة شهرا من هجرته إلی المدینة . و توفیّت سنة ۵۷ أو ۵۸ أو ۵۹، و صلّی علیها أبو هریرة. و روی عنها أصحاب الصحاح ۲۲۱۰ أحادیث، راجع کتابنا أحادیث عائشة.

و روایتها فی شأن نزول آیة التطهیر فی صحیح مسلم ۷/ ۱۳۰، باب فضائل أهل بیت النبی.

و مستدرک الصحیحین ۳/ ۱۴۷. و بتفسیر الآیة فی تفسیر ابن جریر و الدر المنثور للسیوطی و آیة المباهلة فی تفسیر الزمخشری و الرازی . و سنن البیهقی ۲/ ۱۴۹.

[۲۵۴] (۶) واثلة بن الأسقع اللیثی: أسلم و النبیّ یتجهّز إلی تبوک . و قیل إنّه خدم النبی ثلاث سنوات و مات سنة خمس و ثمانین أو ثلاث و ثمانین بدمشق أو ببیت المقدس. روی عنه أصحاب الصحاح ۵۶ حدیثا. ترجمته بأسد الغابة و جوامع السیرة ص ۲۷۹. و روایته فی شأن آیة التطهیر بسنن البیهقی ۲/ ۱۵۲، و روایة أخری منه بمسند أحمد ۴/ ۱۰۷. و مستدرک الصحیحین ۲/ ۴۱۶ و ۳/ ۱۴۷. و مجمع الزوائد ۹/ ۱۶۷. و ابن جریر و السیوطی فی تفسیر الآیة من تفسیریهما. و أسد الغابة ۲/ ۲۰.

[۲۵۵] (۷) روایة أم سلمة فی تفسیر الآیة بتفسیر السیوطی ۵/ ۱۹۸ و ۱۹۹.

و روایة أخری فی سنن الترمذی، ۱۳/ ۲۴۸. و مسند أحمد ۶/ ۳۰۶. و أسد الغابة ۴/ ۲۹، و ۲/ ۲۹۷. و تهذیب التهذیب ۲/ ۲۹۷.

و أخری بمستدرک الصحیحین ۲/ ۴۱۶ و ۳/ ۱۴۷. و سنن البیهقی ۲/ ۱۵۰. و أسد الغابة ۵/ ۵۲۱ و ۵۸۹. و فی تاریخ بغداد ۹/ ۱۲۶.

و أخری: بمسند أحمد ۶/ ۲۹۲.

أ- عبد اللّه بن عباس[۲۵۶].

ب- عمر بن أبی سلمة[۲۵۷] ربیب النبیّ (ص).

ج- أبو سعید الخدری[۲۵۸].

د- سعد بن أبی وقاص[۲۵۹].

ص: ۲۲۳

ه- أنس بن مالک[۲۶۰]، و غیرهم[۲۶۱].

و استشهد بها الحسن السبط (ع) علی المنبر[۲۶۲]، و علیّ بن الحسین (ع) فی الشّام[۲۶۳].

کان رسول اللّه بعد نزول هذه الآیة عدّة أشهر یأتی إلی باب دار علیّ و فاطمة یسلّم علیهم و یقرأ الآیة. قال ابن عبّاس:

شهدت رسول اللّه (ص) تسعة أشهر یأتی کلّ یوم باب علیّ بن أبی طالب عند وقت کلّ صلاة فیقول : «السلام علیکم و رحمة اللّه و برکاته أهل البیت، إِنَّما یُرِیدُ اللَّهُ ... الصّلاة رحمکم اللّه» کلّ یوم خمس مرّات[۲۶۴].

---

[۲۵۶] (۸) روایة ابن عباس بمسند أحمد ۱/ ۳۳۰، و خصائص النسائی ص ۱۱. و الریاض النضرة ۲/ ۲۶۹. و مجمع الزوائد ۹/ ۱۱۹ و ۲۰۷، و تفسیر الآیة بالدر المنثور.

[۲۵۷] (۹) عمر بن أبی سلمة بن عبد الأسد أبو حفص المخزومی: ربیب رسول اللّه، أمّه أمّ سلمة.

ولد فی الحبشة. شهد مع علیّ الجمل، و استعمله علی البحرین و علی فارس . توفّی سنة ۸۳ ه روی عنه أصحاب الصحاح ۱۲ حدیثا. ترجمته بأسد الغابة و جوامع السیرة ص: ۲۸۴. و حدیثه بشأن آیة التطهیر فی:« فضائل الخمسة» ۱/ ۲۱۴ عن صحیح الترمذی ۲/ ۲۰۹.

[۲۵۸] (۱۰) روایة أبی سعید فی تفسیر الآیة بتفسیر ابن جریر و السیوطی و تاریخ بغداد ۱۰/ ۲۷۸. و مجمع الزوائد ۹/ ۱۶۷ و ۱۶۹.

[۲۵۹] (۱۱) سعد بن أبی وقاص.- مرّت ترجمته فی بحث(خصائص المجتمع الاسلامی علی عهد عمر) و أبی أن یبایع علیّا، و أبی علی معاویة أن یسبّ علیّا. و دسّ إلیه معاویة السمّ لمّا أراد أن یبایع لیزید، فمات . و روی عنه أصحاب الصحاح ۲۷۱ حدیثا. ترجمته بأسد الغابة و صحیح مسلم ۷/ ۱۲۰ و أحادیث أم المؤمنین عائشة ۱/ ۳۵۶ ط. بیروت ۱۴۰۵ ه.

و روایته بشأن آیة التطهیر فی خصائص النسائی ص ۴- ۵. و سنن الترمذی ۱۳/ ۱۷۱- ۱۷۲.

[۲۶۰] (۱۲) روایة أنس بن مالک فی سنن الترمذی ۱۳/ ۲۴۸. و مجمع الزوائد ۹/ ۲۰۶.

[۲۶۱] (۱۳) مثل قتادة فی تفسیر الآیة عند ابن جریر و السیوطی و عطیة بترجمته بأسد الغابة ۳/ ۴۱۳، و معقل بن یسار، راجع سنن الترمذی ۱۳/ ۲۴۸.

[۲۶۲] (۱۴) روی استشهاد السبط بمستدرک الصحیحین ۳/ ۱۷۲. و مجمع الزوائد ۹/ ۱۴۶ و ۱۷۲.

[۲۶۳] (۱۵) علی بن الحسین: أمّه بنت یزدجرد کما فی الباب العاشر من ربیع الأبرار للزمخشری راجع ج ۲ ورقة ۴۴، مصورة مکتبة أمیر المؤمنین فی النجف تسلسل ۲۰۵۹، أدب. و ماتت فی نفاسها به، فکفله بعض أمهات ولد أبیه، و زوّجها علی بن الحسین بعد أبیه (عیون أخبار الرضا ۲/ ۱۲۸) و یبدو أنها کانت تسمی غزالة. توفی علی بن الحسین بالمدینة سنة خمس و تسعین. و روی عنه أصحاب الصحاح بعض الأحادیث و استشهاده بآیة التطهیر جاء فی تفسیر الآیة بتفسیر الطبری.

ترجمته بوفیات الأعیان ۲/ ۴۲۱. و تاریخ الیعقوبی ۲/ ۳۰۳.

[۲۶۴] (۱۶) روایة ابن عباس فی تفسیر الآیة و آیة\i وَ أْمُرْ أَهْلَکَ\E. من الدر المنثور.

و عن أبی الحمراء، قال : حفظت رسول اللّه ثمانیة أشهر بالمدینة لیس من مرّة یخرج إلی صلاة الغداة، إلّا أتی باب علیّ، فوضع یده علی جنبتی الباب، ثم قال: «الصلاة، إِنَّما یُرِیدُ اللَّهُ ...»[۲۶۵].

ص: ۲۲۴

و قال أبو برزة: إنّه صلّی مع رسول اللّه سبعة أشهر، فإذا خرج من بیته أتی باب فاطمة ...[۲۶۶].

و عن أنس بن مالک ستّة أشهر[۲۶۷]. و روی- أیضا- غیرهم فی ذلک.

۲- آیة المباهلة:

قال اللّه سبحانه فی سورة آل عمران:

إِنَّ مَثَلَ عِیسی عِنْدَ اللَّهِ کَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ (الآیة/ ۵۹) فَمَنْ حَاجَّکَ فِیهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَکَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَکُمْ وَ نِساءَنا وَ نِساءَکُمْ وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَکُمْ ثُمَّ نَ بْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَی الْکاذِبِینَ (الآیة/ ۶۱)

تفصیل الخبر:

فی السنة العاشرة من الهجرة کتب رسول اللّه (ص) الی نصاری نجران یدعوهم الی الإسلام[۲۶۸].

قال المقریزی:

و أرسل نصاری نجران العاقب و السّیّد فی نفر، فأرادوا مباهلة رسول اللّه (ص)، فخرج و معه فاطمة و علیّ و الحسن و الحسین- علیهم السلام-. فلما

ص: ۲۲۵

رأوهم قالوا: هذه وجوه لو أقسمت علی اللّه أن یزیل الجبال لأزالها !! و لم یباهلوا، و صالحوا علی ألفی حلة: ثمن کل حلة أربعون درهما، و علی أن یضیفوا رسل رسول اللّه (ص). و جعل لهم- علیه السلام- ذمّة اللّه و عهده علی ألا یفتنوا عن دینهم، و لا یعشروا، و لا یحشروا، و لا یأکلوا الرّبا و لا یتعاملوا به[۲۶۹].

---

[۲۶۵] (۱۷) أبو الحمراء: مولی رسول اللّه، اسمه هلال بن الحارث أو ابن ظفر، و الحدیث بترجمته فی الاستیعاب ۲/ ۵۹۸. و أسد الغابة ۵/ ۱۷۴. و مجمع الزوائد ۹/ ۱۶۸.

[۲۶۶] (۱۸) أبو برزة الأسلمی: اختلفوا فی اسمه. توفّی فی البصرة سنة ستّین أو أربع و ستّین . روی عنه أصحاب الصحاح ۲۰ أو ۴۶ حدیثا. ترجمته بأسد الغابة و جوامع السیرة ص ۲۸۰ و ۲۸۳.

و حدیثه المذکور فی مجمع الزوائد ۹/ ۱۶۹، لفظه: سبعة عشر شهرا و نراه من غلط النساخ.

[۲۶۷] (۱۹) روایة أنس بمسند أحمد ۳/ ۲۵۲. و الطیالسی ۷/ ۲۷۴، ح ۲۵۰۹. و أسد الغابة ۵/ ۵۲۱. و تفسیر الآیة عند ابن جریر و السیوطی.

[۲۶۸] (۲۰) تاریخ ابن کثیر ۵/ ۵۳- ۵۴، ط سنة ۱۳۵۱ ه ط. السعادة.

و فی صحیح مسلم و سنن الترمذی و مستدرک الحاکم بسندهم عن سعد بن ابی وقاص قال:

و لمّا نزلت هذه الآیة فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَکُمْ دعا رسول اللّه (ص) علیا و فاطمة و حسنا و حسینا، فقال: اللهم هؤلاء أهلی.

و فی مسند أحمد أهل بیتی[۲۷۰].

شرح الکلمات:

نجران: من بلاد الیمن.

و ابتهل الی اللّه: تضرع و اجتهد فی الدعاء.

و لا یعشروا: لا یؤخذ عشر أموالهم فی التجارات.

و لا یحشروا: لا یؤخذوا الی المغازی.

و فصل الخبر ابن کثیر فی تاریخه[۲۷۱].

ص: ۲۲۶

۳- الآیات الأولی من سورة براءة و خبر تبلیغها:

قال اللّه سبحانه:

بَراءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ إِلَی الَّذِینَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِکِینَ* فَسِیحُوا فِی الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ اعْلَمُوا أَنَّکُمْ غَیْرُ مُعْجِزِی اللَّهِ وَ أَنَّ اللَّهَ مُخْزِی الْکافِرِینَ* وَ أَذانٌ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ إِلَی النَّاسِ یَوْمَ الْحَجِّ الْأَکْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِیءٌ مِنَ الْمُشْرِکِینَ وَ رَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَیْرٌ لَکُمْ وَ إِنْ تَوَلَّیْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّکُمْ غَیْرُ مُعْجِزِی اللَّهِ وَ بَشِّرِ الَّذِینَ کَفَرُوا بِعَذابٍ أَلِیمٍ* إِلَّا الَّذِینَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِکِینَ ثُمَّ لَمْ یَنْقُصُوکُمْ شَیْئاً وَ لَمْ یُظاهِرُوا عَلَیْکُمْ أَحَداً فَأَتِمُّوا إِلَیْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلی مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ یُحِبُّ الْمُتَّقِینَ* فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِکِینَ حَیْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَ خُذُوهُمْ وَ احْصُرُوهُمْ وَ اقْعُدُوا لَهُمْ کُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تابُوا وَ أَقامُوا الصَّلاةَ وَ آتَوُا الزَّکاةَ فَخَلُّوا سَبِیلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ (الآیات/ ۱- ۵)

کیفیة تبلیغ الآیات لکفار قریش:

---

[۲۶۹] (۲۱) امتاع الاسماع للمقریزی ص ۵۰۲ العاقب و السید من رؤساء نصاری نجران. ط، القاهرة ۱۹۴۱ م.

[۲۷۰] (۲۲) صحیح مسلم ۷/ ۱۲۰ و سنن الترمذی ط. المدینة ۴/ ۱۹۳ و مسند احمد ۱/ ۱۸۵ و مستدرک الحاکم ۳/ ۱۵۰ و راجع حوادث السنة العاشرة فی تاریخ ابن الاثیر ۲/ ۱۱۲ و أسد الغابة ۴/ ۲۶ و فی تفسیر الآیة فی تفسیر ابن کثیر عن جابر ۱/ ۳۷۰.

[۲۷۱] (۲۳) تاریخ ابن کثیر ۵/ ۵۴- ۵۵.

فی سنن الترمذی و تفسیر الطبری و خصائص النسائی و مستدرک الصحیحین و غیرها عن أنس و ابن عبّاس و سعد بن أبی وقّاص و عبد اللّه بن عمر و أبی سعید الخدری و عمر بن میمون و علیّ بن أبی طالب [۲۷۲]، و أبی بکر. و نختار هنا ذکر موجز روایة الامام علیّ الواردة فی مسند أحمد، قال:

دعا النبیّ أبا بکر فبعثه ببراءة لأهل مکّة، لا یحجّ بعد العام مشرک و لا یطوف بالبیت عریان و لا یدخل الجنة إلّا نفس مسلمة، و من کان بینه و بین

رسول اللّه (ص) مدّة فأجله إلی مدّته، و اللّه بریء من المشرکین و رسوله.

قال: فسار بها ثلاثا ثمّ قال لعلیّ: «الحقه فردّ علیّ أبا بکر و بلّغها أنت».

قال: ففعل. فلمّا قدم علی النبیّ (ص) أبو بکر بکی و قال: یا رسول اللّه حدث فیّ شیء؟

قال: «ما حدث فیک إلّا خیر، و لکنیّ أمرت أن لا یبلّغه إلّا أنا أو رجل منّی» [۲۷۳].

و فی روایة عبد اللّه بن عمر: «و لکن قیل لی: أنّه لا یبلّغ عنک إلّا أنت أو رجل منک» [۲۷۴].

و فی روایة أبی سعید الخدری: «لا یبلّغ عنّی غیری أو رجل منّی» [۲۷۵].

تدلّنا القرائن الحالیة و المقالیة فی المقام، أنّ القصد من التبلیغ فی هذه الروایات و ما شابهها تبلیغ ما أوحی اللّه إلی رسوله من أحکام إلی المکلّفین بها فی بادئ الأمر، و هذا ما لا یقوم به إلّا الرسول أو رجل من الرسول.

و یقابل هذا التبلیغ التبلیغ الّذی یقوم به المکلّفون بتلک الأحکام بعد ما بلّغوا بها بواسطة الرسول أو رجل من الرسول، فإنّ لهم عند ذاک أن یقوموا بتبلیغها إلی غیرهم، و یطّرد جواز هذا التبلیغ و رجحانه و یتسلسل مع کلّ من بلغه الحکم إلی أبد الدهر.

و واضح أنّ الرسول (ص) عنی بقوله: «لا یبلّغ عنّی غیری أو رجل منّی» التبلیغ من النوع الأوّل.

---

[۲۷۲] (۲۴) سنن الترمذی ۱۳/ ۱۶۴- ۱۶۵. و مسند احمد ۱/ ۱۵۱، و ۳/ ۲۸۳، و راجع ۱/ ۱۵۰.

و خصائص النسائی ص ۲۸- ۲۹. و تفسیر الطبری ۱۰/ ۴۶. و مستدرک الصحیحین ۳/ ۵۱ و ۵۲.

و مجمع الزوائد ۷/ ۲۹، و ۹/ ۱۱۹.

[۲۷۳] (۲۵) مسند أحمد ۱/ ۳، ح ۴ من مسند أبی بکر و قال أحمد شاکر:(اسناده صحیح). و راجع کنز العمال ط: ۲، ۲/ ۲۶۷ و ۲۷۰ و ذخائر العقبی ص ۶۹.

[۲۷۴] (۲۶) فی مستدرک الصحیحین ۳/ ۵۱.

[۲۷۵] (۲۷) فی الدرّ المنثور بتفسیر:\i بَراءَةٌ مِنَ اللَّهِ\E.

۴- آية يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْکَ ...

روى الحاكم الحسكانى:

(عن ابن عباس و جابر قالا : أمر اللّه محمدا (ص) أن ينصب عليّا للناس ليخبرهم بولايته، فتخوّف رسول اللّه (ص) أن يقولوا حابى ابن عمّه، و أن يطعنوا فى ذلک عليه، فأوحى اللّه إليه:

يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْکَ مِنْ رَبِّکَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَ اللَّهُ يَعْصِمُکَ مِنَ النَّاسِ (المائدة/ ۶۷).

فقال رسول اللّه (ص) بولايته يوم غدير خمّ)[۲۷۶].

و روى عن زياد بن المنذر أنّه كان يقول: (كنت عند أبى جعفر محمد بن علىّ (ع) و هو يحدّث الناس إذ قام إليه رجل من أهل البصرة يقال له عثمان الأعشى- كان يروى عن الحسن البصرى- فقال له: يا ابن رسول اللّه، جعلنى اللّه فداک، إنّ الحسن يخبرنا أنّ هذه الآية نزلت بسبب رجل، و لا يخبرنا من الرجل يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْکَ مِنْ رَبِّکَ .... فقال: لو أراد أن يخبر به لأخبر به، و لكنّه يخاف.

إنّ جبرئيل هبط إلى النبىّ (ص)- إلى قوله:- فقال: إنّ اللّه يأمرک أن تدلّ أمّتک على ولىّهم على مثل ما دللتهم عليه من صلاتهم و زكاتهم و صيامهم و حجّهم، ليلزمهم الحجّة من جميع ذلک، فقال رسول اللّه (ص): يا ربّ إنّ قومى

ص: ۲۲۹

قريب و عهد بالجاهليّة، و فيهم تنافس و فخر، و ما منهم رجل إلّا و قد وتره وليهم، و إنى أخاف- أى من تكذيبهم-. فأنزل اللّه تعالى: يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْکَ مِنْ رَبِّکَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ - يريد فما بلّغتها تامة- وَ اللَّهُ يَعْصِمُکَ مِنَ النَّاسِ فلمّا ضمن اللّه له بالعصمة و خوفه أخذ بيد علىّ ...)[۲۷۷].

و روى الحاكم الحسكانى:

عن ابن عبّاس فى حديث المعراج، أنّ اللّه- عزّ اسمه- قال لنبيّه فى ما قال: «و إنّى لم أبعث نبيّا إلّا و جعلت له وزيرا، و إنّک رسول اللّه (ص) و إنّ عليّا وزيرک».

قال ابن عباس: [فهبط][۲۷۸] رسول اللّه (ص) فكره أن يحدث الناس بشىء منها إذ كانوا حديثى عهد بالجاهليّة- إلى قوله:- فاحتمل رسول اللّه حتّى إذا كان اليوم الثامن عشر أنزل اللّه عليه : يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْکَ ...- إلى قوله:- فقال:

---

[۲۷۶] (۲۸) الحافظ عبيد اللّه بن عبد اللّه بن أحمد المعروف بالحاكم الح سكانى، الحذاء الحنفى النيسابورى، من أعلام القرن الخامس الهجرى، ترجمته فى تذكرة الحفاظ ط. الهند ۴/ ۳۹۰، و ط.

مصر ۳/ ۱۲۰۰، بآخر الطبقة ۱۴. و قد رجعنا إلى كتابه شواهد التنزيل لقواعد التفصيل فى الآيات النازلة فى أهل البيت، تحقيق محمد باقر المحمودى ط . بيروت عام ۱۳۹۳ ه. و الحديث فى ۱/ ۱۹۲ و رقم الحديث ۲۴۹.

[۲۷۷] (۲۹) شواهد التنزيل ۱/ ۱۹۱، و راجع تفسير الآية فى أسباب النزول للواحدى، و نزول القرآن لأبى نعيم.

[۲۷۸] (۳۰) كذا جاءت.

«يا أيّها الناس، إنّ اللّه أرسلنى إليكم برسالة، و إنّى ضقت بها ذرعا، مخافة أن تتّهمونى و تكذّبونى، حتّى عاتبنى ربّى فيها بوعيد أنزله علىّ ...»[۲۷۹].

و روى الحسكانى و ابن عساكر: عن أبى هريرة: أنزل اللّه عزّ و جلّ:

يا أيّها الرّسول بلّغ ما أنزل إليک من ربّک- فى علىّ بن أبى طالب- و إن لم تفعل فما بلّغت رسالته ...[۲۸۰].

قصد أبو هريرة أنّ المقصود أن يبلّغ ما نزل فى علىّ.

ص: ۲۳۰

روى الحسكانى: (عن عبد اللّه بن أبى اوفى، قال : سمعت رسول اللّه (ص) يقول يوم غدير خمّ و تلا هذه الآية : يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْکَ ... ثمّ رفع يديه حتّى يرى بياض إبطيه، ثمّ قال: «ألّا من كنت مولاه ...»)[۲۸۱].

و روى الواحدى فى أسباب النزول و السيوطى فى الدّر المنثور عن أبى سعيد الخدرى قال : نزلت هذه الآية فى علىّ بن أبى طالب:

يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْکَ مِنْ رَبِّکَ[۲۸۲].

و فى تفسير السيوطى: (عن ابن مسعود قال : كنّا نقرأ على عهد رسول اللّه (ص) يا أيّها الرسول بلّغ ما أنزل إليک من ربّک- أنّ عليا مولى المؤمنين- و إن لم تفعل فما بلّغت رسالته ...)[۲۸۳].

قصد ابن مسعود أنّهم كانوا على عهد رسول اللّه يقرءون فى تفسير الآية هكذا.

و كان نزول هذه الآية فى غدير خمّ، و فى ما يلى تفصيل الخبر.

ص: ۲۳۱

خبر الغدير:

---

[۲۷۹] (۳۱) شواهد التنزيل للحسكانى ۱/ ۱۹۲- ۱۹۳، و فى ص ۱۸۹ منه نزول الآية فقط.

[۲۸۰] (۳۲) شواهد التنزيل للحسكانى ۱/ ۱۸۷، و رواها ابن عساكر بترجمة الإمام على من تاريخ دمشق بطرق كثيرة فى الحديث ۴۵۲.

[۲۸۱] (۳۲) الحسكانى ۱/ ۱۹۰.

و عبد اللّه بن أبى أوفى: علقمة بن خالد الحارث الأسلمى. صحابىّ شهد الحديبية، و عمّر بعد النبىّ(ص)، مات سنة ست أو سبع و ثمانين، و هو آخ ر من مات بالكوفة من الصحابة. و أخرج حديثه جميع أصحاب الصحاح. ترجمته بتقريب التهذيب ۱/ ۴۰۲. و أسد الغابة ۳/ ۱۲۱.

[۲۸۲] (۳۳) أسباب النزول ص : ۱۳۵. و الدرّ المنثور ۲/ ۲۹۸، و أراه هو الحديث المرقم ۲۴۴ من شواهد التنزيل، و راجع فتح القدير ۲/ ۵۷، و تفسير النيسابورى ۶/ ۱۹۴.

الواحدى، هو أبو الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى(ت: ۴۶۸ ه)، و رجعنا إلى كتابه أسباب النزول ط. بيروت سنة ۱۳۹۵ ه.

[۲۸۳] (۳۴) الدرّ المنثور ۲/ ۲۹۸.

لمّا صدر رسول اللّه من حجّة الوداع [۲۸۴] نزلت عليه فى اليوم الثامن عشر من ذى الحجة [۲۸۵] آية يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْکَ ... [۲۸۶]. فنزل غدير خمّ من الجحفة [۲۸۷] و كان يتشعب منها طريق المدينة و مصر و الشام [۲۸۸] و وقف هناک حتّى لحقه من بعده و ردّ من كان تقدّم [۲۸۹] و نهى أصحابه عن سمرات متفرقات بالبطحاء أن ينزلوا تحتهنّ، ثمّ بعث إليهنّ فقمّ ما تحتهن من الشوک [۲۹۰] و نادى بالصلاة جامعة [۲۹۱] و عمد إليهن [۲۹۲] و ظلّل لرسول اللّه (ص) بثوب على شجرة سمرة من الشمس [۲۹۳]، فصلى الظهر بهجير [۲۹۴]، ثمّ قام خطيبا، فحمد اللّه و أثنى عليه، و ذكر و وعظ، و قال ما شاء اللّه أن يقول، ثم قال : «إنّى أوشک ان أدعى فأجيب، و إنّى مسئول و أنتم مسئولون، فما ذا أنتم قائلون؟»

قالوا: نشهد أنّک بلّغت و نصحت فجزاک اللّه خيرا.

قال: «أ ليس تشهدون أن لا إله إلّا اللّه و أنّ محمدا عبده و رسوله و أنّ الجنّة حقّ و أنّ النار حقّ؟».

قالوا: بلى نشهد ذلک.

قال: «اللهمّ اشهد».

ثمّ قال: «أ لا تسمعون؟».

قالوا: نعم.

قال: «يا أيّها الناس إنّى فرط و أنتم واردون علىّ الحوض و إن عرضه ما بين بصرى إلى صنعاء [۲۹۵] فيه عدد النجوم قدحان من فضّة، و إنّى سائلكم عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفونى فيهما».

فنادى مناد: و ما الثقلان يا رسول اللّه؟

---

[۲۸۴] (۳۵) مجمع الزوائد ۹/ ۱۰۵ و ۱۶۳- ۱۶۵. و أنقل عن هذه الصفحات فى ما يأتى من هذا البحث.

[۲۸۵] (۳۶) رواه الحاكم الحسكانى فى ۱/ ۱۹۲- ۱۹۳.

[۲۸۶] (۳۷) سبق ذكر مصادره.

[۲۸۷] (۳۸) مجمع الزوائد ۹/ ۱۶۳- ۱۶۵. و ابن كثير ۵/ ۲۰۹- ۲۱۳.

[۲۸۸] (۳۹) مادة(الجحفة) من معجم البلدان.

[۲۸۹] (۴۰) فى تاريخ ابن كثير ۵/ ۲۱۳.

[۲۹۰] (۴۱) مجمع الزوائد ۹/ ۱۰۵ و السمر: نوع من الشجر، و قم: كنس، و قريب منه لفظ ابن كثير ۵/ ۲۰۹.

[۲۹۱] (۴۲) مسند أحمد ۴/ ۲۸۱. و سنن ابن ماجة باب فضل على، و تاريخ ابن كثير ۵/ ۲۰۹، و ۵/ ۲۱۰.

[۲۹۲] (۴۳) مجمع الزوائد ۹/ ۱۶۳- ۱۶۵.

[۲۹۳] (۴۴) مسند أحمد ۴/ ۳۷۲. و ابن كثير ۵/ ۲۱۲.

[۲۹۴] (۴۵) مسند أحمد ۴/ ۲۸۱، سنن ابن ماجة باب فضل على. و ابن كثير ۵/ ۲۱۲.

[۲۹۵] (۴۶) كانت بصرى اسما لقرية بالقرب من دمشق، و أخرى بالقرب من بغداد.

قال: «كتاب اللّه، طرف بيد اللّه و طرف بأيديكم، فاستمسكوا به ، لا تضلّوا و لا تبدّلوا، و عترتى أهل بيتى، و قد نبّأنى اللّطيف الخبير أنّهما لن يتفرّقا حتّى يردا علىّ الحوض، سألت ذلک لهما ربّى، فلا تقدموهما فتهلكوا، و لا تقصروا عنهما فتهلكوا، و لا تعلّموهما فهم أعلم منكم»[۲۹۶].

ثم قال: «أ لستم تعلمون أنّى أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟».

قالوا: بلى يا رسول اللّه[۲۹۷].

قال: «أ لستم تعلمون- أو تشهدون- أنّى أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟»

ص: ۲۳۳

قالوا: بلى يا رسول اللّه[۲۹۸].

ثمّ، أخذ بيد علىّ بن أبى طالب بضبعيه، فرفعها، حتّى نظر الناس إلى بياض إبطيهما [۲۹۹]، ثمّ قال: «أيّها الناس! اللّه مولاى و أنا مولاكم[۳۰۰]؛ فمن كنت مولاه، فهذا علىّ مولاه.[۳۰۱] اللهمّ وال من والاه، و عاد من عاداه[۳۰۲]، و انصر من نصره، و اخذل من خذله[۳۰۳]، و أحبّ من أحبّه، و أبغض من أبغضه»[۳۰۴].

ثمّ قال: «اللهمّ اشهد»[۳۰۵].

ثمّ لم يتفرقا- رسول اللّه و علىّ- حتّى نزلت هذه الآية:

الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً (المائدة/ ۳).

---

[۲۹۶] (۴۷) مجمع الزوائد ۹/ ۱۶۲- ۱۶۳ و ۱۶۵، و بعض ألفاظه فى روايات الحاكم ۳/ ۱۰۹- ۱۱۰، و ابن كثير ۵/ ۲۰۹.

[۲۹۷] (۴۸) مسند أحمد ۱/ ۱۱۸ و ۱۱۹، ۴/ ۲۸۱. و سنن ابن ماجة ۱/ ۴۳ ح ۱۱۶، و جاء(نعم) فى مسند أحمد ۴/ ۲۸۱ و ۳۶۸ و ۳۷۰ و ۳۷۲. و ابن كثير ۵/ ۲۰۹، ولدى ابن كثير ۵/ ۲۱۰:(أ لست أولى بكلّ امرئ من نفسه).

[۲۹۸] (۴۹) مسند أحمد ۴/ ۲۸۱ و ۳۶۸ و ۳۷۰ و ۳۷۲، و ابن كثير ۵/ ۲۰۹ و ۲۱۲.

[۲۹۹] (۵۰) فى رواية الحاكم الحسكانى ۱/ ۱۹۰، فرفع يديه حتّى يرى بياض إبطيه. و فى ص ۱۹۳ منه: حتّى بان بياض إبطيهما. و ضبعاه: الضّبع بسكون الباء: وسط العضد بلحمه. لسان العرب مادة:(ضبع).

[۳۰۰] (۵۱) الحاكم الحسكانى فى شواهد التنزيل ۱/ ۱۹۱، و عند ابن كثير ۵/ ۲۰۹: و أنا مولى كلّ مؤمن.

[۳۰۱] (۵۲) فى جميع المصادر الّتى ذكرناها إلى هنا فى جميع روايات الباب.

[۳۰۲] (۵۳) مسند أحمد ۱/ ۱۱۸ و ۱۱۹ و ۴/ ۲۸۱ و ۳۷۰ و ۳۷۲ و ۳۷۳ و ۵/ ۳۴۷ و ۳۷۰. و مستدرک الحاكم ۳/ ۱۰۹. و سنن ابن ماجة، باب فضل علىّ. و الحاكم الحسكانى ۱/ ۱۹۰ و ۱۹۱. و تاريخ ابن كثير ۵/ ۲۰۹ و ۲۱۰- ۲۱۳، و قال ابن كثير فى ۵/ ۲۰۹: فقلت لزيد: هل سمعته من رسول اللّه؟ فقال: ما كان فى الدوحات أحد إلّا رآه بعينه و سمعه بأذنيه. ثمّ قال ابن كثير: قال شيخنا أبو عبد اللّه الذهبى: و هذا حديث صحيح.

[۳۰۳] (۵۴) مسند أحمد ۱/ ۱۱۸ و ۱۱۹. و مجمع الزوائد ۹/ ۱۰۴ و ۱۰۵ و ۱۰۷. و شواهد التنزيل ۱/ ۱۹۳. و تاريخ ابن كثير ۵/ ۲۱۰ و ۲۱۱.

[۳۰۴] (۵۵) شواهد التنزيل للحسكانى ۱/ ۱۹۱. و تاريخ ابن كثير ۵/ ۲۱۰.

[۳۰۵] (۵۶) شواهد التنزيل ۱/ ۱۹۰.

فقال رسول اللّه (ص): اللّه أكبر على إكمال الدين و إتمام النعمة، و رضا الربّ برسالتى و الولاية لعلى[۳۰۶].

و فى باب ما نزل من القرآن بالمدينة من تاريخ اليعقوبى:

(إنّ آخر ما نزل عليه : الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ ... و هى الرواية الصحيحة الثابتة، و كان نزولها يوم النصّ على أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب- صلوات اللّه عليه- بغدير خمّ)[۳۰۷].

فلقيه عمر بن الخطاب بعد ذلک، فقال له:

هنيئا لک يا ابن أبى طالب، اصبحت و أمسيت مولى كلّ مؤمن و مؤمنة[۳۰۸].

و فى رواية قال له: بخ بخ لک يا ابن أبى طالب[۳۰۹].

و فى رواية أخرى: هنيئا لک يا ابن ابى طالب، أصبحت و أمسيت مولى كلّ مؤمن و مؤمنة[۳۱۰].

۵- آية الولاية:

قال اللّه سبحانه فى سورة المائدة إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ ر اكِعُونَ (الآية/ ۵۵) فى تفسير الطبرى، و أسباب النزول للواحدى و شواهد التنزيل للحاكم

الحسكانى و أنساب الأشراف للبلاذرى و غيرها[۳۱۱]: عن ابن عباس و أبى ذرّ و أنس بن مالک و الإمام علىّ و غيرهم ما خلاصته:

---

[۳۰۶] (۵۷) رواه الحاكم الحسكانى عن أبى سعيد الخدرى ۱/ ۱۵۷- ۱۵۸ ح ۲۱۱ و ۲۱۲، و عن أبى هريرة ص ۱۵۸ ح ۲۱۳، و فى تاريخ ابن كثير ۵/ ۲۱۴ بإيجاز.

[۳۰۷] (۵۸) اليعقوبى ۲/ ۴۳.

[۳۰۸] (۵۹) مسند أحمد ۴/ ۴۸۱. و لفظ(بعد ذلک) من تاريخ ابن كثير ۵/ ۲۱۰.

[۳۰۹] (۶۰) شواهد التنزيل ۱/ ۱۵۷ و ۱۵۸.

[۳۱۰] (۶۱) مسند أحمد ۴/ ۲۸۱، و سنن ابن ماجة باب فضائل علىّ، و الرياض النضرة ۲/ ۱۶۹، و لفظ(بعد ذلک) فى تاريخ ابن كثير ۵/ ۲۱۰.

[۳۱۱] (۶۲) تفسير الطبرى ۶/ ۱۸۶. و أسباب النزول للواحدى ص ۱۳۳- ۱۳۴، و فى شواهد التنزيل ۱/ ۱۶۱- ۱۶۴ خمس روايات عن ابن عباس و فى ص ۱۶۵- ۱۶۶ روايتان عن أنس بن مالک، و ستّ روايات أخرى فى ص ۱۶۷- ۱۶۹. و أنساب الأشراف للبلاذرى ح ۱۵۱ من ترجمة الإمام ۱/ الورقة ۲۲۵. و غرائب القرآن للنيسابورى بهامش الطبرى ۶/ ۱۶۷- ۱۶۸. و أخرج السيوطى كثيرا من روايتها فى تفسيره ۲/ ۲۹۳- ۲۹۴، و قال فى لباب النقول فى أسباب النزول ص ۹۰- ۹۱ بعد إيراد الروايات:(فهذه شواهد يقوّى بعضها بعضا).

(إنّ فقيرا من فقراء المسلمين دخل مسجد الرسول (ص) و سأل، و كان علىّ راكعا فى صلاة غير فريضة، فأوجع قلب علىّ كلام السائل، فأومأ بيده اليمنى إلى خلف ظهره، و كان فى إصبعه خاتم عقيق يمانى أحمر يلبسه فى الصلاة، و أشار الى السائل بنزعه، فنزعه، و دعا له و مضى، فما خرج أحد من المسجد حتّى نزل جبرئيل (ع) بقول اللّه عزّ و جل: إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ ... الآية.

فأنشأ حسّان بن ثابت يقول أبياتا منها قوله:

أبا حسن تفديک نفسى و مهجتى — و كلّ بطىء فى الهدى و مسارع

فأنت الذى أعطيت إذ أنت راكع — فدتک نفوس القوم يا خير راكع

فأنزل فيک اللّه خير ولاية — فأثبتها فى محكمات الشرائع

۶- آية النجوى:

قال اللّه سبحانه فى سورة المجادلة/ ۱۲.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْواكُمْ صَدَقَةً

ص: ۲۳۶

قال الطبرى: (نهوا عن مناجات النبىّ (ص) حتّى يتصدّقوا، فلم يناجه أحد إلّا علىّ بن أبى طالب)[۳۱۲].

و فى أسباب النزول للواحدى و غيره عن الإمام علىّ: (كان لى دينار فبعته و كنت إذا ناجيت الرسول (ص) تصدّقت بدرهم حتّى نفد)[۳۱۳].

و فى رواية: (كان عندى دينار فصرفته بعشر دراهم فكنت إذا جئت إلى النبىّ (ص) ...)[۳۱۴].

و روى الزمخشرى فى تفسير الآية (أنّه تصدق فى عشر كلمات سألهنّ رسول اللّه (ص)).

و فى رواية عن الإمام: إنّ فى كتاب اللّه لآية ما عمل بها أحد قبلى و لا يعمل بها أحد بعدى:

---

[۳۱۲] (۶۳) تفسير الطبرى ۲۸/ ۱۴- ۱۵. و الدرّ المنثور ۶/ ۱۸۵.

[۳۱۳] (۶۴) أسباب النزول الواحدى ص ۳۰۸، و الطبرى فى تفسير الآية.

[۳۱۴] (۶۵) تفسير الآية فى الدرّ المنثور ۶/ ۱۸۵. و الرياض النضرة ۲/ ۲۶۵.

آية النجوى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا ناجَيْتُمُ ... الآية، كان عندى دينار- إلى قوله:- ثمّ نسخت فلم يعمل بها أحد، فنزلت: أَ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْواكُمْ صَدَقاتٍ ... (المجادلة/ ١٣)[٣١٥].

٧- آية سورة براءة:

أَ جَعَلْتُمْ سِقايَةَ الْحاجِّ وَ عِمارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ جاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَ هاجَرُوا وَ جاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَ أُولئِكَ هُمُ الْفائِزُونَ (الآيات/ ١٩- ٢٠)

ص: ٢٣٧

(أخرج ابن ابى حاتم و ابن مردويه عن ابن عباس (رض) فى قوله أَ جَعَلْتُمْ سِقايَةَ الْحاجِّ ... الآية.

و ذلک أن المشركين قالوا : عمارة بيت اللّه، و قيام على السقاية، خير ممن آمن و جاهد، فكانوا يفخرون بالحرم و يستكبرون به من أجل أنهم أهله و عماره، فذكر اللّه استكبارهم و اعراضهم، فقال لأهل الحرم من المشركين ... الى قوله:

لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ.

و اخرج ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبى حاتم عن ابن عباس (رض) قال: قال العباس (رض) حين أسر يوم بدر: إن كرتم سبقتمونا بالاسلام و الهجرة و الجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام، و نسقى الحاج، و نفک العانى، فأنزل اللّه أَ جَعَلْتُمْ سِقايَةَ الْحاجِّ ... الآية. يعنى أن ذلک كان فى الشرک فلا أقبل ما كان فى الشرک.

و أخرج ابن مردويه عن ابن عباس (رض) أَ جَعَلْتُمْ سِقايَةَ الْحاجِّ وَ عِمارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ ... الآية. قال: نزلت فى على بن أبى طالب و العباس (رض).

و أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظى (رض) قال: افتخر طلحة ابن شيبة، و العباس، و على بن أبى طالب، فقال طلحة: أنا صاحب البيت معى مفتاحه.

و قال العباس (رض): أنا صاحب السقاية و القائم عليها.

فقال على (رض): ما أدرى ما تقولون : لقد صليت الى القبلة قبل الناس، و أنا صاحب الجهاد فأنزل اللّه أَ جَعَلْتُمْ سِقايَةَ الْحاجِّ ... الآيات العشر.

و أخرج أبو نعيم فى فضائل الصحابة و ابن عساكر عن أنس (رض) قال:

قعد العباس و شيبة صاحب البيت يفتخران، فقال له العباس (رض): أنا أشرف منک، أنا عم رسول اللّه (ص) و وصيى أبيه، و ساقى الحجيج، فقال شيبة: أنا

[٣١٥] (٦٦) تفسير السيوطى ٦/ ١٨٥. و الرياض النضرة ٢/ ٢٦٥. و الكشاف ٤/ ٧٦.

أشرف منک، أنا أمین اللّه علی بیته و خازنه، أ فلا ائتمنک کما ائتمننی؟ فاطلع علیهما علیّ (رض) فأخبراه بما قالا. فقال علی (رض) أنا أشرف منکما، أنا أوّل من آمن و هاجر . فانطلقوا ثلاثتهم إلی النبی (ص) فأخبروه. فما أجابهم بشی ء، فانصرفوا فنزل علیه الوحی بعد أیام، فأرسل إلیهم فقرأ علیه أ جَعَلْتُمْ سِقایَةَ الْحاجِّ ...

إلی آخر الآیات.

و أخرج مسلم و أبو داود و ابن جریر و ابن المنذر و ابن أبی حاتم و ابن حیان و الطبرانی و أبو الشیخ و ابن مردویه عن النعمان بن بشیر (رض) قال: کنت عند منبر رسول اللّه (ص) فی نفر من اصحابه، فقال رجل منهم: ما أبالی ان لا أعمل للّه عملا بعد الاسلام إلا أن اسقی الحاج.

و قال آخر: بل عمارة المسجد الحرام.

و قال آخر: بل الجهاد فی سبیل اللّه خیر مما قلتم.

فزجرهم عمر (رض) و قال: لا ترفعوا أصواتکم عند منبر رسول اللّه (ص)- و ذلک یوم الجمعة- و لکن إذا صلیتم الجمعة دخلت علی رسول اللّه (ص) فأستفتیه فیما اختلفتم فیه، فأنزل اللّه أ جَعَلْتُمْ سِقایَةَ الْحاجِ إلی قوله وَ اللَّهُ لا یَهْدِی الْقَوْمَ الظَّالِمِینَ[۳۱۶].

ب- آیات تخصّ زوجات الرسول (ص):

آیات سورة التحریم.

قال اللّه سبحانه فی سورة التحریم:

وَ إِذْ أَسَرَّ النَّبِیُّ إِلی بَعْضِ أَزْواجِهِ حَدِیثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَ أَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَیْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَ أَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَها بِهِ قالَتْ مَنْ أَنْبَأَکَ هذا قالَ نَبَّأَنِیَ الْعَلِیمُ

الْخَبِیرُ* إِنْ تَتُوبا إِلَی اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُکُما وَ إِنْ تَظاهَرا عَلَیْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَ جِبْرِیلُ وَ صالِحُ الْمُؤْمِنِینَ وَ الْمَلائِکَةُ بَعْدَ ذلِکَ ظَهِیرٌ * عَسی رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَکُنَّ أَنْ یُبْدِلَهُ أَزْواجاً خَیْراً مِنْکُنَّ مُسْلِماتٍ مُؤْمِناتٍ قانِتاتٍ تائِباتٍ عابِ داتٍ سائِحاتٍ ثَیِّباتٍ وَ أَبْکاراً * یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَکُمْ وَ أَهْلِیکُمْ ناراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجارَةُ عَلَیْها مَلائِکَةٌ غِ لاظٌ شِدادٌ لا یَعْصُونَ اللَّهَ ما أَمَرَهُمْ وَ یَفْعَلُونَ ما یُؤْمَرُونَ * یا أَیُّهَا الَّذِینَ کَفَرُوا لا تَعْتَذِرُوا الْیَوْمَ إِنَّما تُجْزَوْنَ ما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَی اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسی رَبُّکُمْ أَنْ یُکَفِّرَ عَنْکُمْ سَیِّئاتِکُمْ وَ یُدْخِلَکُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ یَوْمَ

[۳۱۶] (۶۷) الدر المنثور للسیوطی ۳/ ۲۱۸- ۲۱۹.

لا يُخْزِى اللَّهُ النَّبِىَّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنا أَتْمِمْ لَنا نُورَنا وَ اغْفِرْ لَنا إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ* يا أَيُّهَا النَّبِىُّ جاهِدِ الْكُفَّارَ وَ الْمُنافِقِينَ وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ * ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ كانَتا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبادِنا صالِحَيْنِ فَخانَتاهُما فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُما مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَ قِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ* وَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قالَتْ رَبِّ ابْنِ لِى عِنْدَكَ بَيْتاً فِى الْجَنَّةِ وَ نَجِّنِى مِنْ فِرْعَوْنَ وَ عَمَلِهِ وَ نَجِّنِى مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ* وَ مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرانَ الَّتِى أَحْصَنَتْ فَرْجَها فَنَفَخْنا فِيهِ مِنْ رُوحِنا وَ صَدَّقَتْ بِكَلِماتِ رَبِّها وَ كُتُبِهِ وَ كانَتْ مِنَ الْقانِتِينَ (الآيات/ ٢- ١٢) أخرج البخارى و مسلم عن ابن عباس انه قال : كنت أريد أن أسال عمر عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول اللّه فمكثت سنة لم أجد له موضعا حتّى خرجت معه حاجا فلمّا كنّا بمرّ الظهران ذهب عمر لحاجته، فقال: أدركنى بالوضوء.

فأدركته بالإداوة، فجعلت اسكب عليه الماء، و رأيت موضعا، فقلت: يا أمير المؤمنين من المرأتان اللتان تظاهرتا؟

ص: ٢۴٠

قال ابن عباس «فما أتممت كلامى حتى قال: عائشة و حفصة»[٣١٧].

و لفظ الحديث فى مسند الطيالسى : (فقلت: يا أمير المؤمنين أريد أن أسألک عن حديث منذ سنة فمنعتنى هيبتک أن أسألک.

قال: لا تفعل، إذا علمت أن عندى علما فسلنى قال : قلت أسألک عن حديث المرأتين، قال : نعم حفصة و عائشة ...) الحديث[٣١٨].

و فى مسند أحمد: أردت أن أسأل عمر فمكثت سنتين ... الحديث[٣١٩].

و لفظ الحديث فى رواية اخرى عن ابن عباس قال: لم أزل حريصا على أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبىّ اللتين قال اللّه- تعالى- إِنْ تَتُوبا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما حتّى حجّ و حججت معه ...- الى قوله- قال عمر: و اعجبا لک يا ابن عباس هما عائشة و حفصة ... الحديث[٣٢٠].

---

[٣١٧] (۶٨) البخارى كتاب التفسير تفسير سورة التحريم باب تبتغى مرضاة أزواجک ٣/ ١٣٧- ١٣٨، و كتاب اللباس باب ما كان النبى يتجوّز من اللباس و البسط ۴/ ٢٢، و مسلم كتاب الطلاق ٢/ ١١٠٨ و ١١١١.

مرّ الظهران: الظهران واد قرب مكّة و عنده قرية يقال لها مر تضاف إلى هذا الوادى و يقال مرّ الظهران. الحموى، معجم البلدان.

الاداوة: إناء صغير من جلد.

[٣١٨] (۶٩) مسند الطيالسى الحديث ٢٣.

[٣١٩] (٧٠) مسند احمد ١/ ۴٨.

[٣٢٠] (٧١) البخارى باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها ج ٣/ ١٧٢ و كتاب المظالم باب الغرفة و العليّة ٢/ ۴٧ و النسائى كتاب الصوم باب كم الشهر ١/ ٣٠٢، و طبعة تصحيح محمد فؤاد عبد الباقى ۴/ ١٣٧، و الترمذى سورة التحريم من كتاب التفسير ٢/ ۴٠٩ ط. الهند و طبعة مصر سنة ١٣٥٣ ه ١١/ ٢٠٩ و ابن سعد فى الطبقات ٨/ ١٨٢ و ١٩٠، و راجع تفسير القرطبى ١٨/ ١٨٩ و طبعة اخرى افست على طبعة مصر سنة ١٣٩٢ ٢٨/ ١٠٢، و مسلم ط. بيروت ٢/ ١١٠٨ كتاب الطلاق، كنز العمال ٢/ ٣٣٢ كتاب التفسير تفسير سورة التحريم ط. حيدرآباد سنة ١٣۶۴ ه.

ص: ۲۴۱

ج- فی ما یخص الصحابة:

مما نزل فی شأن الصحابة فی مکة قوله تعالی فی سورة النمل:

مَنْ کَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِیمانِهِ إِلَّا مَنْ أُکْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِیمانِ وَ لکِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْکُفْرِ صَدْراً فَعَلَیْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِیمٌ (الآیة/ ۱۰۶) (أخرج عبد الرزاق و ابن سعد و ابن جریر و ابن أبی حاتم و ابن مردویه و الحاکم و صححه، و البیهقی فی الدلائل من طریق أبی عبیدة بن محمد بن عمار، عن أبیه قال: أخذ المشرکون عمار بن یاسر، فلم یترکوه، حتی سبّ النبی (ص) و ذکر آلهتهم بخیر، ثم ترکوه، فلما أتی رسول اللّه (ص) قال: ما وراءک شیء؟

قال: شر ما ترکت حتی نلت منک و ذکرت آلهتهم بخیر.

قال: کیف تجد قلبک؟ قال: مطمئن بالایمان.

قال: إن عادوا فعد. فنزلت: إِلَّا مَنْ أُکْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِیمانِ و أخرج ابن سعد عن محمد بن سیرین «إن النبی (ص) لقی عمارا و هو یبکی، فجعل یمسح عن عینیه و یقول: أخذک الکفار فغطوک فی الماء فقلت کذا و کذا ... فإن عادوا فقل ذلک لهم».

و أخرج ابن جریر و ابن عساکر عن قتادة قال: ذکر لنا أن هذه الآیة إِلَّا مَنْ أُکْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِیمانِ نزلت فی عمار بن یاسر، أخذه بنو المغیرة فغطوه فی بئر و قالوا: اکفر بمحمد (ص) فاتبعهم علی ذلک و قلبه کاره فنزلت)[۳۲۱].

ص: ۲۴۲

مما نزل فی شأن الصحابة فی المدینة

۱- آیة: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْواتَکُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِیِّ وَ لا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ کَجَهْرِ بَعْضِکُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُکُمْ وَ أَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ (الحجرات/ ۲).

فی صحیح البخاری فی سورة الحجرات عن عبد اللّه بن الزبیر، أخبرهم أنّه قدم رکب من بنی تمیم علی النبی (ص)، فقال أبو بکر: أمّر القعقاع بن معبد.

و قال عمر بل أمّر الاقرع بن حابس.

فقال أبو بکر: ما أردت إلی أو إلّا خلافی.

---

[۳۲۱] (۷۲) السیوطی ۴/ ۱۳۲.

فقال عمر: ما أردت خلافک، فتماریا حتی ارتفعت أصواتهما، فنزل فی ذلک یا أیّها الذین آم نوا لا تقدموا بین یدی اللّه و رسوله، حتی انقضت الآیة. وَ لَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّی تَخْرُجَ إِلَیْهِمْ لَکانَ خَیْراً لَهُمْ[۳۲۲].

و فی حدیث قبله:

کاد الخیّران ان یهلکا: أبا بکر و عمر.

۲- آیة: إِنَّ الَّذِینَ تَوَلَّوْا مِنْکُمْ یَوْمَ الْتَقَی الْجَمْعا نِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّیْطانُ بِبَعْضِ ما کَسَبُوا وَ لَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِیمٌ (آل عمران/ ۱۵۵).

فی تفسیر الآیة بتفسیر الطبری و السیوطی عن ابن اسحاق انه قال:

إِنَّ الَّذِینَ تَوَلَّوْا مِنْکُمْ یَوْمَ الْتَقَی الْجَمْعانِ. فلان، و سعد بن عثمان، و عقبة بن عثمان الانصاریان، ثم الزرقیان.

و قد کان الناس انهزموا عن رسول اللّه (ص) حتی انتهی بعضهم إلی المنقی دون الأغوص، و فر عقبة بن عثمان، حتی بلغوا الجلعب- جبل بناحیة المدینة مما یلی الأغوص- فأقاموا به ثلاثا، ثم رجعوا إلی رسول اللّه (ص)،

ص: ۲۴۳

فزعموا أن رسول اللّه (ص) قال: «لقد ذهبتم فیها عریضة»[۳۲۳].

و فی تفسیر السیوطی : أخرج ابن المنذر و ابن أبی حاتم عن عبد الرحمن ابن عوف إِنَّ الَّذِینَ تَوَلَّوْا مِنْکُمْ یَوْمَ الْتَقَی الْجَمْعانِ قال: هم ثلاثة. واحد من المهاجرین، و اثنان من الانصار[۳۲۴].

و أخرج ابن جریر عن عکرمة فی قوله إِنَّ الَّذِینَ تَوَلَّوْا مِنْکُمْ یَوْمَ الْتَقَی الْجَمْعانِ قال: نزلت فی رافع بن المعلی و غیره من الانصار، و أبی حذیفة بن عتبة، و رجل آخر[۳۲۵].

و أخرج عبد بن حمید عن عکرمة قال: کان الذین ولوا الدبر یومئذ:

عثمان بن عفان، و سعد بن عثمان، و عقبة بن عثمان، أخوان من الأنصار من بنی زریق.

و کان فرار عثمان یوم أحد ممّا یعاب علیه کما عاب علیه عبد الرحمن بن عوف فاجاب عثمان کیف یعیرنی و قد عفا اللّه عنی فقال إِنَّ الَّذِینَ تَوَلَّوْا مِنْکُمْ ...[۳۲۶].

---

[۳۲۲] (۷۳) صحیح البخاری کتاب التفسیر تفسیر سورة الحجرات ۳/ ۱۹۰- ۱۹۱.

[۳۲۳] (۷۴) تفسیر الطبری ۴/ ۹۶، و السیوطی ۲/ ۸۹.

[۳۲۴] (۷۵) الدر المنثور للسیوطی ۲/ ۸۸- ۸۹.

[۳۲۵] (۷۶) تفسیر الطبری ۴/ ۹۶.

و قال الرازى فى تفسير الآية : و اعلم أن المراد : أن القوم الذين تولوا يوم أحد عند التقاء الجمعين و فارقوا المكان، و انهزموا قد عفا اللّه عنهم.

اختلفت الأخبار فيمن ثبت ذلک اليوم و فيمن تولى، فذكر محمد بن اسحاق أن ثلث الناس كانوا مجر وحين، و ثلثهم انهزموا، و ثلثهم ثبتوا، و اختلفوا فى المنهزمين، فقيل : ان بعضهم ورد المدينة و أخبر أن النبى (ص) قتل، و هو سعد ابن عثمان، ثم ورد بعده رجال دخلوا على نسائهم، و جعل النساء يقلن: عن رسول اللّه (ص) تفرون!

ص: ۲۴۴

و كن يحثين التراب فى وجوههم، و يقلن: هاک المغزل اغزل به، و منهم قال:

ان المسلمين لم يعدوا الجبل.

قال القفال و الذى تدل عليه الأخبار فى الجملة أن نفرا منهم تولوا و أبعدوا، فمنهم من دخل المدينة، و منهم من ذهب الى سائر الجوانب، و أما الاكثرون فانهم نزلوا عند الجبل و اجتمعوا هناک و من المنهزمين عمر، إلّا أنه لم يكن فى أوائل المنهزمين و لم يبعد، بل ثبت على الجبل الى أن صعد النبى (ص)، و منهم أيضا عثمان انهزم مع رجلين من الانصار يقال لهما سعد و عقبة، انهزموا حتى بلغوا موضعا بعيدا، ثم رجعوا بعد ثلاثة أيام، فقال لهم النبى (ص) «لقد ذهبتم فيها عريضة»[۳۲۷].

دراسة الخبر:

فى الرواية الاولى فلان و سعد و عقبة الانصاريان.

و فى خبر ما كان يعيبه عبد الرحمن بن عوف على عثمان نفهم انه كان عثمان الذى أصبح بعد ذلک خليفة، و لم يستحسنوا ذكر اسمه.

۳- آية: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلى ما فَعَلْتُمْ نادِمِينَ (الآية/ ۶).

فى تفسير الآية بتفسير الطبرى و السيوطى عن أم سلمة (رض) قالت:

بعث النبى (ص) الوليد بن عقبة إلى بنى المصطلق يصدق أموالهم، فسمع بذلک القوم فتلقوه يعظمون أمر رسول اللّه (ص)، فحدّثه الشيطان أنهم يريدون قتله، فرجع الى رسول اللّه (ص)، فقال: إن بنى المصطلق منعوا صدقاتهم، فبلغ القوم رجوعه، فأتوا رسول اللّه (ص) فقالوا: نعوذ باللّه من سخط اللّه و سخط رسوله بعثت إلينا رجلا مصدقا، فسررنا لذلک، و قرّت أعيننا ثم إنه رجع من بعض

---

[۳۲۶] (۷۷) الدر المنثور للسيوطى ۲/ ۸۸- ۸۹.

[۳۲۷] (۷۸) تفسير الفخر الرازى ۹/ ۵۰.

الطريق فخشينا أن يكون ذلک غضبا من اللّه و رسوله، و نزلت يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ ... الآية[۳۲۸].

۴- آية: وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَ لَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْ ءٌ وَ مَنْ قالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ وَ لَوْ تَرى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَراتِ الْمَوْتِ وَ الْمَلائِكَةُ باسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْ مَ تُجْزَوْنَ عَذابَ الْهُونِ بِما كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَ كُنْتُمْ عَنْ آياتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (الأنعام/ ۹۳).

أخرج السيوطى عن أبى خلف الأعمى قال: كان ابن أبى سرح يكتب للنبى (ص) الوحى، فأتى أهل مكة، فقالوا: يا ابن أبى سرح كيف كتبت لابن أبى كبشة القرآن؟

قال: كنت أكتب كيف شئت، فأنزل اللّه وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً[۳۲۹].

و فى المستدرک عن شرحبيل بن سعد قال : نزلت فى عبد اللّه بن أبى سرح وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَ لَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْ ءٌ الآية.

فلما دخل رسول اللّه (ص) مكة فرّ إلى عثمان أخيه من الرضاعة، فغيبه عنده حتى اطمأن أهل مكّة، ثم استأمن له[۳۳۰].

۵- آية: ... وَ ما جَعَلْنَا ا لرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْناکَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَ الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَ نُخَوِّفُهُمْ فَما يَزِ يدُهُمْ إِلَّا طُغْياناً كَبِيراً (الاسراء/ ۶۰) و فى تفسير الطبرى و السيوطى بسندهما عن سهل بن سعد قال : رأى رسول اللّه (ص) بنى فلان ينزون على منبره نزو القردة، فساءه ذلک، فما

استجمع ضاحكا حتى مات، و أنزل اللّه وَ ما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْناکَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ[۳۳۱].

و فى تفسير السيوطى عن ابن أبى حاتم بسنده عن يعلى بن مرة قال:

قال: رسول اللّه (ص): أريت بنى أميّة على منابر الأرض و سيتملكونكم فتجدونهم أرباب سوء.

و اهتمّ رسول اللّه (ص) لذلک: فأنزل اللّه وَ ما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْناکَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ[۳۳۲].

---

[۳۲۸] (۷۹) تفسير الطبرى ۲۶/ ۷۸، و تفسير السيوطى ۶/ ۸۸- ۹۲.

[۳۲۹] (۸۰) الدر المنثور للسيوطى ۳/ ۳۰.

[۳۳۰] (۸۱) المستدرک للحاكم ۳/ ۴۵- ۴۶.

[۳۳۱] (۸۲) تفسير الطبرى ۱۵/ ۷۷ و الدر المنثور للسيوطى ۴/ ۱۹۱.

[۳۳۲] (۸۳) تفسير السيوطى ۴/ ۱۹۱.

و فی تفسیر السیوطی عن ابن مردویه بسنده عن الحسین بن علی: ان رسول اللّه (ص) أصبح و هو مهموم، فقیل: مالک یا رسول اللّه؟ فقال: «إنّی أریت فی المنام کأنّ بنی أمیة یتعاورون منبری هذا».

فقیل: یا رسول اللّه، لا تهتم فإنّها دنیا تنالهم. فأنزل اللّه: وَ ما جَعَلْنَا الرُّؤْیَا الَّتِی أَرَیْناکَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ[۳۳۳].

و فی تفسیر السیوطی عن ابن ابی حاتم بسنده عن ابن عمر : أنّ النبیّ (ص) قال: رأیت ولد الحکم بن أبی العاص علی المنابر کأنّهم القردة و أنزل اللّه فی ذلک وَ ما جَعَلْنَا الرُّؤْیَا الَّتِی أَرَیْناکَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَ الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ یعنی: الحکم و ولده[۳۳۴].

و فی تفسیر السیوطی عن ابن عساکر و غیره بسندهم عن سعید بن المسیب قال : رأی رسول اللّه (ص) بنی أمیة علی المنابر، فساءه ذلک، فأوحی اللّه إلیه (إنّما هی دنیا أعطوها)، فقرت عینه، و هی قوله: وَ ما جَعَلْنَا الرُّؤْیَا الَّتِی

ص: ۲۴۷

أَرَیْناکَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ[۳۳۵].

و فی تفسیر السیوطی عن ابن مردویه بسنده عن عائشة أنّها قالت لمروان بن الحکم : سمعت رسول اللّه یقول لأبیک وجدک: إنکم الشجرة الملعونة فی القرآن[۳۳۶].

دراسة الخبر:

فی الروایة رأی رسول اللّه (ص) بنی فلان ینزون علی منبره. فمن هم بنو فلان؟

هم بنو أمیة الذین أصبحوا بعد الرسول ولاة المسلمین و لذلک لم یصرح الراوی بذکرهم.

ص: ۲۴۸

خلاصة بحث أخبار سیرة الرسول فی القرآن الکریم و نتائجها و آثارها:

جاء فی تفسیر الآیات:

أن آیة إِنَّما یُرِیدُ اللَّهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ هم الرسول و علی و فاطمة و الحسن و الحسین.

و أن تفسیر أبناءنا فی آیة المباهلة هما الحسن و الحسین و أنفسنا علی بن أبی طالب و نساءنا فاطمة.

---

[۳۳۳] (۸۴) تفسیر السیوطی ۴/ ۱۹۱.

[۳۳۴] (۸۵) تفسیر الدر المنثور للسیوطی ۴/ ۱۹۱.

[۳۳۵] (۸۶) تفسیر الدر المنثور للسیوطی ۴/ ۱۹۱.

[۳۳۶] (۸۷) تفسیر الدر المنثور للسیوطی ۴/ ۱۹۱.

و فی خبر إرسال الآیات الأولی من سورة البراءة إلی المشرکین أن رسول اللّه بعثها مع الصحابیین أبی بکر و عمر ثم أمر اللّه رسوله أن یبعثها مع علی ففعل ذلک.

و فی تفسیر یا أَیُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَیْکَ مِنْ رَبِّکَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ ... أن الرسول جمع الحجیج، و أخذ بید علی و قال: من کنت مولاه فهذا مولاه ... الحدیث.

و فی تفسیر إِنَّما وَلِیُّکُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِینَ آمَنُوا هو الامام علی.

و فی تفسیر آیة النجوی الذی دفع الصدقة و ناجی الرسول (ص) بین الصحابة هو الامام علی.

و فی تفسیر آیة أَ جَعَلْتُمْ سِقایَةَ الْحاجِّ وَ عِمارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ کَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ وَ جاهَدَ فِی سَبِیلِ اللَّهِ ... هو الامام فی مقابل العباس عم النبی الذی تفاخر بسقایة الحاج و طلحة الداری الذی تفاخر بعمارة البیت.

و فی تفسیر آیة: إِنْ تَتُوبا إِلَی اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُکُما انّهما أم المؤمنین عائشة و أم المؤمنین حفصة.

و فی تفسیر آیة: إِلَّا مَنْ أُکْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِیمانِ انّه الصحابی عمار ابن یاسر.

و فی تفسیر آیة: لا تَرْفَعُوا أَصْواتَکُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِیِ ان المقصود به الصحابیان أبی بکر و عمر.

و فی تفسیر آیة: إِنَّ الَّذِینَ تَوَلَّوْا مِنْکُمْ یَوْمَ الْتَقَی الْجَمْعانِ ان المقصود به الخلیفة عثمان و من فرّ معه یوم أحد.

و فی تفسیر آیة: إِنْ جاءَکُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ ... انه الولید بن عقبة.

و فی تفسیر آیة: أَوْ قالَ أُوحِیَ إِلَیَّ وَ لَمْ یُوحَ إِلَیْهِ هو عبد اللّه بن ابی سرح.

و فی تفسیر آیة: وَ الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِی الْقُرْآنِ انهم بنو أمیة.

*** کان ذلکم خلاصة البحث أما نتائجه و آثا ره، فسوف ندرسها فی بحث اختلاف المصاحف و زیادة القرآن و نقصانه ان شاء اللّه تعالی، و کان کل ما أوردناه الی هنا من بحوث قرآنیة تخص عصر الرسول و فی ما یأتی ندرس باذنه تعالی المصطلحات القرآنیة.

بحوث تمهیدیة «۳» مصطلحات اسلامیة قرآنیة

أ- الوحی و نزوله.

ب- القرآن و الكتاب و المصحف.

ج- السورة و الآية.

د- الجزء و الحزب.

ه- التلاوة و القراءة.

و- الجامع و الحافظ.

ز- الترتيل و التجويد.

ح- النسخ.

الخلاصة.

ص: ۲۵۳

مقدّمة البحث:

لعلوم الاسلام كسائر العلوم مصطلحات بها تفتح أبوابها و تدرک بحوثها و مع الأسف الشديد لم يعن العلماء منذ قرون بدراسة مصطلحات علوم القرآن كما عنوا- مثلا- بمصطلحات علوم الفقه، و على أثرها عرف المسلمون أحكام الاسلام مدى القرون.

و لعدم عنايتهم بدراسة مصطلحات علوم القرآن التبس أمر مصطلحات الاسلام فى علوم القرآن بمصطلحات المسلمين فيها، و لم تفهم معنى الروايات التى رويت فى شأن النسخ و القراءة و المصاحف و امثالها من بحوث علوم القرآن، و أدّى ذلک الى القول بعدم ثبوت النص القرآنى الذى أوحى الى الرسول (ص) فى عصرنا- معاذ اللّه- و اخطاء كبيرة أخرى تعرضنا لدراستها خلال بحوث هذا الكتاب، و يتوقف فهم المصطلحات القرآنية على استيعاب معانى المصطلحات التى شرحناها فى الجزء الأول من كتابنا «قيام الأئمة باحياء السنة».

و فى البحوث الآتية محاولة متواضعة لتعريف المصطلحات الاسلامية و مصطلحات المسلمين فى علوم القرآن، فإن أصبت فيها فمن اللّه، و إن اخطأت فمنى و حسبى نجاحا ان أوفق لجلب نظر الباحثين فى هذه العلوم إلى ضرورة القيام بدراسة تلک المصطلحات و عدم الركون الى بحوث السلف الصالح فى شأنها و تقليدهم فيها و اللّه المسئول ان يأخذ بايدينا فى سلوک هذا الطريق إنه نعم المولى و نعم النصير.

ص: ۲۵۵

أولا- الوحى و نزوله:

أ- الوحى فى اللغة و المصطلح الاسلامى:

فى اللغة:

أوحى إليه و له: أشار و أومأ، و كلمه بكلام خفى يخفى على غيره، و أمره، و ألهمه، و أوحى فلان الكلام إلى فلان: ألقاه إليه[٣٣٧].

فى المصطلح الاسلامى:

الكلمة الالهية التى يلقيها الى أنبيائه و رسله بواسطة ملک يشاهده الرسول و يسمع كلامه، كتبليغ جبرئيل لخاتم الأنبياء (ص) أو سماع كلام اللّه من غير معاينة، كسماع موسى كلام اللّه.

أو بالرؤيا فى المنام كما أخبر اللّه عن قول إبراهيم لابنه اسماعيل فى سورة الصافات:

إِنِّي أَرى فِي الْمَنامِ أَنِّي أَذْبَحُکَ فَانْظُرْ ما ذا تَرى قالَ يا أَبَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (الآية/ ١٠٢)
أو بأنواع اخرى من الوحى يعلمه اللّه و تدركه رسله صلوات اللّه عليهم

أجمعين.

و من موارد استعماله فى المصطلح الإسلامى فى القرآن الكريم قوله تعالى:

أ- فى سورة النساء/ ١۶٣:

إِنَّا أَوْحَيْنا إِلَيْکَ كَما أَوْحَيْنا إِلى نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَوْحَيْنا إِلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطِ
ب- فى سورة الشورى/ ٧:

وَ كَذلِکَ أَوْحَيْنا إِلَيْکَ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرى وَ مَنْ حَوْلَها ج- فى سورة المؤمنون/ ٢٧:

فَأَوْحَيْنا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْکَ بِأَعْيُنِنا وَ وَحْيِنا د- فى سورة الاعراف:

وَ أَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنْ أَلْقِ عَصاکَ فَإِذا هِيَ تَلْقَفُ ما يَأْفِكُونَ (الآية/ ١١٧) ... وَ أَوْحَيْنا إِلى مُوسى إِذِ اسْتَسْقاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصاکَ الْحَجَرَ ...

(الآية/ ١۶٠).

---

[٣٣٧] (١) مصدرنا فى ما نذكر من معانى المصطلحات:

أ- مفردات القرآن للأصبهانى ب- معجم ألفاظ القرآن الكريم.

ب- نزول الوحی و تنزیله:

۱- نزل نزولا:

انحطّ من علوّ الی سفل مکانا أو معنی، و نزول الکتب السماویّة بلوغها إلی من أنزلت علیه.

۲- تنزّل تنزّلا:

نزل فی تمهل و تدرّج.

۳- أنزله نزولا و نزّله تنزیلا:

جعله ینزل و الفرق بین الإنزال و التنزیل فی وصف القرآن و الملائکة ان التنزیل یخصّ بالموضع الذی یشیر إلی إنزاله و یکون التنزیل تدریجیا بینما الإنزال عامّ.

و مثال النزول من الأعلی مکانا إلی الأسفل قوله- تعالی- فی سورة النحل/ ۶۵.

وَ اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَحْیا بِهِ الْأَرْضَ و مثال النزول المعنوی و بلوغ الکتب السماویة الی من أنزلت علیه قوله تعالی:

أ- فی سورة الشعراء/ ۱۹۳- ۱۹۴:

نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِینُ* عَلی قَلْبِکَ لِتَکُونَ مِنَ الْمُنْذِرِینَ ب- فی سورة طه/ ۲:

ما أَنْزَلْنا عَلَیْکَ الْقُرْآنَ لِتَشْقی و مثال التنزل فی تمهل و تدرج قوله تعالی فی سورة فصّلت/ ۳۰:

إِنَّ الَّذِینَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَیْهِمُ الْمَلائِکَةُ أَلَّا تَخافُوا وَ لا تَحْزَنُ وا و مثال الاختصاص بالموضع الذی یشیر إلی انزاله قوله تعالی:

أ- فی سورة الانعام/ ۷:

وَ لَوْ نَزَّلْنا عَلَیْکَ کِتاباً فِی قِرْطاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَیْدِیهِمْ لَقالَ الَّذِینَ کَفَرُوا إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ مُبِینٌ ب- فی سورة الانعام/ ۱۱۱:

وَ لَوْ أَنَّنا نَزَّلْنا إِلَیْهِمُ الْمَلائِکَةَ ....

و مثال الانزال التدریجی. قوله تعالی فی سورة الاسراء/ ۱۰۶:

وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلی مُکْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِیلًا

و جاء فی القرآن نزل و أنزل بمعنی أوحی فی قوله تعالی:

أ- فی سورة البقرة/ ۴:

وَ الَّذِینَ یُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَیْکَ وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِکَ وَ بِالْآخِرَةِ هُمْ یُوقِنُونَ ب- فی سورة آل عمران:

وَ أَنْزَلَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِیلَ* مِنْ قَبْلُ هُدیً لِلنَّاسِ وَ أَنْزَلَ الْفُرْقانَ (الآیات/ ۳- ۴) ج- فی سورة یوسف/ ۲:

إِنَّا أَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِیًّا لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ د- فی سورة الإنسان/ ۲۳:

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَیْکَ الْقُرْآنَ تَنْزِیلًا ه- و (نزل به) فی قوله تعالی فی سورة الشعراء:

وَ إِنَّهُ لَتَنْزِیلُ رَبِّ الْعالَمِینَ* نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِینُ* عَلی قَلْبِکَ لِتَکُونَ مِنَ الْمُنْذِرِینَ* بِلِسانٍ عَرَبِیٍّ مُبِینٍ (الآیات/ ۱۹۲- ۱۹۵) کما جاء أوحی بمعنی نزل و أنزل فی قوله تعالی:

أ- فی سورة الشوری/ ۷:

وَ کَذلِکَ أَوْحَیْنا إِلَیْکَ قُرْآناً عَرَبِیًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُری وَ مَنْ حَوْلَها ب- فی سورة الانعام/ ۱۹:

وَ أُوحِیَ إِلَیَّ هذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَکُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ و الوحی و الإنزال من اللّه قد یکون معناه و لفظه و کتابته من اللّه سبحانه و ینزله اللّه مرّة واحدة علی رسوله کما کان شأن التوراة حیث قال اللّه سبحانه فی سورة الأعراف:

وَ کَتَبْنا لَهُ فِی الْأَلْواحِ مِنْ کُلِّ شَیْ ءٍ مَوْعِظَةً و قد یکون لفظه و معناه من اللّه و ینزل متدرجا علی الرسول (ص) کما قال سبحانه فی وصف القرآن:

أ- فی سورة المزمل:

إِنَّا سَنُلْقِی عَلَیْکَ قَوْلًا ثَقِیلًا.

ب- فی سورة الاسراء:

وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلی مُکْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِیلًا.

و قد یوحی اللّه المعنی الی رسوله و یبلغ الرسول (ص) المعنی بلفظه و هو بعض من سنّة الرسول أی حدیثه کما روی الدارمی بسنده و قال:

«كان جبريل ينزل على رسول اللّه بالسنّة كما ينزل بالقرآن»[٣٣٨].

و كذلک كان اللّه يوحى إلى الرسول (ص) ببيان الآيات مع إنزال الآيات كما أخبر اللّه تعالى عن ذلک فى سورة القيامة حيث قال تعالى:

إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ* فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ

خلاصة البحث:

أولا- الوحى:

الوحى فى المصطلح الاسلامى: كلمة اللّه- جل اسمه- الّتى يلقيها الى أنبيائه و رسله بسماع كلام اللّه- جل جلاله- دونما رؤية اللّه- سبحانه- مثل تكليمه موسى بن عمران (ع)، أو بنزول ملک يشاهده ا لرسول و يسمعه مثل تبليغ جبرائيل (ع) لخاتم الأنبياء (ص)، أو بالرؤيا فى المنام مثل رؤيا

ص: ٢٦٠

إبراهيم (ع) فى المنام أنه يذبح ابنه إسماعيل (ع)، أو بأنواع أخرى لا يبلغ إدراكها علمنا.

ثانيا- نزول الوحى:

أنزل اللّه وحيه و كتابه و نزّله: جعله ينزل.

و انزال القرآن و الملائكة الى محل نزوله مثل قلب النبى و التنزيل: إنزال تدريجى للوحى أو الكتاب و الإنزال عامّ.

و التنزّل: نزول فى تمهل و تدرّج.

و استعمل نزل و أنزل فى القرآن الكريم بمعنى أوحاه، و كذلک العكس.

ثالثا- ما أوحى اللّه إلى رسله:

ينقسم ما أوحى اللّه إلى رسله إلى قسمين:

أ- ما أوحى إليهم لفظه و معناه و كان ذلک شأن كتبه التى أنزلها إلى رسله و آخرها القرآن الكريم.

ب- ما أنزل اللّه المعنى و بلّغته رسله بلفظهم و هذا ما يسمى بالمصطلح الإسلامى سنّة الرسول و من جملتها أحاديث الرسول (ص) فى تفسير آى القرآن و بيان مجملها و متشابهها.

---

[٣٣٨] (٢) سنن الدارمى ١/ ١۴۵ المقدمة باب السنة قاضية على القرآن.

ص: ۲۶۱

ثانیا- القرآن و الکتاب و المصحف:

أ- القرآن:

القرآن: هو کلام اللّه الّذی نزّله نجوما- فی أوقاتها المعینة لانزالها- علی خاتم أنبیائه محمد (ص)، بلغة العرب و لهجة قریش منهم، و یقابله الشعر و النثر فی الکلام العربی.

و علیه فإنّ الکلام العربی ینقسم إلی قرآن و شعر و نثر.

و کما أنّه یقال لدیوان الشاعر: «شعر»، و للقصیدة فی الدیوان: «شعر»، و للبیت الواحد فیه: «شعر» و للشطر الواحد أیضا: «شعر»، کذلک یقال لجمیع القرآن: «قرآن»، و للسورة الواحدة: «قرآن»، و للآیة الواحدة: «قرآن»، و أحیانا لبعض الآیة: «قرآن»، مثل وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ فی الآیة الثالثة من سورة البقرة.

و القرآن بهذا المعنی، مصطلح إسلامی و حقیقة شرعیة . إنّ منشأ هذه الاستعمالات مجیئه فی القرآن الکریم و الحدیث النبوی الشریف.

أسماء أخری للقرآن[۳۳۹]:

استخرج العلماء من القرآن أسماء أخری للقرآن الکریم مثل: (الکتاب) و (النور) و (الموعظة) و (کریم).

۱- الکتاب: لقوله تعالی فی سورة البقرة:

ص: ۲۶۲

الم* ذلِکَ الْکِتابُ لا رَیْبَ فِیهِ هُدیً لِلْمُتَّقِینَ.

۲- النور: لقوله تعالی فی سورة النساء/ ۱۷۴:

وَ أَنْزَلْنا إِلَیْکُمْ نُوراً مُبِیناً ۳- الموعظة: لقوله تعالی فی سورة یونس/ ۵۷:

... قَدْ جاءَتْکُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّکُمْ ....

۴- کریم: لقوله تعالی فی سورة الواقعة/ ۷۷:

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ کَرِیمٌ.

---

[۳۳۹] (۱) البرهان فی علوم القرآن للزرکشی ت: ۹۷۴ ه، ط. القاهرة. النوع الخامس عشر: معرفة أسمائه ۱/ ۲۷۳ و ۲۷۶.

و ندرس من الاسماء الآنفة الكتاب فيما يأتى:

ب- الكتاب:

يظهر بأدنى تدبّر فى موارد استعمال الكتاب فى القرآن الكريم بانها جاءت هى و نظائرها وصفا للقرآن الكريم، و ليست أسماء له، ما عدا الكتاب الذى ليس واضحا أنه ليس اسما للقرآن الكريم، و من ثم ندرس موارد استعمال لفظ (الكتاب) فى اللغة و القرآن الكريم فى ما يأتى باذنه تعالى:

جاء استعمال الكتاب فى اللغة و القرآن لمعان متعددة منها:

أولا- فى اللغة:

أ- كتب الكتاب كتبا و كتابا.

أى دوّن حروف الهجاء على أشكال تكون فيها الكلمات و الجمل مثل قوله- تعالى- فى سورة البقرة/ ٧٩:

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هذا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ ب- جاء الكتاب مصدرا سمّى به المكتوب فيه، مثل قوله تعالى فى حكاية قول بلقيس فى سورة النمل:

قالَتْ يا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتابٌ كَرِيمٌ* إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

ثانيا- فى القرآن الكريم:

اطلق الكتاب فى القرآن على التوراة و الانجيل و القرآن و كل كتاب أنزله اللّه على رسله مثل قوله- تعالى- فى سورة البقرة:

١- وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ ... (الآية/ ٨٧) للتوراة.

٢- ... وَ قالَتِ النَّصارى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلى شَيْءٍ وَ هُمْ يَتْلُونَ الْكِتابَ (الآية/ ١١٣) للانجيل.

٣- الم ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ (الآية/ ١- ٢) للقرآن الكريم.

٤- ... فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتابَ ...

(الآية/ ٢١٣) أى أنزل مع كلّ منهم كتابا.

و سمّى اليهود و النصارى أهل الكتاب فى قوله تعالى فى سورة المائدة/ ٦٨:

قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ لَسْتُمْ عَلى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ *** كان هذا معنى الكتاب الذى يساوى المصحف فى المعنى فى اللغة و القرآن الكريم و اشتهر عند النحويين كتاب سيبويه فى النحو ب (الكتاب).

قال حاجى خليفة فى باب الكتاب من كشف الظنون:

(كتاب سيبويه فى النحو: كان كتاب سيبويه لشهرته و فضله علما عند النحويين، فكان يقال بالبصرة : و قرأ فلان الكتاب، فيعلم أنّه كتاب سيبويه، و قرأ نصف الكتاب، فلا يشكّ أنّه كتاب سيبويه ...).

و شرحه أبو الحسن على بن محمد المعروف بابن خروف النحوى

ص: ۲۶۴

الأندلسى الإشبيلى (ت: ۶۰۹ ه)، و سمّاه تنقيح الألباب فى شرح غوامض الكتاب.

و شرح أبو البقاء عبد اللّه بن الحسين العكبرى البغدادى الحنبلى (ت: ۶۱۶ ه) أبياته و سمّاه: لباب الكتاب.

و لأبى بكر محمد بن حسن الزبيدى الأندلسى الإشبيلى (ت: ۳۸۰ ه):

أبنية الكتاب[۳۴۰].

إذا فليس (الكتاب) اسما للقرآن فى القرآن الكريم و لا فى عرف المسلمين.

و نستنتج من هذا البحث و نقول:

إنّ العلماء أخطئوا إذ فسّروا ما جاء من لفظ (الكتاب) أو (كتاب) فى محاورات الصحابة بمعنى القرآن، فى حين أنهم قصدوا من (الكتاب) ما فرض اللّه على عباده، كما درسناها مفصلا فى بحث روايات اختلاف المصاحف.

ج- المصحف:

۱- فى اللغة:

(الصحيفة: الّتى يكتب فيها، و الجمع صحائف و صحف و صحف، و المصحف و المصحف: الجامع للصحف بين الدفتين)[۳۴۱].

ص: ۲۶۵

---

[۳۴۰] (۲) كشف الظنون لحاجى خليفة، مصطفى بن عبد اللّه(ت: ۱۰۷۶ ه) تركيا، ۲/ ۱۴۲۷ و ۱۴۲۸.

و سيبويه، أبو مبشر، أو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر البصرى، مولى بنى الحارث بن كعب، توفى سنة ۱۸۰ ه.

[۳۴۱] (۳) راجع مادة(صحف) فى الصحاح للجوهرى،(ت: ۳۹۳ ه). و المحكم لابن سيده(ت:

۴۵۸ ه). و المفردات للراغب،(ت: ۵۰۲ ه). و لسان العرب لابن منظور(ت: ۷۱۱ ه). و القاموس المحيط للفيروزآبادى(ت: ۸۱۶ أو ۸۱۷ ه).

و قالوا فی تفسیر الدفّتین، الدفّة: الجنب من کلّ شیء و صفحته، و دفّتا الطبل: الجلدتان اللتان تکتنفانه، و یضرب علیهما، و منه دفّتا المصحف، یقال:

حفظ ما بین الدفّتین[۳۴۲]- أی حفظ الکتاب من الجلد إلی الجلد.

و بناء علی ما ذکرنا، فإنّ المصحف : اسم للکتاب المجلد، و ذلک لأنّه إذا کانت الصحیفة هی ما یکتب فیها و جمعها الصحف، و المصحف: هو الجامع للصحف بین الدفّتین و الدفّتان- هما جلدتا الکتاب- فالمصحف فی کلامهم بمعنی الکتاب المجلد فی کلامنا.

و بناء علی ما ذکرنا، إنّ المصحف: اسم لکلّ کتاب مجلد قرآنا کان أم غیر قرآن.

۲- فی مصطلح الصحابة:

استعمل المصحف بالمعنی اللّغوی الّذی ذکرناه فی روایات (جمع القرآن) حتی عهد عثمان.

فقد روی البخاری عن الصحابی زید بن ثابت ما ملخّصه : أن الخلیفة أبا بکر أمره بجمع القرآن . قال: «فتتبعت القرآن أجمعه، فکانت الصحف عند أبی بکر حتّی توفاه اللّه، ثمّ عند عمر فی حیاته، ثمّ عند حفصة بنت عمر (رض)».

و روی بعدها عن أنس ما ملخصه:

(أنّ عثمان عند ما أراد أن یجمع القرآن أرسله الی حفصة : أن ارسلی إلینا بالصحف ننسخها فی المصاحف، ثمّ نردّها إلیک ...) الخبر[۳۴۳].

و من الواضح أنّ الصحف و المصاحف ذکرا فی الخبرین المذکورین آنفا

ص: ۲۶۶

بنفس المعنی اللّغوی: (الکتاب المجلد).

و أکثر تصریحا ممّا جاء عند البخاری، ما جاء عند ابن أبی داود السجستانی فی باب : جمع القرآن فی المصحف من کتابه: (المصاحف)، فقد روی فیه:

أ- عن محمد بن سیرین، قال:

«لما توفی النبیّ (ص) أقسم علیّ أن لا یرتدی الرداء إلّا لجمعة، حتّی یجمع القرآن فی مصحف».

---

[۳۴۲] (۴) راجع تاج العروس للزبیدی(ت: ۱۲۰۵ ه) و المعجم الوسیط، مادة(دفف).

[۳۴۳] (۵) صحیح البخاری، کتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، ۳/ ۱۵۰.

ب- عن أبی العالیة:

(أنّهم جمعوا القرآن فی مصحف فی خلافة أبی بکر).

ج- عن الحسین:

(أنّ عمر بن الخطاب أمر بالقرآن، و کان أوّل من جمعه فی المصحف)[۳۴۴].

استشهدنا بهذه الروایات الثلاث لأنّها تدلّ علی أنّ فی عصر روایتها کان المصحف فی کلامهم أعمّ من القرآن، فقد جاء فیها علی حسب التسلسل:

أ- (حتی یجمع القرآن فی مصحف).

ب- (جمعوا القرآن فی مصحف).

ج- و أمر بالقرآن فجمع، و کان أوّل من جمعه فی المصحف).

و لو کان المصحف لدیهم هو القرآن لکان تفسیر الروایات کالآتی:

أ- حتی یجمع القرآن فی القرآن.

ب- جمعوا القرآن فی القرآن.

ج- و کان أوّل من جمع القرآن فی القرآن.

۳- فی روایات أئمة أهل البیت (ع):

و قد جاء المصحف فی روایات أئمة أهل البیت (ع) بنفس المعنی اللغوی لمدرسة الخلفاء، فقد روی الکلینی فی باب (قراءة القرآن فی المصحف):

الحدیث الأوّل عن أبی عبد اللّه جعفر الصادق (ع)، قال:

من قرأ القرآن فی المصحف متّع ببصره، و خفّف عن والدیه، و إن کانا کافرین.

---

[۳۴۴] (۶) کتاب المصاحف للحافظ أبی بکر عبد اللّه بن أبی داود السجستانی (ت: ۳۱۶) ه.

تصحیح الدکتور اثر جفری، ط. الأولی، القاهرة ۱۳۵۵ ه. و الروایتان: أ. و ج. فی ص ۱۰ منه و الروایة: ب فی ص ۹ منه.

و فی الحدیث الرابع منه- أیضا- عن أبی عبد اللّه (ع)، قال: «قراءة القرآن فی المصحف تخفف العذاب عن الوالدین، و لو کانا کافرین»[۳۴۵].

و بناء علی ما ذکرنا ثبت أن المصحف کان یستعمل فی کلام الصحابة و التابعین و الرواة بمدرسة الخلفاء و مدرسة أهل البیت (ع) و یراد به الکتاب المجلد، أی: أنّ المصحف استعمل فی محاوراتهما فی عصر الإسلام الأوّل فی معناه اللّغوی و اشتهر بعد ذلک فی مدرسة الخلفاء تسمیة القرآن المدوّن و المخطوط بین الدفّتین ب (المصحف).

۴- فی أخبار مدرسة الخلفاء:

و قد سمی فی مدرسة الخلفاء غیر القرآن بالمصحف کالآتی:

مصحف خالد بن معدان:

روی کل من ابن أبی داود (ت: ۳۱۶ ه) و ابن عساکر (ت: ۵۷۱ ه) و المزّی (ت: ۷۴۲ ه) و ابن حجر (ت: ۸۵۲ ه) بترجمة خالد بن معدان و قالوا:

ان خالد بن معدان کان علمه فی مصحف له ازرار و عری[۳۴۶].

فمن هو خالد بن معدان صاحب المصحف؟

کان خالد بن معدان من کبار علماء الشام و من التابعین، أدرک سبعین من الصحابة، ترجم له ابن الأثیر (ت: ۶۳۰ ه) فی مادة الکلاعی[۳۴۷]، و قال: توفی خالد سنة ثلاث أو أربع أو ثمان و مائة هجریة.

۵- اشتهار المصحف فی کل ما کتب و جعل بین الدفّتین: الکتاب المجلد

کان استعمال المصحف فی ما کتب و جعل بین الدفّتین، أی الکتاب المجلد مشهورا و متداولا لدی العلماء و الباحثین بمدرسة الخلفاء، و إلیکم المثالین الآتیین لذلک:

أ- عنون ابن أبی داود السجستانی من أعلام القرن الثالث الهجری فی کتابه المصاحف کالآتی:

---

[۳۴۵] (۷) أصول الکافی، ط. طهران، سنة ۱۳۸۸ ه، ۲/ ۶۱۳.

[۳۴۶] (۸) المصاحف، ص ۱۳۴- ۱۳۵ و تاریخ دمشق مخطوطة المکتبة الظاهریة بدمشق، مصورة المجمع العلمی الإسلامی؟ بطهران، ۵/ ۲/ ۲۵۹ أ.

و تهذیب الکمال، مخطوطة المکتبة الظاهریة بدمشق، مصورة المجمع العلمی الإسلامی بطهران، ۲/ ۱۷۰.

و تهذیب التهذیب ج ۳/ ۱۱۸- ۱۱۹.

[۳۴۷] (۹) اللباب فی تهذیب الأنساب ۳/ ۶۲- ۶۳. و راجع مصادر ترجمته فی الهامش رقم ۸.

١- جمع أبى بكر الصديق (رض) القرآن فى المصاحف بعد رسول اللّه (ص).

٢- جمع علىّ بن أبى طالب (رض) القرآن فى المصحف.

٣- جمع عمر بن الخطاب (رض) القرآن فى المصحف[٣٤٨].

ب- و من المعاصرين قال ناصر الدين الأسد فى كتابه مصادر الشعر

ص: ٢٦٩

الجاهلى: و كانوا يطلقون على الكتاب المجموع: لفظ المصحف، و يقصدون به مطلق الكتاب، لا القرآن وحده، فمن ذلک ما ذكره ...

ثمّ نقل خبر مصحف خالد بن معدان من كتاب المصاحف لابن أبى داود السجستانى[٣٤٩].

٦- فى مصطلح الامم السابقة:

تسمية الكتب الدينية للامم السابقة بالمصحف:

و كذلک سميّت الكتب الدينية للأمم السابقة بالمصحف كما جاء فى طبقات ابن سعد بسنده:

عن سهل مولى عتيبة أنه كان نصرانيا من أهل مريس، و أنه كان يتيما فى حجر أمه و عمه، و أنه كان يقرأ الإنجيل، قال : فأخذت مصحفا، لعمى فقرأته حتى مرّت بى ورقة، فأنكرت كتابته ا حين مرّت بى و مسستها بيدى، قال : فنظرت فإذا فصول الورقة ملصق بغراء، قال : ففتقتها فوجدت فيها نعت محمد، (ص)، أنه لا قصير و لا طويل، أبيض، ذو ضفيرين، بين كتفيه خاتم، يكثر الاحتباء، و لا يقبل الصدقة، و يركب الحمار و البعير، و يحتلب الشاة، و يلبس قميصا مرقوعا، و من فعل ذلک فقد برئ من الكبر، و هو يفعل ذلک، و هو من ذرية إسماعيل اسمه أحمد، قال سهل : فلما انتهيت إلى هذا من ذكر محمد (ص) جاء عمّى، فلما رأى الورقة ضربنى و قال : ما لک و فتح هذه الورقة و قراءتها؟ فقلت : فيها نعت النبى (ص) أحمد، فقال: إنه لم يأت بعد[٣٥٠].

*** و هكذا وجدنا المصحف اسما عاما للصحف بين الدفتين و إن صحّ ما جاء

ص: ٢٧٠

فى رواية المصاحف لابن أبى داود أنّ الخليفة أبا بكر كان قد سمّى القرآن بالمصحف فإنّ هذه التسمية لم تشتهر حتّى عصر عثمان، كما يظهر ذلک من الخبرين اللذين نقلناهما آنفا من صحيح البخارى، و إنما اشتهرت تسمية القرآن بالمصحف بعد

---

[٣٤٨] (١٠) كتاب المصاحف ص ٥ و ١٠ منه، حسب التسلسل الّذى أوردناه.

[٣٤٩] (١١) مصادر الشعر الجاهلى، الطبعة الخامسة، ص ١٣٩، و قد نقله من المصاحف للسجستانى، ص ١٣٤- ١٣٥.

[٣٥٠] (١٢) طبقات ابن سعد ط. بيروت ١/ ٣٦٣.

ذلک، و عند ذاک أیضا لم تبق هذه التسمیة منحصرة بالقرآن، بل سمیت کتب أخری فی مدرسة الخلفاء و مدرسة أهل البیت ب (المصحف). و کان منها مصحف فاطمة ابنة رسول اللّه (ص) کالآتی خبره:

۷- مصحف فاطمة ابنة الرسول (ص):

جاء فی الروایات أنّ فاطمة ابنة رسول اللّه (ص) کان لها کتاب اسمه المصحف فیه إخبار بالمغیبات.

لقد جاء فی بصائر الدرجات بأکثر من سند عن الامام الصادق (ع) قال:

قال أبو عبد اللّه لأقوام کانوا یأتونه و یسألونه عمّا خلف رسول اللّه (ص) إلی علیّ (ع) و عمّا خلف علیّ إلی الحسن: لقد خلّف رسول اللّه (ص) عندنا ما فیها کل ما یحتاج إلیه حتی أرش الخدش و الظفر، و خلّفت فاطمة مصحفا ما هو قرآن ... الحدیث[۳۵۱].

اذن فقد کان لابنة رسول اللّه (ص) مصحف کما کان لخالد بن معدان کتاب اسمه المصحف فیه علمه.

و إنّ أئمة أهل البیت الّذین انتشر منهم هذا الخبر نصّوا علی أنّه ما هو بالقرآن و لیس فیه شی ء من القرآن، بل فیه أخبار بالحوادث الکائنة فی المستقبل.

و مع الأسف الشدید افتری بعض الکتاب فی مدرسة الخلفاء و قال : إن مصحف فاطمة عند أتباع مدرسة أهل البیت، قرآن آخر!!! و لکن أتباع مدرسة أهل البیت لم یقولوا هذا القول فی شأن مصحف خالد و لا الکتاب لسیبویه .

۸- مصاحف الصحابة:

مرّ بنا فی بحث من تاریخ القرآن فی المدینة ذکر مصاحف الصحابة و یأتی تفصیله- ان شاء اللّه تعالی- فی بحث اختلاف مصاحف الصحابة فی المجلد الثانی من هذا الکتاب.

انه کان لکثیر من الصحابة مصاحف کتب کل منهم فی مصحفه القرآن و ما سمعه من رسول اللّه (ص) فی تفسیر بعض آیات القرآن إذا کان معنی مصاحف الصحابة فی عصر الصحابة : القرآن المکتوب مع حدیث الرسول فی تفسیر بعض آیاته کما هو الحال فی تفاسیر القرآن بالمأثور مثل الدرّ المنثور فی تفسیر القرآن بالمأثور للسیوطی فی مدرسة الخلفاء و البرهان فی تفسیر القرآن لدی اتباع مدرسة أهل البیت (ع).

مثالان لمصاحف الصحابة:

أ- مصحف أم المؤمنین عائشة:

---

[۳۵۱] (۱۳) بصائر الدرجات ص ۱۵۶. و أوردت موضع الحاجة من الحدیث، و راجع تفصیل الخبر فی معالم المدرستین ۲/ ۳۲۲ ..

رووا عن أبی یونس مولی عائشة أنه قال امرتنی عائشة أن اکتب لها مصحفا و قالت : إذا بلغت هذه الآیة فآذنّی : حافِظُوا عَلَی الصَّلَواتِ وَ الصَّلاةِ الْوُسْطی فلما بلغتها آذنتها فاملت علیّ (حافظوا علی الصلاة و الصلاة الوسطی «و صلاة العصر» و قوموا للّه قانتین) قالت عائشة سمعتها من رسول اللّه (ص).

ب- مصحف أم المؤمنین حفصة:

عن أبی رافع مولی حفصة أنه قال: استکتبتنی حفصة مصحفا، فقالت:

إذا أتیت علی هذه الآیة، فتعال حتّی أملیها علیک کما قرأتها، فلما أتیت علی هذه الآیة : حافِظُوا عَلَی الصَّلَواتِ، قالت: اکتب: حافِظُوا عَلَی الصَّلَواتِ وَ الصَّلاةِ الْوُسْطی [و صلاة العصر][۳۵۲].

ص: ۲۷۲

و مصاحف أخری سوف نذکرها فی ما یأتی بإذنه تعالی.

۹- مصحف الرسول (ص):

سیأتی فی بحث من تاریخ القرآن علی عهد الخلیفة أبی بکر أنّ الرسول (ص) أوصی الإمام علیا ان لا یرتدی رداءه بعد وفاة الرسول (ص) حتی یجمع الصحف التی کانت فی بیت الرسول (ص) الّتی کتب علیها القرآن بأمر الرسول (ص)، و لم تکن آی القرآن التی کتبت فی تلک الصحف بدعا عما کتبها الصحابة فی صحفهم مما تعلموها من لفظ الآیات و معانیها ممّا تلقاها الرسول (ص) جمیعا عن طریق الوحی، بل لا بدّ أن تکون مشابهة لمصاحف الصحابة فی کتابة اللفظ و المعنی معا ما عدا أمرا واحد و هو أن کل صحابی کان یکتب مع ما یکتب من آی القرآن ما بلغه عن رسول اللّه (ص) فی تفسیر الآیة، و کان رسول اللّه (ص) قد أمر الإمام علیا بکتابة کل ما یحتاجه المسلمون فی تفسیر الآیات ممّا تلقاه عن طریق الوحی[۳۵۳].

*** بناء علی ما سبق کانت المصاحف فی صدر الإسلام مثل کتب التفسیر فی عصرنا تشتمل علی القرآن و ما بیّنه الرسول (ص) فی تفسیر الآیات. و لما اقتضت سیاسة الخلفاء بعد الرسول (ص) تجرید القرآن من حدیث الرسول (ص) جری فی هذا الشأن ما سنبینه فی ما یأتی بإذنه تعالی.

سیاسة تجرید القرآن من حدیث الرسول (ص):

مرّ بنا فی بحث المجتمع الذی نزل فیه القرآن و انتشر منه و بحث من

ص: ۲۷۳

---

[۳۵۲] (۱۴) سیأتی تفصیل اخبار مصاحف الصحابة باسنادها ان شاء اللّه تعالی فی المجلد الثانی من هذا الکتاب فی بحث اختلاف مصاحف الصحابة.

[۳۵۳] (۱۵) کما برهنا علیه فی بحث:(القرآن و السنة، هما مصدر التشریع لدی مدرسة أهل البیت (ع) من المجلد الثانی من معالم المدرستین.

تاريخ القرآن السابقين لهذا البحث آيات نزلت فى ذمّ سادة قريش الذين خاصموا رسول اللّه و حاربوه و آيات أخرى فى ذمّ قبائل بعض الصحابة من قريش مثل قوله تعالى: فى سورة الإسراء:

وَ الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ (الاسراء/ ۶۰) فى بنى أميّة أو افراد من الصحابة مثل قوله فى سورة التحريم:

إِنْ تَتُوبا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما وَ إِنْ تَظاهَرا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَ جِبْرِيلُ وَ صالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذلِكَ ظَهِيرٌ (الآية/ ۴).

عَسى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْواجاً خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلِماتٍ مُؤْمِناتٍ قانِتاتٍ تائِباتٍ عابِداتٍ سائِحاتٍ ثَيِّباتٍ وَ أَبْكاراً (الآية/ ۵).

و التى نزلت فى أم المؤمنين عائشة و أم المؤمنين حفصة فى مقابل آيات نزلت فى مدح آخرين مثل آية التطهير فى قوله تعالى فى سورة الأحزاب:

إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً و التى نزلت فى حق الرسول (ص) و على و فاطمة و الحسن و الحسين.

هذه الى كثير غيرها كانت تخالف حكومة الخلفاء الثلاثة، فرفعوا شعار حسبنا كتاب، اللّه و جردوا القرآن من حديث الرسول و بدأ العمل به الخليفة الصحابى أبو بكر، و أمر بكتابة نسخة م ن القرآن مجرّدة عن حديث الرسول و انتهى العمل على عهد الخليفة عمر، فبدأ عمله بمنع نشر حديث الرسول، و بعد وفاته وقعت الخصومة بين بعض الصحابة و التابعين و بنى أمية و عصبة الخليفة الثالث، و أخذ الخصوم يروون من حديث الرسول ما فيهم ذمّ لعصبة الخلافة و كانت بأيدى الخصوم مصاحف فيها من بيان الرسول (ص) ما يستدل به الخصوم فى مقابل عصبة الخلافة، فقام الخليفة الثالث بتنفيذ شعار جرّدوا القرآن من حديث الرسول (ص)، و أخذ نسخة المصحف المجرد من حديث

الرسول (ص) من أم المؤمنين حفصة، و استنسخ منها عدة نسخ من المصاحف المجرّدة عن حديث الرسول (ص)، و وزعها فى بلاد المسلمين، و جمع مصاحف الصحابة اللاتى كان أصحابها قد دونوا فيها النصّ القرآنى مع ما سمعوه من بيان الرسول فى تفسير آياتها و أحرقها جميعا، فاستنسخ المسلمون مصاحف من تلك المصاحف المجردة عن بيان الرسول (ص).

و اصبح المصحف بعد ذلک اسما علما للقرآن المجرّد عن بيان الرسول (ص)، و مع مرور الزمن لم يعرف المسلمون فى القرون التالية أن مصاحف الصحابة كان فيها بيان الرسول (ص) مع النص القرآنى.

و عند ما حث الخليفة العباسى المنصور فى سنة ثلاث و أربعين بعد المائة من الهجرة علماء المسلمين على تدوين العلوم، و كتب المتخصصون منهم بعلوم القرآن مع بيان آياته كما كان عليه الأمر على عهد الرسول سمّى المصحف الذى دوّن فيه القرآن مع بيان آياته بالتفسير كما مرّ بيانه.

خلاصة البحث و خاتمته:

أولا- القرآن:

هو كلام اللّه الّذى نزّله نجوما [۳۵۴] على خاتم أنبيائه محمد (ص) بلسان عربى مبين، و هو ليس بشعر و لا نثر، فى حين أنّ جميع كلام بنى آدم فى جميع اللغات إمّا أن يكون شعرا أو نثرا، و هذا أحد وجوه إعجاز القرآن.

و قد سمّى اللّه جميع القرآن بالقرآن، و كذلک سمّى جزءا منه بالقرآن، فهو مصطلح إسلامى.

و وصفه بالكتاب و الذكر و النور، و امثالها، فعدّ العلماء تلک الصفات من أسماء القرآن، و ليس للقرآن اسم غير القرآن.

ص: ۲۷۵

ثانيا- الكتاب:

أ- فى اللغة:

كتب الكتاب كتبا و كتابا: دوّن حروف الهجاء على اشكال تكوّن منها الكلمات و الجمل.

و الكتاب: مصدر سمّى به المكتوب مثل قول بلقيس: أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمانَ.

ب- فى القرآن الكريم:

اطلق الكتاب فى القرآن الكريم على كل كتاب انزله اللّه مثل التوراة و الانجيل و القرآن.

ج- فى اصطلاح النحويين:

اشتهر كتاب سيبويه فى النحو باسم الكتاب.

ثالثا- المصحف:

أ- فى اللغة:

اسم للصحف التى تجمع بين الدفتين- الجلدين-.

ب- فى مصطلح المسلمين:

استعمل المصحف الى عصر عثمان بهذا المعنى نفسه و كذلک فى روايات أئمة أهل البيت (ع) و فى أخبار مدرسة الخلفاء.

ج- سمّى كتاب خالد بن معدان من التابعين بمصحف خالد بن معدان و كان قد جمع فيه علمه.

---

[۳۵۴] (۱۶) نجوما أى فى اوقاتها المعينة.

د- فی مصطلح الأمم السابقة:

کان سهل مولی عتیبة قبل اسلامه نصرانیا له عم من علماء أهل الکتاب له مصحف دون فیه اوصاف النبی (ص).

ص: ۲۷۶

و المصاحف التی بلغنا أخبارها هی:

ه- مصحف فاطمة بنت النبی (ص):

کان لفاطمة مصحف دون فیه أخبار ممّا یأتی به الزمان.

و- مصاحف الصحابة:

کان للصحابة مصاحف دون صاحب کل منها ما سمعه من الرسول (ص) فی بیان آی من القرآن الکریم مثل:

مصحفا أم المؤمنین عائشة و أم المؤمنین حفصة حیث أمرتا ان یکتب فی مصحفهما بعد آیة وَ الصَّلاةِ الْوُسْطی و صلاة العصر، و کذلک کان لعدة من الصحابة مصاحف مثل:

مصحف عبد اللّه بن مسعود:

روی عن ابن مسعود أنه کان یقرأ (فی مواسم الحج) بعد رَبِّکُمْ فی قوله تعالی فی سورة البقرة:

لَیْسَ عَلَیْکُمْ جُناحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّکُمْ فَإِذا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفاتٍ فان (فی مواسم الحج) کان تفسیرا للآیة و بیانا لزمان ابتغاء الفضیلة من الربّ تبارک و تعالی.

ز- مصحف الرسول (ص):

أوصی الرسول الإمام علیا أن یجمع الصحف المکتوب علیها القرآن و بیان الرس ول ففعل فبقی ذلک المصحف عند الإمام علی، و ورثه من بعده مع ما ورث من صحف العلم الإمام الحسن، و انتقلت بعد الإمام الحسن (ع) إلی الإمام الحسین (ع) و من بعد إلی أولاده الأئمة کابرا بعد کابر.

سیاسة تجرید القرآن من حدیث الرسول (ص):

اقتضت سیاسة الخلفاء الثلاثة تج رید القرآن من حدیث الرسول (ص) کی لا ینتشر بین المسلمین خارج الحرمین موقف سادة قریش عصبة الخلافة القرشیة من الرسول (ص) و الإسلام، و لا ینتشر بینهم من الثناء و النصّ فی حق

ص: ۲۷۷

غيرهم من مخالفيهم فبدءوا العمل بذلک علی عهد الخليفة الأول ابی بکر حيث أمر بکتابة مصحف مجرد عن حديث الرسول (ص)، و استمر العمل علی ذلک و انتهی فی عصر الخليفة عمر، و أودعه عند أم المؤمنين حفصة، ثم استنسخ الخليفة الثالث عليها سبع نسخ و وزعها بين أمهات البلاد الإسلامية، فاستنسخ المسلمون منها مصاحفهم التی بقيت بأيدی المسلمين حتی اليوم مجرّدة عن حديث الرسول (ص)، و جمع ما عداها من مصاحف الصحابة اللاتی کتب فيها القرآن مع بيان الرسول (ص)، و اشتهر بين المسلمين فی قرون متعاقبة حتی اليوم أن المصحف اسم للقرآن الذی فی متناول أيديهم.

و بذلک اصبح المصحف فی مصطلح المسلمين اسما علما للقرآن المجرّد عن بيان الرسول حتی اليوم.

و لمّا حثّ الخليفة العباسی المنصور علماء المسلمين علی تدوين العلوم فقام بذلک علماء المسلمين و کان من ضمنها ما ألفوا فی تفسير القرآن جمعوا فيها بين النص القرآنی و تفسير آياته و کان عملهم هذا مشابه ا لعمل الصحابة فی کتابة مصاحفهم، فاشتهر بين المسلمين تسمية القرآن المجرّد عن بيان و تفسير بالمصحف و المصحف الذی دوّن فيه القرآن مع بيان آياته بالتفسير.

ثالثا- السورة و الآية:

أ- السورة:

۱- فی اللغة:

اختلفوا فی اصلها لغة، منها قولهم: أنّها من سور المدينة لإحاطتها بآياتها و اجتماعها کاجتماع البيوت بالسور[۳۵۵].

۲- فی المصطلح الإسلامی القرآنی:

جزء من القرآن يفتتح بالبسملة ما عدا سورة البراءة، و يشتمل علی آی ذوات عدد، و قد جاءت بالمعنی الاصطلاحی فی القرآن الکريم بلفظ المفرد تسع مرّات، و بلفظ الجمع مرّة واحدة.

و إنّ أصغر سور القرآن الکوثر و أکبرها البقرة.

۳- فی القرآن الکريم:

نری أن اسماء سور القرآن المنحصرة باسم واحد مثل (الرحمن) و (الانفال) و (الانعام) مصطلحات اسلامية نزلت عن طريق الوحی الی رسول اللّه (ص) و ما اشتهر لها اسمان أو أکثر مثل سورة الاسراء التی تسمی ايضا بنی اسرائيل ينبغی أن ندرس الروايات المروية عن الرسول (ص) فی شأن تعدد أسماء بعض السور لمعرفة المصطلح الإسلامی منهما عن مصطلح المسلمين.

---

[۳۵۵] (۱) راجع مادة(السورة) فی معجم ألفاظ القرآن الکريم.

ب- الآية:

فی اللغة:

أشهر معانی «الآية» فی اللغة: العلامة الواضحة للشیء المحسوس، و الامارة الدالّة علی المراد للأمر المعقول.

و مثال الأول قوله تعالی فی سورة مریم فی حکایة قول زکریا (ع):

قالَ رَبِّ اجْعَلْ لِی آیَةً قالَ آیَتُکَ أَلَّا تُکَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَیالٍ سَوِیًّا (الآیة/ ۱۰) أی: قال اجعل لی علامة واضحة ...

و مثال الثانی قوله تعالی فی سورة یوسف:

وَ کَأَیِّنْ مِنْ آیَةٍ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ یَمُرُّونَ عَلَیْها وَ هُمْ عَنْها مُعْرِضُونَ (الآیة/ ۱۰۵) أی کم من أمارة تدلّ علی قدرة اللّه و حکمته، أو غیرها من صفلته یمرّون علیها و هم عنها معرضون.

و قول الشاعر:

و فی کل شیء له آیة تدل علی أنه واحد

فی المصطلح الاسلامی:

ما قاله الراغب فی مفردات القرآن.

(و یقال لکلّ جملة من القرآن دالّة علی حکم: آیة، سورة کانت، أو فصولا، أو فصلا من سورة.

و قد یقال لکلّ کلام منه، منفصل بفصل لفظی: آیة.

و علی هذا اعتبار آیات السورة الّتی تعدّ بها السورة)[۳۵۶]

و تضاف الیه الحروف المقطعة المبدوء بها بعض سور القرآن مثل قوله تعالی فی سورة البقرة : الم ذلِکَ الْکِتابُ ... و فی سورة فصلت: حم تَنْزِیلٌ مِنَ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ قال المؤلف:

---

[۳۵۶] (۲) اخترنا ذکر أشهر معنی للآیة فی اللغة و التی تتناسب مع المعنی الاصطلاحی.

إنّ الراغب و إن لم يفرّق بين المعنى اللغوى للآية و الّذى قدّم ذكره و بين معانيها فى المصطلح الإسلامى و الّتى أخّر ذكرها، غير أنّا لمّا وجدنا المجموعة الثانية لم ترد عند العرب و إنّما جاءت فى الكتاب و ال سنّة خاصّة، و شاع فيهما استعمال «الآية» فى تلك المعانى، قلنا بأنها من معانى «الآية» فى المصطلح الإسلامى، و كذلك القاعدة فى معرفة المصطلح الإسلامى، مثل مصطلح الصلاة و الزكاة و الخمس فى الشريعة الإسلامية.

و إنّ الراغب فى تعريفه معنى «الآية» قسم ما وصفناه بالمصطلح الاسلامى إلى قسمين:

١- ما اعتبر (الحكم) فى التسمية، حيث قال:

(كلّ جملة دالة على حكم آية، سورة كانت أو ...).

٢- ما اعتبر (اللفظ) فى التسمية، حيث قال:

(كلّ كلام ...).

و نحن بعد البحث و الفحص عن موارد استعمال (الآية) فى القرآن الكريم وجدنا الراغب مصيبا فى قوله، و إليكم الدليل على ذلك:

أولا- وجدنا من أمثلة القسم الأوّل:

١- قوله تعالى فى سورة البقرة:

ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِها نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها أَوْ مِثْلِها (١٠۶).

٢- قوله تعالى فى سورة النحل/ ١٠١:

وَ إِذا بَدَّلْنا آيَةً مَكانَ آيَةٍ ٣- و قوله تعالى فى سورة الأحزاب فى خطابه لأزواج النبى (ص):

وَ اذْكُرْنَ ما يُتْلى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آياتِ اللَّهِ وَ الْحِكْمَةِ (الأحزاب/ ٣۴).

۴- و منها قوله تعالى فى سورة القصص/ ۵٩:

وَ ما كانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّها رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِنا و قوله تعالى فى سورة الزمر فى حكاية خطاب الملائكة لأهل جهنم:

وَ قالَ لَهُمْ خَزَنَتُها أَ لَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آياتِ رَبِّكُمْ وَ يُنْذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هذا (الآية/ ٧١).

۵- و قوله تعالى فى سورة آل عمران/ ۱۱۳:

لَيْسُوا سَواءً مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ أُمَّةٌ قائِمَةٌ يَتْلُونَ آياتِ اللَّهِ آناءَ اللَّيْلِ و المعنى فى الآية الأولى:

ما ننسخ من حكم فى فصل من كتاب اللّه أو ننسه نأت بخير منه أو بمثله.

و فى الآية الثانية:

و إذا بدّلنا حكما فى فصل أو فصول من كتاب اللّه بحكم آخر فى فصل أو فصول من كتاب اللّه.

و فى الآية الثالثة:

و اذكرن يا أزواج النبىّ (ص) ما يتلى فى بيوتكن من أحكام اللّه اللاتى جاءت فى فصول كتاب اللّه.

و فى الآية الرابعة:

حتّى يبعث اللّه فى أمّ القرى رسولا يتلو على أهلها أحكام اللّه فى فصول كتاب اللّه.

ص: ۲۸۲

و فى الآية الخامسة:

ليس أهل الكتاب متساوين فى أمر الدين، منهم أمّة مستقيمة يتلون أحكاما من فصول كتاب اللّه.

ثانيا- وجدنا من أمثلة القسم الثانى، قوله تعالى فى سورة يوسف:

الر تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْمُبِينِ و قوله تعالى فى سورة الرعد/ ۱:

المر تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ وَ الَّذِى أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ....

و كذلك جاء نظيرها فى أول يونس و النمل، و الثانية من الشعراء و القصص و لقمان.

إنّ هذه الآيات و نظائرها تشير إلى الآيات الّتى تشخص فى كلّ سورة بالعدد، و يقال مثلا : سورة الحمد سبع آيات، كما جاء فى حديث الرسول (ص)[۳۵۷].

و الآية بهذا المعنى لم ترد فى القرآن الكريم بغير لفظ الجمع، و قد قصد من (الآية) هنا ألفاظ الجملة القرآنية دون معناها.

و نضيف إلى ما سبق ما جاء فى مادة الآية من معجم الفاظ القرآن الكريم قولهم.

---

[۳۵۷] (۳) سيأتى نصّ الحديث و سنده فى بحث البسملة إن شاء اللّه تعالى. و راجع أيضا مادة(الآية) فى المعجم المفهرس لألفاظ الحديث.

و سمّيت معجزات الأنبياء (آية)، لأنّها علامة على صدقهم و على قدرة اللّه.

و نقول: إنّ منها قوله- تعالى- فى حكاية قول صالح لقومه.

هذِهِ ناقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً (الأعراف/ ٧٣)، و (هود/ ۶۴).

و قوله تعالى فى سورة النمل/ ١٢ فى خطابه لموسى بن عمران حين أرسله إلى فرعون و قومه:

وَ أَدْخِلْ يَدَکَ فِی جَيْبِکَ تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِی تِسْعِ آياتٍ إِلی فِرْعَوْنَ وَ قَوْمِهِ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ و بناء على ما بيّناه فلفظ (آية) مشترک بين ثلاثة معان فى المصطلح الاسلامى مضافا إلى معانيها فى اللغة العربية.

و قد استعملت (الآية) بكثرة فى معانيها اللغويّة و الاصطلاحيّة جميعا فى القرآن الكريم.

و لا بدّ لنا فى تشخيص المعنى المقصود أن نعمل بما قرره العلماء فى علم أصول الفقه من أنّ اللفظ المشترک إذا جاء فى الكلام لا بدّ أن تدلّ قرينة على المعنى المقصود منه.

و عليه ينبغى لفهم المراد مما جاء من مادة (الآية) فى القرآن، أن نبحث عن القرينة الدالة على المعنى المقصود فى التعبير القرآنى.

الخلاصة:

السورة فى المصطلح القرآنى جزء من القرآن يفتتح بالبسملة عدا سورة براءة، كما يأتى بيانه فى بحث البسملة من المجلد الثانى- إن شاء اللّه تعالى- و يشتمل على آيات تميّز بالترقيم، و نرى أن اللّه قد سمّى كل سورة باسم واحد.

و ما اشتهر لها أكثر من اسم واحد م ثل سورة الإسراء و سورة بنى إسرائيل ينبغى أن يبحث فى السنّة النبوية عن اسمها فى المصطلح القرآنى.

(الآية) فى اللغة: العلامة الواضحة على شىء محسوس أو الأمارة الدالة على شىء معقول.

و فى المصطلح الإسلامى قد تكون (الآية): معجزة من معاجز الأنبياء أو جملة من ألفاظ سورة قرآنية معينة بالعدد أو فصلا أو فصولا من كتب اللّه تبيّن حكما من أحكام شريعته.

و لا نقول: إنّ معنى الآية فى المصطلح الإسلامى ينحصر بما ذكرناه، بل

نقول: هذا ما عرفناه من معانى الآية إلى اليوم، و لعلّ الب حث يعرّفنا بعد اليوم غيرها من معانى الآية فى المصطلح الإسلامى.

إذا لفظ الآية مشترک فى المصطلح الإسلامى بين عدّة معان، و لا يستعمل اللفظ المشترک فى الكلام دونما قرينة تعين المعنى المقصود.

و يأتى تمام بحث الآية فى بحث النسخ من المجلد الثانى من هذا الكتاب ان شاء اللّه تعالى.

ص: ٢٨٥

رابعا- الجزء و الحزب:

قسّم المسلمون القرآن إلى ثلاثين قسما و كل قسم سمّوه جزءا [٣٥٨]، و الجزء إلى أربعة أحزاب، و هما من مصطلح المسلمين، لعدم استعمالهما بهذا المعنى فى الكتاب و السنّة.

ص: ٢٨٦

خامسا- التلاوة و القراءة:

أ- التلاوة:

يقال: تلا الكتاب تلاوة: إذا تلفظ بكلمات كتاب يجب اتباعه مثل التوراة و الإنجيل و القرآن مع تدبر معانى جملاته.

و لا يقال: تلوت كتابک فى ما لا يجب اتباعه، و بهذا المعنى جاء فى قوله تعالى:

١- فى سورة الكهف/ ٢٧:

وَ اتْلُ ما أُوحِيَ إِلَيْکَ مِنْ كِتابِ رَبِّکَ ....

٢- فى سورة العنكبوت/ ٥١:

أَ وَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْکَ الْكِتابَ يُتْلى عَلَيْهِمْ جاء فى سيرة ابن هشام و تاريخ الطبرى عند ذكرهما خبر دعوة الرسول (ص) فى موسم الحج رهطا من الخزرج قالا:

(فدعاهم الى اللّه- عز و جلّ- و عرض عليهم الإسلام، و تلا عليهم القرآن)[٣٥٩].

ص: ٢٨٧

---

[٣٥٨] (١) روى أنّ تقسيم القرآن إلى ثلاثين جزءا كان فى عصر الحجّاج.

[٣٥٩] (١) سيرة ابن هشام ط. الحجازى بالقاهرة ٢/ ٣٨. و تاريخ الطبرى ط. مصر ٢/ ٣٥٣.

ب- القراءة و الإقراء:

١- فى اللغة:

قرأ الكتاب قراءة و قرآنا تتبع كلماته نظرا و نطق بها [٣٦٠].

٢- فى المصطلح الإسلامى:

لمعرفة معنى القراءة و الاقراء فى المصطلح الإسلامى نتدبر ما جاء من هذه المادة فى القرآن الكريم و سنّة الرسول (ص).

أمّا القرآن فقد قال اللّه سبحانه:

أ- فى سورة العلق:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِى خَلَقَ.

ب- فى سورة القيامة:

لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ* فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ ج- فى سورة الاعلى:

سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسى د- فى سورة الفرقان:

وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا ه- فى سورة الاسراء:

وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ ....

و- فى سورة النحل/ ۴۴:

وَ أَنْزَلْنا إِلَيْکَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ

ج- جمعه فى كلام الرسول (ص).

د- جمعه حفظا فى صدور من حفظه من الصحابة.

ه- جمعه كتبا فى ما كتبه الصحابة فى مصاحفهم.

و فى السنّة:

---

[٣٦٠] (٢) المعجم الوسيط، مادة: قرأ.

أ- نقرأ فی أخبار سیرة الرسول (ص) عند ما آمن به من دعاهم من الخزرج فی موسم الحج ما رواه ابن هشام:

فلما انصرف عنه (ص) القوم بعث رسول اللّه (ص) معهم مصعب بن عمیر بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار بن قصی، و أمره أن یقرئهم القرآن، و یعلّمهم الاسلام، و یفقّههم فی الدین، فکان یسمی بالمدینة المقرئ[۳۶۱].

ب- نقرأ عن سیرة الرسول فی إقرائه القرآن لأصحابه ما رواه أحمد و غیره و اللفظ لأحمد.

قال: کانوا- أی الصحابة- یقترءون من رسول اللّه عشر آیات عشر آیات، فلا یأخذون فی العشر الأخری حتی یعلموا ما فیها من العلم و العمل[۳۶۲].

تفسیر الآیات:

فی سورة العلق أمر اللّه نبیه أن یقرأ و فی سورة القیامة بین کیفیة القراءة و الإقراء و قال:- جلّ اسمه- لا تعجل فی القراءة ان علینا جمعه، أی: إن علی اللّه جمع القرآن بکل ما للجمع من معنی أی جمع لفظ القرآن و معناه.

أ- جمعه فی کلام جبرائیل للرسول (ص).

ب- جمعه فی صدر الرسول (ص).

ص: ۲۸۹

و- جمعه حفظا فی صدور بعض المسلمین.

ز- جمعه کتبا فی ما یکتبه البشر و تسجیلا علی وسائل التسجیل فی من سجله من البشر علی الأشرطة إلی یوم الدین.

کل ذلک جمع للقرآن من قبل اللّه- تبارک و تعالی- و تحقیق لوعده، و ذلک بقاعدة وَ ما رَمَیْتَ إِذْ رَمَیْتَ وَ لکِنَّ اللَّهَ رَمی (الانفال/ ۱۷).

و یفهم من قوله تعالی : ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنا بَیانَهُ أنه- تبارک و تعالی- علّم رسوله معانی القرآن مع تعلیمه تلاوة الفاظه . إذا فإن إقراء اللّه نبیه فی قوله تعالی سَنُقْرِئُکَ ... کان بتعلیمه تلاوة لفظ القرآن مع تعلیمه معنی اللفظ فی ما احتاج فهم معنی اللفظ إلی تعلیم اللّه إیّاه[۳۶۳]. و تعلیم معانی آی القرآن الکریم بما فیها آیات الاحکام کان بحاجة الی سعة فی الوقت لاستیعاب المعنی، فکان من الحکمة ان ینزل القرآن متدرّجا، و لیعلّم الرسول (ص) المؤمنین کذلک تلاوة الفاظ القرآن مع ما تلقاه- ایضا- عن طریق الوحی من معانی الآیات متدرّجا لیستوعبوها و من أجل ذلک لم ینزل اللّه القرآن مرّة واحدة، بل أنزله علی مکث، لیثبت به فؤاد الرسول (ص) اوّلا ثم یقرئ الرسول (ص) المؤمنین علی مکث، إذا فإن معنی سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسی نعلّمک تلاوة و لفظ القرآن مع بیان معناه و إنک لا تنسی ما علمناک من لفظ القرآن و بیان معانیه، و کذلک فعل الرسول

---

[۳۶۱] (۳) سیرة ابن هشام ط. القاهرة ۲/ ۷۶.

[۳۶۲] (۴) مسند احمد ۵/ ۴۱۰.

[۳۶۳] (۵) مرّ بنا فی بحث(النظام الّذی سنّه النبی(ص) فی إقراء القرآن) انّ النبی(ص) کان یتلقی عن طریق الوحی ما کان یعلم الناس.

(ص) فی تعلیم القرآن للصحابة فإنه (ص) کان یقرئ أصحابه عشر آیات عشر آیات علی مکث یعلمهم فی کل مرّة تلاوة ألفاظ الآیات العشر مع تعلیمهم ما فیه من العلم و العمل.

و کان الاصحاب الذین تعلّموا لفظ القرآن و معناه من الرسول علی مکث یعلّمون الآخرین تلاوة اللفظ و المعنی معا و کذلک کان الجمیع یتقارءون القرآن

ص: ۲۹۰

علی عهد الرسول (ص) مثل النفر الذین سمّوا بالقرّاء من أصحاب الرسول (ص) الذین بعث منهم سبعین شخصا لتعلیم القرآن، فاستشهدوا فی بئر معونة.

و کان رسول اللّه (ص) عند ما ینتخب الأقرأ من أصحابه، لیولیه علی المسلمین مهما استطاع الی ذلک سبیلا ینتخب الاکثر علما بتلاوة لفظ القرآن مع فهم معناه.

و من جملة ذلک انه (ص) بعث مع الأنصار بعد ما بایعوه فی العقبة بمنی مصعب بن عمیر بن هاشم بن عبد مناف، و أمره أن یقرئهم القرآن، و یعلمهم الاسلام، و یفقههم فی الدین، فکان یسمی مصعب بالمدینة المقرئ[۳۶۴].

و کذلک کان یفعل الصحابی الفقیه ابن مسعود الذی عیّنه عمر بن الخطاب، لیعلم أهل الکوفة القرآن فی مسجد الکوفة عند ما کان یقرئ القرآن فانه لم یکن معلّم کتاتیب یعلّم الأطفال تلاوة الفاظ القرآن، بل کان مقرئا یعلم طلاب علوم القرآن تلاوة لفظ القرآن مع بیان معانیه.

و بناء علی ذلک کان معنی الاقراء علی عهد الرسول الی سنوات قلیلة من بعده تعلیم تلاوة اللفظ مع تعلیم معناه.

و المقرئ من یعلم تلاوة لفظ القرآن مع تعلیم معنی اللفظ و القارئ و جمعه القرّاء من تعلّم تلاوة لفظ القرآن مع تعلّم معنی اللفظ.

و قد قال الراغب فی مادة (قرأ) من مفردات القرآن (کل اسم موضوع لمعنیین معا یطلق علی کل واحد منهما اذا انفرد کالمائدة للخوان و للطعام، ثم قد یسمّی کل واحد منهما بانفراده به) و کذلک جری الأمر فی استعمال مادّة الإقراء فإنه کان فی عصر الرسول (ص) یستعمل فی المعنیین تعلیم تلاوة اللفظ و تعلیم معنی اللفظ و أصبح بعد انتشار تعلم القرآن یستعمل الإقراء فی أحد المعنیین و هو

ص: ۲۹۱

تعلیم معنی الآیات التی تحتاج الی تفسیر و من تلک الموارد ما رواه البخاری فی صحیحه عن ابن عباس أنه قال:

---

[۳۶۴] (۶) سیرة ابن هشام ۲/ ۴۲.

كنت أقرئ رجالا من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف، فبينما أنا فى منزله بمنى و هو عند عمر بن الخطاب فى آخر حجة حجّها ... الحديث[۳۶۵].

و إذا علمنا أن إسلام عبد الرحمن بن عوف كان فى السنة الثالثة من البعثة حسب ما يذكر ابن هشام من أخبار السابقين الى الإسلام من المهاجرين[۳۶۶].

و انّ آخر حجة حجّها عمر كانت سنة ۲۳ ه و قتل فى الشهر نفسه قتل فى المدينة، عرفنا أن المدّة بين الزمانين أكثر من اثنتين و ثلاثين سنة و لم يكن كبراء المهاجرين أمثال عبد الرحمن بن عوف أطفال كتاتيب ليقرئهم ابن عباس تلاوة ألفاظ القرآن و إنما كان يعلّمهم تفسير القرآن.

ما يؤيّد انّ الصحابة كانوا يعنون بتعلّم معنى القرآن:

سيأتى فى أخبار القرآن فى عصر الخليفة عمر أنه كان يسأله عن معانى القرآن و أنه كان يقول فى حقّه (نعم ترجمان القرآن عبد اللّه ابن عباس).

و كيف روّض الخليفة عمر كبار الصحابة أن يقترءوا القرآن من ابن عباس و كان الذين يفتون فى عصر عمر هم الذين يقرءون القرآن، أى لهم حق تعليم معنى القرآن كما سندرسه- باذنه تعالى- بعد إيراد أخبار و روايات فى شأن القرآن فى ما يأتى.

ص: ۲۹۲

أخبار و روايات فى شأن القرآن:

۱- عند ما حضر الرسول (ص):

فى صحيح البخارى و غيره بسندهم الى ابن عباس أنه قال : (لما حضر النبى (ص) و فى ا لبيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال: هلم أكتب كتابا لكم لن تضلوا بعده، قال عمر : أن النبى (ص) غلبه الوجع، و عندكم كتاب اللّه و اختلف أهل البيت، و اختصموا، فمنهم من يقول ما قال عمر.

فلمّا أكثروا اللغط و الاختلاف قال: قوموا عنى و لا ينبغى عندى التنازع).

و فى لفظ بعض الروايات و ما شأنه أهجر[۳۶۷].

۲- فى أول عهد أبى بكر:

---

[۳۶۵] (۷) صحيح البخارى ۴/ ۱۱۹ باب رجم الحبلى من كتاب الزنا إذا احصنت.

[۳۶۶] (۸) ذكر ابن هشام إسلام عبد الرحمن بن عوف و آخرين من المهاجرين قبل مباداة رسول اللّه (ص) قومة فى السنة الثالثة من البعثة راجع سيرة ابن هشام ط. الحلبى بمصر سنة ۱۳۵۵ ه ۱/ ۲۶۸.

[۳۶۷] (۹) راجع مصادر الخبر فى عبد اللّه بن سبأ، الجزء الأول، بحث: السقيفة ط. السادسة ص ۹۷.

روى الذهبى أن الخليفة أبا بكر جمع الناس بعد وفاة نبيهم، و قال فى ما حدثهم: «... فلا تحدثوا عن رسول اللّه (ص) شيئا فمن سألكم، قولوا: بيننا و بينكم كتاب اللّه، فاستحلوا حلاله، و حرموا حرامه»[۳۶۸].

۳- على عهد عمر:

روى الطبرى فى سيرة عمر و قال: كان عمر إذا استعمل العمّال خرج معهم يشيعهم فيقول: جرّدوا القرآن و أقلّوا الرواية عن محمد (ص) و أنا شريككم)[۳۶۹].

۴- خبر صبيغ بن عسل:

كان صبيغ بن عسل يذهب إلى الأجناد أى البلاد التى يسكنها جنود المسلمين مثل البصرة و الكوفة و الإسكندرية و كان من ضمن اولئک الجنود

ص: ۲۹۳

صحابة الرسول (ص) الذين أخذوا من الرسول تفسير القرآن فيسأل منهم عن معانى آى القرآن الكريم فأخبر الخليفة عمر بذلک فجلبه إلى المدينة و أحضر له عراجين النخل و ضرب بها رأسه حتى أدماه و فى المرة الثانية ضرب بها على ظهره حتى ترک ظهره دبرة أى على ظهره مثل قرحة الدوابّ، ثم تركه حتى برئ و أعاد ضربه ثالثة ثم نفاه إلى البصرة و حرمه عطاءه و نهى عن مجالسته فكان إذا حضر مجلسا فى المسجد تفرقوا عنه و بقى كذلک حتى تشفع له الوالى أبو موسى عند الخليفة فرفع العقاب عنه[۳۷۰].

*** و بناء على ما ذكرنا حصر الخليفة عمر تعليم معنى القرآن بعدد معدود، منهم ابن عباس و منع الآخرين من البحث عن معانى القرآن، و أمرهم بالاقتصار على تلاوة- لفظ- القرآن، و أنتج ذلک تبدّل معنى القراءة و الإقراء كالآتى بيانه باذنه تعالى.

تبدل معنى القراءة و الاقراء فى مصطلح المسلمين:

مر بنا آنفا أن الرسول (ص) كان يتلقى عن طريق الوحى تلاوة لفظ القرآن و يتعلّم معناه فى ما يحتاج معناه الى تعلّم من جبرائيل: مثل آيات الاحكام فى الوضوء و التيمم و ركعات الصلاة و أذكارها و ما شابهها و ذلكم معنى سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسى (الاعلى/ ۶).

و كان الرسول- أيضا- كذلک يفعل فى إقرائه القرآن للصحابة و يسمى عندئذ من تعلم شيئا كثيرا من تلاوة لفظ القرآن مع تعلّم معناه بالقارئ و إذا قام القارى بإقراء الآخرين يسمى بالمقرئ.

---

[۳۶۸] (۱۰) بترجمة أبى بكر من تذكرة الحفاظ للذهبى، ۱/ ۲۲- ۲۳.

[۳۶۹] (۱۱) تاريخ الطبرى، طبعة مصر سنة ۱۹۶۳، ۴/ ۲۰۴، و طبعة أوربا ۱/ ۲۷۴۱.

[۳۷۰] (۱۲) ترجمته بمصورة مخطوطة ابن عساكر(۸/ ۱/ ۱۱۶ أ- ۱۱۸ أ)؛ و سنن الدارمى ۱/ ۵۴، ۵۵- ۵۶؛ و تفسير ابن كثير ۴/ ۲۳۱- ۲۳۲؛ و تفسير الدر المنثور ۶/ ۱۱۱؛ و تفسير القرطبى ۱۷/ ۲۹؛ و الاكمال لابن ماكولا ۵/ ۲۲۱. و اخترنا لفظ ابن عساكر فى المتن.

ص: ۲۹۴

و بناء على ذلک كانت القراءة فى عصر الرسول (ص) بمعنى تعلم تلاوة القرآن مع تعلم معناه و الإقراء تعليم تلاوة لفظ القرآن مع تعليم معنى اللفظ الذى يحتاج الى تعلّمه.

و كان لمعنى مادة القراءة و الإقراء فى عصر الرسول (ص) جزءان:

أ- تعلم تلاوة اللفظ و تعليمها.

ب- تعلم معنى اللفظ و تعليمه.

إذا فإن القراءة و الإقراء كان فى المصطلح الإسلامى فى عصر الرسول (ص) بمعنى تعلم لفظ القرآن و تعلم معناه و تعليمهما معا.

و بهذا المعنى استعمل فى قوله تعالى سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسى و أيضا استعمل فى القرآن الكريم فى معناه اللغوى أحيانا فى مثل قوله- تعالى- فى سورة المزمل/ ۲۰: فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ و قوله تعالى فى سورة الحاقّة / ۱۹: فَأَمَّا مَنْ أُوتِیَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هاؤُمُ اقْرَؤُا كِتابِيَهْ.

كما أن لفظ الصلاة استعمل فى المصطلح الإسلامى بمعنى الصلاة الّتى تقرأ سورة الفاتحة فى الركعتين الأوليين منها.

و بهذا المعنى استعمل فى قوله- تعالى- فى سورة البقرة/ ۲۳۸:

حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَ الصَّلاةِ الْوُسْطى.

كما استعمل- أيضا- فى معناه اللغوى فى مثل قوله تغالى فى سورة النور أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَ تَسْبِيحَهُ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِما يَفْعَلُونَ (الآية/ ۴۱).

و استعملت القراءة و الاقراء بعد عصر الرسول (ص) غالبا فى المعنى الاصطلاحى، و أحيانا استعمل فى أحد جزأى المعنى الاصطلاحى و هو تعليم معنى القرآن أى تعليم تفسير القرآن.

ص: ۲۹۵

و قد قال الراغب فى مادة (قرأ) من مفردات القرآن:

(كل اسم موضوع لمعنيين معا يطلق على كل واحد منه إذا انفرد كالمائدة للخوان و للطعام، ثم قد يسمى كل واحد منهما بانفراده به).

و نرى أن ما جاء فى صحيح البخارى أن ابن عباس كان يقرئ فى منى فى آخر سنة من خلافة عمر كبار الصحابة أمثال عبد الرحمن بن عوف القرآن جاء بمعنى اقراءهم معنى الآيات أى أنه كان يقرئهم تفسير القرآن.

و كان المسلمون صحابة و تابعين يعنون بتعلّم معانى القرآن بعد تعلّم تلاوته يسافرون من بلد الى بلد فى سبيل ذلک كما فعل ذلک صبيغ بن عسل التميمى و أخذ يسافر من بلد فيه جند من اجناد المسلمين الى بلد آخر، و يسأل من صحابة الرسول بيان الرسول (ص) حول الآيات، و كانت الصحابة يومذاک فى أجناد المسلمين.

كان صبيغ يحاول أن يتعلم منهم و يقترئ عليهم ما خفى عليه من معانى القرآن و كذلک كان يفعل المهاجرون الأولون أمثال عبد الرحمن بن عوف حين كان يقرئهم ابن عباس فى منى فى آخر حجة حجّها عمر، أى : فى شهر ذى الحجة سنة ٢٣ للهجرة، فإنّ المهاجرين الأولين الذين كانوا قد أسلموا بمكة، و مضى على إسلامهم اكثر من ربع قرن لم يكونوا أطفال كتاتيب يحتاجون الى تعلّم تلاوة القرآن أضف اليه إنا رأينا الخليفة عمر يسأله عن تفسير القرآن بمحضر الصحابة.

و بذلک كان قد رشحه لتعليم تفسير القرآن كما سيأتى فى بحث من تاريخ القرآن على عهد الخليفة عمر.

و كذلک نفسّر ما جاء من مادّة (قرأ) فى حديث الخليفة عمر فى الشهر نفسه فى آخر خطبة جمعة خطبها فى مسجد الرسول قبل أن يطعن.

و كذلک نفسّر ما جاء عن أئمة أهل البيت (ع) أن المهدى إذا ظهر يأمر

ص: ٢٩۶

بتعليم القرآن فى مسجد الكوفة و سيأتى بيان كل ذلک كلّ فى بابه من البحوث الآتية ان شاء اللّه تعالى.

فى مصطلح المسلمين:

و بناء على ما ذكرنا آنفا فإن مادّة القراءة فى المصطلح الإسلامى كانت تدل على تعلّم لفظ القرآن مع تعلّم معنا ه و استعمل فى عصر الصحابة فى المدينة بمعنى تعلم المعنى كما يظهر ذلک من كلام ابن عبّاس . و لمّا أمر الخليفة عمر بتجريد القرآن عن بيان الرسول (ص) و نهى عن السؤال عن معانيه، و نكّل بمن سأل عنه و نسخ الخليفة عثمان القرآن فى مصاحف مجرّدا عن حديث الرسول (ص) و وزعها فى بلاد المسلمين و حرّق ما عداها انتشرت القراءة المجرّدة للقرآن.

و فى أخريات القرن الأول الهجرى قام علماء العربية بتحريف القرآن و سمّوا كل تحريف (قراءة) و سمّوا كل من يعلّم تلک التحريفات المقرئ و سمّوا بعضهم المقرئ الكبير و سمّوا الذى تعلّم تلک التحريفا ت القارئ و جمعه القراء أى الذى يقرأ القرآن بتلک التحريفات.

و استمر الأمر على ذلک قرونا حتى نسى معنى القراءة و الاقراء فى المصطلح الإسلامى الذى كان تعلّم اللفظ و المعنى معا.

و نتيجة لتبدل معنى القراءة و الإقراء فى محاوراتهم فسّروا ما جاء منها فى الكتاب و السنّة و محاورات الصحابة بالمعنى المتداول عندهم، أى: قراءة القراءات المختلفة كما سندرسها فى بحث القراءات إن شاء اللّه تعالى.

نتيجة البحث:

يقال: تلا الكتاب لكتاب يجب العمل به مثل كتب اللّه المنزلة على رسله.

و يقال فى لغة العرب: قرأ الكتاب قراءة اذا تتبع كلماته نظرا و نطق بها .

ص: ٢٩٧

و فى المصطلح الاسلامى:

يقال قرأ القرآن و اقترأه فهو قارئ اذا تعلّم تلاوة لفظ القرآن مع بيان معانيه و معنى اقرأه و يقرئه : علّم تلاوة لفظه مع تعليم معناه فهو عندئذ: مقرئ.

و لمّا رفع الخلفاء الثلاثة شعار جردوا القرآن من حديث الرسول، و كتبوا نسخة من القرآن مجرّدا عن حديث الرسول (ص)، و نسخوا عليها نسخا، و وزعوها فى بلاد المسلمين، و أحرقوا مصاحف الصحابة الّتى كان أصحابها قد دونوا فيها لفظ القرآن مع ما أخذوا من الرسول (ص) فى بيان معانى آياته انتشر بين المسلمين نسخ القرآن بدون بيان الرسول (ص).

و بعد ذلک التاريخ سمّى القرآن المجرّد عن بيان الرسول (ص) بالمصحف.

إذا فالمصحف قبل إحراق المصاحف كان اسما للقرآن الذى كتب معه شى ء من بيان الرسول (ص) و بعد احراق المصاحف أصبح اسما للقرآن دون بيان الرسول (ص).

و بعد أن أصدر الخليفة العباسى أبو جعفر المنصور فى عام ١۴٣ ه أمرا بتدوين العلوم و بدأ العلماء يدونون النص القرآنى مع بيان معانيه سميت تلک المدونات بالتفسير و بقى اسم القرآن المجرّد عن بيان معانى الآيات بالمصحف، و اشتهرت هذه التسمية على عهد الخلفاء العثمانيين بح يث أصبح القرآن و المصحف بعد ذلک كالإنسان و البشر لفظين مترادفين لمعنى واحد.

هذا ما كان من شأن تحول اسم المصحف منذ صدر الاسلام الى عصرنا الحاضر . و كذلک تبدل معنى القراءة و الاقراء ممّا كان عليه فى صدر الإسلام كالآتى بيانه:

بينا كان معنى القراءة و الإقراء درس القرآن على المقرئ و تعلّم اللفظ و المعنى و على عهد الصحابة استعملت القراءة و الإقراء بمعنى تعلّم معنى القرآن و تعليمه.

ص: ٢٩٨

القراءات المختلفة فى أخريات القرن الاول الهجرى فى مدرسة الخلفاء فاستعملت القراءة و الإق راء فى تعلّم تلک القراءات المختلفة المختلقة، حتى عصرنا الحاضر، كما سنبينه فى بحث القراءات من المجلد الثانى من هذا الكتاب ان شاء اللّه تعالى.

*** كان ذلكم تطور معنى القراءة و الإقراء بالنسبة إلى القرآن الكريم و فى ما يأتى ندرس باذنه تعالى استعمال القراءة فى اصطلاح المحدثين بمدرسة أهل البيت (ع) مدى القرون.

القراءة فی مصطلح المحدثین بمدرسة أهل البیت مدی القرون:

استعمل المحدثون بمدرسة أهل البیت مدی القرون القراءة فی تدریس الاستاذ تلمیذه الکتاب و تعلّم التلمیذ الکتاب من استاذه کما نجدها فی الإجازات الآتیة[۳۷۱]:

أ- اجازة الشیخ فخر الدین محمّد (ت: ۷۷۱ ه) ابن العلّامة الحلی الحسن بن یوسف بن علی بن مطهر، للشیخ محسن بن مظاهر، و أجزت له أیضا أن یروی عنّی مصنّفات الشیخ ... أبی جعفر محمد بن الحسن الطوسی، فمن ذلک کتاب تهذیب الأحکام، فانّی قرأته علی والدی درسا بعد درس، و تمّت قراءته فی جرجان سنة اثنی عشر و سبعمائة عنّی عن والدی، ثمّ والدی قرأه علی والده أبی المظفر یوسف بن علیّ بن المطهّر، و أجاز له روایته، ثمّ یوسف المذکور قرأه علی الشیخ معمر بن هبة اللّه بن نافع الورّاق، و أج از له روایته، ثمّ الفقیه معمر المذکور قرأه علی الفقیه أبی جعفر محمّد بن شهرآشوب و أجاز له روایته، ثمّ شهرآشوب قرأه علی مصنّفه أبی جعفر محمّد بن الحسن الطوسی، و قرأه جدّی مرّة ثانیة علی الشیخ یحیی بن محمّد بن یحیی بن الفرج السوراوی و أجاز له روایته، و الشیخ یحیی المذکور قرأه علی الفقیه الحسین بن هبة اللّه بن رطبة، و أجاز له روایته، و الشیخ یحیی المذکور قرأه علی المفید أبی عبد اللّه محمّد بن الحسن الطوسی و أجاز له روایته، و المفید قرأه علی والده، و أجاز له روایته، و عندی مجلّد واحد من الکتاب الّذی قرأه المفید علی والده و هو بخطّ المصنّف والده، و قرأت أنا هذا المجلّد علی والدی و باقی المجلّدات فی نسخة أخری.

و أمّا کتاب النهایة و الجمل، فانّی قرأتهما علی والدی درسا بعد درس، و أجاز لی روایتهما بالطریق الثانی عن والده قرأه علیه عن باقی أهل السند

المذکور قراءة[۳۷۲]. انتهی موضع الحاجة من الاجازة.

فی هذا القسم من اجازة ابن العلّامة للشیخ محسن بن مظاهر یقول المجیز و هو فی النصف الثانی من القرن الثامن الهجری، انّه قرأ تهذیب الشیخ الطوسی علی والده العلّامة درسا بعد درس، و إنّ والده العلّامة کان قد قرأه علی شیخه، و شیخه علی شیخه.

و هکذا یذکر سلسلة القراءات، حتی ینهی تسلسل القراءات إلی قراءة علی مؤلّف التهذیب الشیخ الطوسی، و یقول: انّ جزءا من کتاب التهذیب الّذی قرأه علی والده کان بخطّ مؤلّفه الّذی توفی فی النصف الأوّل من القرن الخامس الهجری.

و یقول فی اجازته روایة کتاب النهایة : انّه قرأه أیضا علی والده العلّامة درسا بعد درس، و یجیز الشیخ محسن روایته بطریق آخر ایضا تسلسلت فیه قراءة شیخ علی شیخ إلی أن ینهی القراءة إلی مؤلف الکتاب.

---

[۳۷۱] (۱۳) لقد حذفنا من عبارات الاجازات الفاظ المدح و الثناء و الترحم روما للاختصار.

[۳۷۲] (۱۴) البحار ۱۰۷/ ۲۲۳، و هذه الاجازة جاءت ضمن اجازة الشیخ علی بن محمد البیاضی(ت: ۸۲۷) للشیخ ناصر بن إبراهیم البویهی.

ب- اجازة الشيخ المجلسى (ت: ١١١١ ه) بعد فقد قرأ علىّ و سمع منى المولى الفاضل ... حاجى محمّد الاردبيلى ... كثيرا من العلوم الدينية ... لا سيّما كتب الاخبار المأثورة عن الأئمة الأطهار- صلوات اللّه عليهم أجمعين- ثمّ استجازنى، فاستخرت اللّه- سبحانه- و أجزت له أن يروى عنّى ... بحق روايتى و اجازتى عن مشايخى الكرام ... فمن ذلک ما أخبرنى به عدّة ... ممّن قرأت عليهم أو سمعت منهم ... منهم والدى العلّامة و شيخه ... مولانا حسن على التسترى و ...

و هكذا سلسل المجلسى فى هذه الاجازة سنده، حتى انتهى إلى فخر الدين محمّد، عن والده العلّامة الحلّى، ثم سلسل السند منه إلى الشيخ المفيد

ص: ٣٠١

و الكلينى و الصدوق.

ج- اجازة محمّد تقى المجلسى (ت: ١٠٧٠ ه) لميرزا إبراهيم «فمنها ما أخبرنى به قراءة و سماعا و اجازة بهاء الملة ... و الدين محمّد العاملى ... عن الشيخ عبد العالى ...

د- إجازة محمّد بن الحسن الحرّ العاملى (ت: ١١٠٤ ه) للشيخ محمّد فاضل المشهدى. و قد قرأ عندى ما تيسّر قراءته و هو كتاب من لا يحضره الفقيه، من أوّله إلى آخره، و كتاب الاستبصار أيضا بتمامه، و كتاب اصول الكافى كلّه، و أكثر كتاب التهذيب، و غير ذلک، قراءة بحث و تنقيح و تدقيق، فأحسن و أجاد و أفاد أكثر ممّا استفاد بحيث ظهر جدّه و اجتهاده و قابليته و استعداده ... و أهليته لنقل الحديث و روايته، بل نقده و درايته، و قد التمس منى الاجازة فبادرت إلى اجابته ...

ه- اجازات المجلسى الخمس لتلميذه محمد شفيع على نسخ مخطوطة من مجلدات الكافى فى مكتبة استان قدس الرضوى بخراسان المرقمة (ع ٨٥٢٨)

ص: ٣٠٢

إجازات المجلسى (ره) لمن قرأ كتاب الكافى عليه

الاجازة الأولى:

بسم اللّه الرحمن الرحيم أنهاه المولى الفاضل محمّد شفيع التويسر كانى وفقه اللّه تعالى للارتقاء على أعلى مدارج الكم ال فى العلم و العمل سماعا و تصحيحا و تدقيقا و ضبطا فى مجالس آخرها خامس عشر شهر جمادى الأولى من شهور سنة ثلاث و ثمانين بعد الألف من الهجرة.

و قول المجلسى فى الاجازة (أنهاه)، أى: أنها تلميذه القراءة و هذه صورة الاجازة على صفحة من كتاب الكافى للكلينى:

ص: ٣٠٤

الاجازة الثانية:

بسم اللّه الرحمن الرحيم أنهاه المولى الفاضل البارع الذكى الألمعى مولانا محمد شفيع التويسركانى أيده اللّه تعالى سماعا و تصحيحا و تدقيقا و ضبطا فى مجالس آخرها بعض أيام شهر ذى القعدة الحرام سنة ثلاث و ثمانين بعد الألف من الهجرة و أجزت له دام تأييده أن يروى عنى كلما صحت لى روايته و إجازته بأسانيدى المتصلة إلى أصحاب العصمة صلوات اللّه عليهم أجمعين. كتب بيمناه الجانية أحقر عباد اللّه محمد باقر بن محمد تقى عفى عنهما حامدا مصليا مسلما.

ص: ۳۰۵

ب- صحيفة الاجازة الثانية نسخة «كتابخانه آستان قدس» ع ۸۵۲۴

ص: ۳۰۶

الاجازة الثالثة:

بسم اللّه الرحمن الرحيم أنهاه المولى الفاضل البارع الذكى الألمعى اللوذعى مولانا محمد شفيع أيده اللّه سماعا و تصحى حا و تدقيقا و ضبطا فى مجالس آخرها أواخر شهر ربيع الثانى لسنة أربع و ثمانين بعد الألف و أجزت له أن يروى عنّى كلما صحت روايته بأسانيدى المتصلة إلى أرباب العصمة صلوات اللّه عليهم و كتب ... أحقر العباد محمد بن محمد تقى المدعو باقر ...

ص: ۳۰۷

ج- صحيفة الاجازة الثالثة

ص: ۳۰۸

الاجازة الرابعة:

بسم اللّه الرحمن الرحيم أنها المولى ... محمد شفيع التويسركانى وفقه اللّه تعالى للعروج على أعلى مدارج الكمال فى العلم و العمل، سماعا و تصحيحا و تدقيقا و ضبطا فى مجالس آخرها شهر محرم الحرام من شهور سنة سبع و ثمانين بعد الألف الهجرية بعد أن قرأ علىّ و سمع منى .... فأجزت له أن يروى عنى كلما صحت روايته و إجازته بأسانيدى المتصلة .... أصحابنا رضوان اللّه عليهم.

و كتب بيمناه ... أحقر العباد محمد بن محمد تقى عفى عنهما حامدا مصليا مسلما.

ص: ۳۰۹

د- صحيفة الاجازة الرابعة نسخة «كتابخانه آستان قدس» ع ۸۵۲۴

ص: ۳۱۰

الاجازة الخامسة:

بسم اللّه الرحمن الرحيم أنهاه المولى الفاضل الصالح التقى الذ كى مولانا محمد شفيع وفقه اللّه تعالى للعروج على أعلى مدارج الكمال فى العلم و العمل سماعا و تدقيقا و ضبطا فى مجالس آخرها ثالث شهر جمادى الأولى من شهور سنة سبع و ثمانين بعد الألف الهجرية فأجزت له دام تأييده أن يروى عنى كلما صحت لى روايته و اجازته بأسانيدى ... متصلة إلى .... أئمتنا صلوات اللّه عليهم أجمعين بشروط أجاز ... و كتبه بيمناه أحقر عباد اللّه محمد باقر بن محمد تقى ... حامدا مصليا مسلما.

ص: ٣١١

ه- صحيفة الاجازة الخامسة نسخة «كتابخانه آستان قدس» ع ٨٥٢۴

ص: ٣١٢

نتيجة بحث القراءة فى مصطلح المحدثين بمدرسة أهل البيت

فى هذه الاجازات جاء فى اجازة ابن العلامة الحلى لتلميذه : (فمن ذلک كتاب تهذيب الأحكام فانى قرأته على والدى درسا بعد درس و تمت قراءته فى جرجان ثم والدى قرأه على ...).

و جاء فى إجازة المجلسى لتلميذه: و قد قرأ عندى ما تيسر قراءته و هو كتاب من لا يحضره الفقيه من أوله إلى آخره و كتاب الاستبصار- أيضا- بتمامه و كتاب أصول الكافى كلّه و أكثر كتاب التهذيب و غير ذلک قراءة بحث و تنقيح و تدقيق ...

و جاء فى اجازات المجلسى الخمس لتلميذه محمد شفيع: أنهاه سماعا و تصحيحا و تدقيقا و ضبطا و ... و سمع منى كثير من العلوم العقلية و النقلية فى مجالس آخرها ١١٨٣ و هكذا ذكر تاريخ انهاء القراءة إلى سنة ١١٨٧ أى ان مدّة دراسة الكتاب على الاستاذ كانت أكثر من أربع سنوات و سمع من استاذه فى تدريس الكافى كثى را من الأمور العقلية و النقلية و ينبغى أن تكون تلک الأمور ما كان يحتاجه شرح الأحاديث التى تدرس فى تلک المجالس.

و بناء على ذلک فإنّ قرأ قراءة كان فى اصطلاح المحدثين بمدرسة أهل البيت (ع) طوال القرون بمعنى درس الكتاب على استاذه درسا بعد درس و تعلّمه منه تعلما، مع ما تقتضيه شرح الأحاديث من ذكر الأمور العقلية و النقلية.

*** كان ذلک معنى قراءة الحديث و إقراؤه عند علماء مدرسة أهل البيت إلى عصر المجلسى المتوفى ١١١١ ه و بناء على ذلک فان قراءة الحديث و السيرة أى السنّة النبوية كانت لديهم بمعنى دراسة لفظ الحديث مع تعلّم معناه و كان

ص: ٣١٣

معناه فى نفس الزمان عند علماء مدرسة الخلفاء كالآتى بيانه بحوله تعالى:

معنی قراءة الحدیث و اقرائه فی مدرسة الخلفاء

ان قراءة الحدیث عند علماء مدرسة الخلفاء فی القرون المتوالیة کان بمعنی سماع الحدی ث من الشیخ کما یدل علی ذلک النصوص الآتیة:

قال الحاکم النیسابوری (ت: ۴۰۵ ه):

(ذکر النوع الثانی و الخمسین من معرفة علوم الحدیث) هذا النوع من هذه العلوم معرفة من رخّص فی العرض علی العالم و رآه سماعا و من رأی الکتابة بالإجازة من بلد إلی بلد إخبارا و من أنکر ذلک و رأی شرح الحال فیه عند الروایة . و بیان العرض أن یکون الراوی حافظا متقنا، فیقدّم المستفید إلیه جزءا من حدیثه أو أکثر من ذلک فیناوله فیتأمل الراوی حدیثه فإذا أخبره و عرف أنه من حدیثه قال للمستفید قد وقفت علی ما ناولتنیه و عرفت الأحادیث کلها و هذه روایاتی عن شیوخی فحدث بها عنی. فقال جماعة من أئمة الحدیث: إنّه سماع.[۳۷۳].

و قال الخطیب البغدادی (ت: ۴۶۳):

قلت و قد تقدمت منا الحکایة عن بعض أهل العلم أن السماع یصح بحصول التمییز و الاصغاء حسب، و لهذا بکروا بالأطفال فی السماع من الشیوخ الذین علا اسنادهم.

أخبرنا علی بن المحسن القاضی ثنا محمد بن خلف بن محمد بن جیان الخلال قال سمعت أبا بکر عبد اللّه بن محمد بن زیاد النیسابوری یقول سمعت إبراهیم الحربی یقول مات عبد الرزاق و للدبری ست سنین أو سبع سنین.

ص: ۳۱۴

قلت روی الدبری عن عبد الرزاق عامة کتبه و نقلها الناس عنه و سمعوها منه.

سألت القاضی أبا عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمی قلت له فی أی سنة سمعت «کتاب السنن» من أبی علی اللؤلؤی؟ فقال سمعته منه أربع مرات، فحضرت أول مرة و هو یقرأ علیه فی سنة أربع و عشرین و ثلاثمائة، و کتب أبی فی کتابه حضر ابنی القاسم و قرئ علیه فی السنة الثانیة و کتب أبی حضر ابنی القاسم- و قرئ علی اللؤلؤی و أنا أسمع فی السنة الثالثة و فی الرابعة، و کتب أبی فی کتابه سمع ابنی القاسم، و کان مولد أبی عمر فی رجب من سنة اثنتین و عشرین و ثلاثمائة فعلی التقدیر أنه سمعه فی آخر دفعة و له خمس سنین، و اعتد الناس بذلک السماع، و نقل عنه الکتاب عامة أهل العلم من حفاظ الحدیث و الفقهاء و غیرهم[۳۷۴].

و قال:

باب ما جاء فیمن سمع حدیثا فخفی علیه فی وقت السماع حرف منه لادغام المحدث ایاه ما حکمه؟

---

[۳۷۳] (۱۵) کتاب معرفة علوم الحدیث، ذکر النوع الثانی و الخمسین من معرفة علوم الحدیث ۲۵۶- ۲۵۷.

[۳۷۴] (۱۶) کتاب الکفایة فی علم الروایة للخطیب البغدادی ط. المدینة المنورة ص ۶۳ و ۶۴.

و قال الحسين بن على الطيبى (ت: ۷۴۳ ه):

الطريق الثانى- القراءة على الشيخ و يسميها أكثر قدماء المحدثين عرضا لان القارئ يعرضه على الشيخ سواء قرأ هو أم غيره و هو يسمع، و سواء قرأ من كتاب أم حفظ، و سواء كان الشيخ يحفظه أم لا إذا كان يمسک أصله هو أو ثقة غيره و هى رواية صحيحة باتفاق خلافا لبعض من لا يعتد به[۳۷۵].

و اختلفوا فى ان القراءة على الشيخ مثل السماع من لفظه فى المرتبة أو

ص: ۳۱۵

فوقه أو دونه فنقل عن أبى حنيفة و مالک و غيرهما ترجيح القراءة على الشيخ، و يروى عن مالک و أصحابه و أشياخه من علماء المدينة انهما سواء و هو مذهب معظم علماء الحجاز و الكوفة و البخارى، و الصحيح ترجيح السماع من لفظ الشيخ و هو مذهب الجمهور من أهل المشرق.

و قال:

الثانى: يستحب أن يقول فيما سمعه وحده من لفظ الشيخ حدثنى، و فيما سمعه من غيره حدثنا، و فيما قرأ عليه بنفسه : أخبرنى و فيما قرئ عليه و ه‌و يسمع: أخبرنا[۳۷۶].

و قال السيوطى (ت: ۹۱۱ ه):

بيان أقسام طرق تحمل الحديث و مجامعها ثمانية أقسام:

الأوّل: سماع لفظ الشيخ، و هو إملاء و غيره من حفظ و من كتاب . و هو أرفع الأقسام عند الجماهير. قال القاضى عياض: لا خلاف أنّه يجوز فى هذا للسامع أن يقول فى روايته : حدّثنا و أخبرنا و أنبأنا و سمعت فلانا و قال لنا و ذكر لنا قال الخطيب: أرفعها سمعت.

و قال ثمّ حدّثنا و حدّثنى ثمّ أخبرنا، و هو كثير فى الاستعمال[۳۷۷].

القسم الثانى: القراءة على الشيخ، و يسمّيها أكثر المحدثين عرضا . سواء قرأت أو غيرک و أنت تسمع من كتاب أو حفظ، حفظ الشيخ أم لا إذا أمسک أصله هو أو ثقة، و هى رواية صحيحة.

نتيجة بحث القراءة بمدرسة الخلفاء

---

[۳۷۵] (۱۷) فى كتاب الخلاصة فى أصول الحديث ط. العراق سنة ۱۳۹۱ ص ۱۰۲- ۱۰۳.

[۳۷۶] (۱۸) الخلاصة فى أصول الحديث ص ۱۰۴.

[۳۷۷] (۱۹) تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى ۲/ ۸- ۱۲.

عرّف الطيبى و السيوطى القراءة على الشيخ فى مدرسة الخلفاء: أن يعرض القارئ الحديث أو الكتاب على الشيخ سواء قرأ هو أم قرأ غيره و هو

ص: ٣١۶

– القارئ– يسمع و سواء قرأ من كتاب أم حفظ و سواء كان الشيخ يحفظه أم لا إذا كان يمسک أصله هو– أى إذا كان الاستاذ بيده كتابه فى الحديث– أو ثقة غيره– أى ان كتاب الاستاذ يكون بيد ثقة غير الاستاذ و غير التلميذ القارئ– و هى رواية صحيحة و يسمى هذا النوع من قراءة الحديث عند العلماء عرضا، و روى الخطيب البغدادى:

ان الدبرى روى عن عبد الرزاق عامّة كتبه و نقلها الناس عنه و سمعوها منه و مات عبد الرزاق و للدبرى ست سنين أو سبع سنين.

و قال ما موجزه:

و سمع أبو عمر القاسم بن جعفر كتاب السنن من أبى على اللؤلؤى أربع مرات و هو يقرأ عليه أولها سنة (٣٢۴ ه) و كذلک فى السنة الثانية بعدها و كذلک فى السنة الثالثة و الرابعة و كتب والده على الكتاب فى كل مرة و حضر ابنى و قرئ عليه– الكتاب– و سمع ابنى ... و كان مولد أبى عمر فى رجب من سنة (٣٢٢ ه) (فعلى التقدير أنه سمعه فى آخر دفعة و له خمس سنين و اعتدّ الناس بذلک السماع و نقل عنه الكتاب عامّة أهل العلم من حفّاظ الحديث و الفقهاء و غيرهم).

نتيجة المقارنة فى معنى قراءة الحديث لدى المدرستين

أ– فى مدرسة أهل البيت إلى القرن الثانى عشر كانت قراءة الحديث بمعنى: قراءة الحديث من تلميذ بلغت مؤهلاته أن يقول استاذه فى نعته و كيفية قراءته : (قرأ كتاب .... علىّ فى بلدة .... قراءة بحث و تنقيح و تدقيق فأحسن و أجاد و أفاد أكثر مما استفاد بحيث ظهر جدّه و اجتهاده و قابليته و استعداده ... و أهليّته لنقل الحديث و روايته بل نقده و درايته و قد التمس منى اجازة فبادرت إلى اجابته .

يقول الاستاذ الآخر فى تلميذه و قراءته:

ص: ٣١٧

(أنهاه): أى أنهى قراءة الكتاب إلى الصفحة التى كتب الاجازة عليها (المولى الفاضل البارع الذكى الألمعى اللوذعى سماعا و تصحيحا و تدقيقا و ضبطا) مع تعلّم ما ينبغى أن يتعلّمه (من الأمور العقلية و النقلية)، و الأمور العقلية : شرح ما فى بعض الأحاديث ممّا يحتاج إلى استعمال العقل فى دراسة ما يستنبط من الحديث من عقائد و أحكام و معرفة عامّة و خاصّة و مجملة و بيّنة و مطلقة و مقيدة و ... و الأمور النقلية : دراسة أسنا د الحديث و تفسير ألفاظه و ما شابههما (فى مجالس آخرها ...) و بعد ذلک يجيز الاستاذ تلميذه و يكتب له: (أن يروى عنّى ما صحت لى روايته) كان ذلک جاريا و ساريا إلى القرن الثانى عشر الهجرى.

ب– فى مدرسة الخلفاء إلى القرن الحادى عشر.

كانت قراءة الحديث بمعنى سماع التلميذ قراءة استاذه عند ما يقرأ الحديث أو عند ما يقرؤه تلميذ آخر ثقة بمسمع من الاستاذ و ان كان التلميذ المستمع طفلا صغيرا بلغ سن خمس سنوات و عندئذ يصحّ للاستاذ أن يكتب لتلميذه الطفل هذا اجازة برواية ما يسمعه من الاستاذ من حديث أو ما قرئ على الاستاذ من حديث و كتاب و سمعه هذا الطفل ثمّ يأخذ من هذا التلميذ بهذه القراءة و ينقله عنه عامّة أهل العلم من حفّاظ الحديث و الفقهاء و غيرهم.

كان ذلكم جاريا و ساريا فى مدرسة الخلفاء إلى القرن الحادى عشر الهجرى.

و أخيرا فقد كان لا بدّ لنا من تقديم هذا البحث ضمن البحوث التمهيد ية لمناقشة الروايات التى تزعزع الثقة بثبوت النص القرآنى فى المجلد الثانى من هذا الكتاب.

ص: ٣١٨

سادسا- الجامع و الحافظ:

أ- الجمع و الجامع:

١- فى اللغة:

جاء الجمع فى لغة العرب بمعنى ضم الشى ء بتقريب بعضه الى بعض يقال : جمعته فاجتمع، و جمع متفرقا : لمّ الأشياء المتفرقة، و ضمّ بعضها إلى بعض.

و جاء بالمعنى اللغوى الاول و الثانى فى قوله- تعالى- فى سورة القيامة:

أ- أ يَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ (الآية/ ٣).

ب- وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ (الآية/ ٩).

و أكثر ما يستعمل (جمع) فى الأعيان و (أجمع) فى الآراء كما فى قوله تعالى فى سورة يوسف/ ١٥:

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَ أَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيابَتِ الْجُبِ ٢- جمع القرآن فى المصطلح الاسلامى:

استعمل جمع القرآن جمع القرآن فى كلام اللّه و حديث الرسول (ص) و محاورة الصحابة و اريد به جمعه فى الصدور.

أ- فى القرآن الكريم:

قال سبحانه فى سورة القيامة:

ص: ٣١٩

لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ ❊ إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ ❊ فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ❊ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ (الآيات/ ۱۶- ۱۹) فقد قال ابن عباس فی تفسیره ما موجزه:

(إنّ النبیّ کان یعالج من التنزیل شدّة، یحرّک لسانه و شفتیه- و حرّک ابن عباس شفتیه یحاکی الرسول (ص)- قال: فأنزل اللّه- تعالی- لا تُحَرِّكْ بِهِ ...

إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ، أی جمعه فی صدرک ثم تقرأه فَإِذا قَرَأْناهُ ... أی فاستمع و أنصت، ثم اقرأه، قال: فکان رسول اللّه (ص) إذا أتاه جبریل استمع فإذا انطلق قرأه کما قرأه جبریل[۳۷۸].

ب- فی محاورات المسلمین:

استعمل (جمع القرآن) فی عصر الصحابة: بکلا المعنیین جاء بمعنی الجمع فی الصدور فی روایتی أنس بن مالک فی صحیح البخاری:

۱- عن قتادة قال سألت أنس بن مالک (رض) من جمع القرآن علی عهد النبی (ص)؟

قال: أربعة کلهم من الانصار:

أبی بن کعب (ت: ۳۲ ه).

معاذ بن جبل (ت: ۱۸ ه).

زید بن ثابت (ت: ۵۵ ه).

و ابو زید- ثابت بن زید بن النعمان.

۲- قال أنس: مات النبی (ص) و لم یجمع القرآن غیر أربعة:

أبو الدرداء- عویمر بن زید (ت: ۳۵ ه).

معاذ بن جبل.

زید بن ثابت.

---

[۳۷۸] (۱) صحیح البخاری ۴/ ۲۰۱ باب قوله تعالی:\i لا تحُرِّكْ بِهِ لِسانَکَ\E من کتاب التوحید، ۴/ ۲۰۱. و صحیح مسلم، کتاب الصلاة، الحدیث : ۱۴۷ و ۱۴۸ ص ۳۳۰- ۳۳۱. و مسند أحمد ۱/ ۳۴۳. و سنن النسائی، کتاب الافتتاح، و تحریک ابن عباس لسانه فی صحیح مسلم، الحدیث: ۱۴۷.

أبو زيد[۳۷۹].

و فی روایة أحمد و أبی داود : أنّ أمّ ورقة بنت عبد اللّه کانت قد جمعت القرآن و کان النبی (ص) قد أمرها أن تؤم أهل دارها ... الحدیث[۳۸۰].

و قد جاء بنفس المعنی فی فهرست الندیم حیث قال:

(الجماع للقرآن علی عهد النبی (ص)).

علی بن أبی طالب (رض) (ت: ۴۰ ه).

سعد بن عبید بن النعمان بن عمرو بن زید (رض).

أبو الدرداء عویمر بن زید (رض).

معاذ بن جبل بن أوس (رض) (ت: ۱۸ ه).

أبو زید ثابت بن زید بن النعمان.

أبیّ بن کعب بن قیس بن مالک بن امرئ القیس.

عبید بن معاویة بن زید بن ثابت الضحّاک (ت: ۳۴ ه) و فی ترجمة عبادة ابن الصامت بأسد الغابة ان عبادة و أبا أیوب- أیضا- کانا ممن جمع القرآن علی عهد رسول اللّه (ص).

و کذلک جاء بمعنی جمع جمیع آیات القرآن کتبا فی سور القرآن و دوّن جمیع السور فی مصحف واحد بعد أن کانت السور منتشرة عندهم فی صحائف من الجلد و الخشب و ما شابههما کما رووا و قالوا:

أ- (أقسم علیّ أن لا یرتدی الرداء حتّی یجمع القرآن فی مصحف).

ب- (جمعوا القرآن فی مصحف فی خلافة أبی بکر).

ج- (أنّ أبا بکر أمر زیدا بجمع القرآن، فجمعه فی صحف، و أودعها عند حفصة . و لمّا أراد عثمان أن یجمع القرآن أخذها من حفصة، و استنسخها فی المصاحف)[۳۸۱].

---

[۳۷۹] (۲) الروایتان متوالیتان فی صحیح البخاری ۳/ ۱۵۲ باب القراء من أصحاب النبی. و أبو زید من عمومة انس کما فی طبقات ابن سعد باب (ذکر من جمع القرآن ... ۲/ ۳۵۵- ۳۵۶.

[۳۸۰] (۳) تقدم ذکر مصادره فی اخبار المصحف.

*** كان رسول اللّه (ص) أول من جمع القرآن حفظا فى صدره من البشر و سوف نرى فى بحث جمع القرآن- إن شاء اللّه تعالى- أن رسول اللّه (ص)- أيضا- كان أول من جمع القرآن، أى: أمر بكتابة جميع القرآن.

كان ذلكم معنى جمع القرآن حفظا فى الصدور و كتبا فى المصاحف، حتى عصر الصحابة، و سمّى بعدهم جامع القرآن فى صدره بحافظ القرآن.

ب- حافظ القرآن:

يقال فى اللغة: حفظ الشىء، أى: رعاه و صانه و حرسه[٣٨٢].

و يقال- أيضا- الحفظ: لضبط فى النفس، و يضادّه النسيان[٣٨٣].

و الحافظة و الذاكرة: قوّة فى الإنسان تحفظ معلوماته.

و فى القرون الأخيرة قيل لمن يحفظ القرآن عن ظهر قلب: الحافظ.

و كذلك يقال لمن يحفظ عددا كبيرا من الأحاديث : الحافظ[٣٨٤].

بينما كان فى صدر الإسلام يقال لمن حفظ القرآن عن ظهر قلب: الجامع

ص: ٣٢٢

كما سبق بيانه، ثمّ تغير معنى الجامع بعد القرن الأوّل، كما سنذكره فى ما يأتى بحوله تعالى.

و على م ا ذكرنا فإنّ تسمية من حفظ القرآن بالحافظ من تسمية المسلمين و مصطلحهم، و ليس من مصطلحات الشرع الإسلامى.

ص: ٣٢٣

سابعا- الترتيل و التجويد:

أ- الترتيل:

قال الراغب: الترتيل، إرسال الكلمة بسهولة و استقامة.

---

[٣٨١] (۴) مسند أحمد ۶/ ۴۰۵ و سنن ابى داود كتاب الصلاة باب امامة النساء.

[٣٨٢] (۵) مادة(حفظ) بمعاجم اللغة.

[٣٨٣] (۶) مادة(حفظ) بمفردات الراغب.

[٣٨٤] (۷) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث.

و روى ابن الجزرى عن الإمام على أنه قال: الترتيل: تجويد الحروف و معرفة الوقوف[۳۸۵].

و فى معجم ألفاظ القرآن الكريم، رتّل الكلام: أحسن تأليفه أو: أبانه و تمهّل فى قراءته، و قال اللّه سبحانه: وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا (الفرقان/ ۳۲)، أى أنزلناه على الترتيل و هو ضدّ العجلة، و بيّناه و مكّنّاه.

و قال سبحانه: وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (المزمّل/ ۴)، أى بيّنه تبيينا، و تمهّل فى قراءته. و ليس هذا من المصطلح الإسلامى، و إنّما هو معنى لغوى. و إنما ذكرناه لصلته بعلم التجويد.

ب- التجويد:

التجويد فى اللغة يقال: جوّد القول، أى: أتى بالقول الجيّد، و جوّد القراءة: قرأ جيّدا.

ص: ۳۲۴

و قال ابن الجزرى: التجويد إعطاء الحروف حقوقها و ترتيبها مراتبها و ردّ الحرف إلى مخرجه و أصله و إلحاقه بنظيره و تصحيح لفظه و تلطيف النطق به على حال صيغته و كمال هيأته من غير إسراف و لا تعسف و لا إفراط و لا تلف.

قال المؤلف:

هذا ما ذكروه. و لا أرى التجويد إلّا محاولة من مقرئ القرآن أن يؤدّى اللّفظ باللّهجة الّتى أدّاها رسول اللّه (ص). ثمّ تمرّن عليها قرّاء القرآن جيلا بعد جيل منذ عصر الرسول (ص) حتّى اليوم.

و نرى التجويد تعبيرا عن الترتيل و مصداقا له.

ص: ۳۲۵

ثامنا- النسخ:

النسخ فى اللغة: إزالة شىء بشىء يتعقبه، يقال: نسخت الشمس الظل[۳۸۶].

و فى المصطلح الاسلامى: نسخ أحكام فى شريعة بأحكام فى شريعة أخرى [۳۸۷]. مثل نسخ بعض أحكام الشرائع السابقة بأحكام فى شريعة خاتم الأنبياء (ص)[۳۸۸].

---

[۳۸۵] (۱) ابن الجزرى: محمد بن محمد الشافعى(ت: ۸۳۳ ه) و روى الخبر فى كتابه النشر فى القراءات العشر ط. المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ۱/ ۲۰۹.

[۳۸۶] (۱) مفردات الراغب و المعجم الوسيط مادة(نسخ).

[۳۸۷] (۲) قال أبو الوليد:(النسخ: إزالة الحكم الثابت بشرع متقدم بشرع متأخّر عنه على وجه، لولاه لكان ثابتا).

كتاب الأصول فى الحدود، تأليف الحافظ أبو الوليد سليمان بن خلف الأندلسى،(ت: ۴۷۴ ه) ط. بيروت، سنة ۱۳۹۲، ص ۴۹۰.

[۳۸۸] (۳) كما سيأتى بيانه فى بحث النسخ فى المجلد الثانى من هذا الكتاب إن شاء اللّه تعالى.

و كذلک نسخ حكم مؤقت بحكم أبدیّ فی شریعة خاتم الأنبیاء (ص)، مثل نسخ حكم توارث المتآخیین من المهاجرین و الأنصار فی المدینة قبل فتح مكّة بحكم توارث ذوی الأرحام بعد فتح مكّة.

و قد صنّف أتباع مدرسة الخلفاء النسخ إلی ثلاثة أصناف:

أ- نسخ التلاوة و الحكم: و یقصدون منه أنّ اللّه- سبحانه- كان قد أنزل من القرآن آیا أو سورا علی رسوله (ص) تضمن حكما شرعیا ثمّ نسخ تلاوة ذلک

ص: ۳۲۶

القرآن، فلم یكتب فی المصحف المتداول بین المسلمین و نسخ حكمه من شریعة الإسلام.

ب- نسخ التلاوة دون الحكم: و یقصد منه أنّ اللّه- سبحانه- كان قد أنزل من القرآن آیا أو سورا علی رسوله (ص) ثمّ نسخ تلاوتها، فلم یكتب فی المصحف المتداول بین المسلمین، و أبقی حكمه فی شریعة الإسلام.

ج- نسخ الحكم دون التلاوة: و یقصد منه أنّ اللّه- سبحانه- أنزل من القرآن آیا عمل بها المسلمون، ثمّ نسخ تلک الآیات بآیات أخری، و بقیت الآیات المسماة منسوخة مكتوبة فی المصحف و نسخ حكمها. و سیأتی بیان زیفها مفصّلا فی بحوث النسخ إن شاء اللّه تعالی.

ص: ۳۲۷

نتیجة البحوث:

أ- القرآن و السورة و الآیة و الوحی من المصطلحات الاسلامیة التی تستعمل فی معانیها منذ عصر نزول القرآن حتی الیوم.

ب- الجزء و الحزب و التجوید و الحافظ من المصطلحات المستحدثة لدی المسلمین فی العصور المتأخّرة.

ج- لفظ (الكتاب) مشترک بین عدّة معانی و لفظ (كتاب اللّه) یرد بمعنی الكتاب الذی أنزله علی أنبیائه مثل التوراة و الانجیل و القرآن و یرد بمعنی ما فرضه اللّه علی عباده مثل ما جاء فی قوله تعالی:

إِلَّا ما مَلَكَتْ أَیْمانُكُمْ كِتابَ اللَّهِ عَلَیْكُمْ و بنفس المعنی جاء فی قوله تعالی:

إِنَّ الصَّلاةَ كانَتْ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ كِتاباً مَوْقُوتاً و اشتهر (كتاب اللّه) بعد عصر الصحابة فی الكتب التی أنزلها اللّه و فسّر العلماء كلّما جاء من هذا اللفظ فی محاورات الصحابة بمعنی كتاب اللّه و قد اخطئوا فی بعض الموارد.

د- القراءة و القارئ و المقرئ:

استعمل القارئ فی تعابیر عصر نزول القرآن بمعنی من یتعلّم القرآن مع معناه، و المقرئ من یعلّم القرآن مع المعنی اذا کان معنی مادة (القراءة) یساوی تدارس التفسیر فی عصرنا اذ یدرسون آی القرآن مع تفسیره، و کان المقرئ من یدرّس القرآن مع التفسیر و القرّاء من تعلّموا القرآن مع التفسیر.

ص: ۳۲۸

و اقتضت سیاسة حکم الخلفاء الثلاثة بعد الرسول (ص) تجرید القرآن عن بیان الرسول فی تفسیر القرآن و رفع هذا الشعار الخلیفة الاول أبو بکر و تبدل معنی مادة (القراءة) بعد عصر الخلیفة عثمان متدرّجا و اصبحت بمعنی تبدیل لفظ الق رآن بالفاظ لغات القبائل العربیة مثل تمیم و هذیل و القرّاء الکبار من یبدلون الفاظ القرآن بلغات القبائل او باجتهاداتهم الخاصّة و نسی المصطلح الإسلامی و اندرس و سیأتی شرحه مفصلا فی بحث القراءات ان شاء اللّه تعالی.

ه الترتیل:

کان الترتیل فی عصر نزول القرآن بمع نی (تجوید الحروف و حفظ الوقوف) کما روی ذلک عن الإمام علی . و فی عصرنا یقال للقرآن المقروء بصفة خاصّة: (المصحف المرتل).

یوجد الترتیل الیوم لدی القراء فی ما سجل لهم باسم المصحف المزمّل.

و- الجمع:

الجمع فی اللغة ضمّ الشی ء بتقریب بعضه إلی بعض و جمع الاشیاء الم تفرقة ضمّ بعضها الی بعض و جمع القرآن : حفظا فی الصدور، و کتابة آیاته و سوره و ضم بعضها الی بعض و بهذا المعنی استعمل فی القرآن و محاورات الصحابة.

ز- النسخ فی المصطلح الإسلامی نسخ أحکام شریعة بأحکام شریعة أخری أو نسخ حکم مؤقت بحکم أبدی فی شریعة خاتم الأنبیاء. و قد التبس أمر النسخ علی العلماء بسبب الاحادیث المختلقة التی سوف ندرسها فی بحث النسخ ان شاء اللّه تعالی.

*** بعد أن درسنا فی هذا المجلد خصائص المجتمع العربی الجاهلی الذی نزل فیه القرآن و المجتمع العربی الإسلامی الذی انتشر منه القرآن و بحوثا من تاریخ القرآ ن ثم المصطلحات القرآنیة یتیسر لنا دراسة الروایات التی رویت حول القرآن الکریم فی المجلدین الآتیین من هذا الکتاب بحوله تعالی.